الجـــــزء الثــــالث

مـــن كتــــــــــــاب

رياض العرفان فى مقامات الإحسان

للإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم.

مسجده وضريحه ومكتبته العلمية بالقاهرة

ومشيخة الطريقة العزمية

السيدة زينب : تقاطع شارع مجلس الشعب مع تقاطع شارع بورسعيد

تليفون المكتبة/

002 022 3901030

واوله مقام الأمداد

المقام الخامس والستون

ســورة الإســراء

قال تعالى : (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا . وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا . كُلا نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا . انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلا . لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولا . وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحسانا)

هذه الآيات قد وضحت لنا سرا من أسرار القدرة ومن غيب غيب الحكمة ما خفى عن الكثيرين فوقعوا فى شرك الشرك ، وفى بيداء الجحود بمظاهر النعم لأن مقام الأمداد متعلق بالله تعالى وبالعباد ، فمن نسبه إلى الخلق فقد أشرك وألحد ، ومن نسبه إلى الله ذاتا فقد جهل وجحد ، وهذه مشكلة من مشاكل التشريع والتوحيد زل فيها كثير من العبيد لأنها أثبتت للخلق إرادة فى قوله تعالى : (مَنْ كَانَ يُرِيدُ) وأثبتت ان الله فعال لما يريد فى قوله تعالى : (عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ) وعينت للإنسان إرادة فى الخيرات سعيا وتصويرا ، قال سبحانه : (مَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا) ، ثم نفت تلك الآيات كل هذا إمدادا من الله وتقديرا بقوله جل جلاله : (كُلا نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) ، ثم اثبت الله فضله لقوم على آخرين تحقيقا وتأويلا . قال سبحانه : (انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلا) ، ثم نفى الشريك لذاته توحيد لحضرته ودليلا ومدلولا . بقوله سبحانه :(تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولا) ، ثم اثبت التوحيد والسبب منا ولنا برهانا لنا وفرقانا بقوله تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحسانا) ، فأشار سبحانه ان شهود هذه الحقائق وفهم تلك

الدقائق بعيد عن الإنسان . ملحوظ لأهل الإحسان لأن المحسنين من العارفين هو القوم الذين فقهوا التوحيد لذاته . وفهموا مظاهر أسمائه وصفاته .

وهنا نتكلم فى مقام الأمداد لأنه الجامع الموضح لهذا المراد فنقول : ان الوجود بأسره عاليه وسافله قائم على حقيقتين أصليتين وهما الإيجاد والأمداد ، فالله هو الذى أوجد كل شىء قبل أن لم يكن شىء ، ثم جعل لكل موجودا إمدادا ، ولكل حقيقة رشادا وإرشادا ، فالإيجاد متعلق بالله وحدة بغير أسباب ، وأما الأمداد فهو موضوع فى طى الوسائل والأسباب ، فلم يختلف احد من الموحدين مع اخرين فى نسبه الإيجاد لرب العالمين ، وأما مقام الأمداد فهو المشكلة الزمنيه والاختلافات العصرية بين جميع الطبقات وخصوصا فى هذا العصر بين الأمة الإسلامية .

برز فى هذا الزمان طائفة تكفر كل من يعتقد الأمداد من احد من العباد ، وجهلوا ما هو الأمداد وجهلوا حكمة المعطى الجواد ، وقالوا ان كل من يعتقد أن هناك مدد من العبيد فهو فى شرك وترديد وكفر بالولى الحميد ، وفاتهم ان الفاعل فى الأسباب والواضع لها هو المعطى الوهاب ، فكثرت منهم المشاكل بين العالم والجاهل ، وخفى عليهم ان الله جعل السماء تمد الأرض ببركاتها ، والأرض تمد الناس بأقواتها ، والجبال تمد البشر بحجارتها ومعادنها ، والحيوانات تمد الآدميين بألبانها وأولادها وصوفها وشعرها ولحومها وركوبها وتحمل أثقالها ومنافع كثيرة غيرها ، والناس يمدون بعضهم بعضا بالصناعات وبالأعمال من التجارات والمزروعات وبالحراسة والدفاع وبكل نواحى الانتفاع ، هذا يمد هذا بعلمه وآخر يمد غيره بقوته وفهمه ، وهذا يمد سواه بإدراكاته واختراعاته ، وهذا يمد أخاه بما أعطاه الله من ثقافة وحكمة ورحمة وعطف وحنان وإسلام وإيمان وإحسان وإيقان، وهذا يمد تلاميذه بعلومه وأسراره . وبركاته وأنواره (كُلا نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) .

سمعت مرة رجلا ينادى ويقول : (المدد يا سيدى فلان) ، فقام له عالم من الذين يجهلون مراتب مقام الأمداد فسفه رأى الرجل وحكم عليه بالشرك والكفر ، وسمعت غيره وغيره من الكثيرين ببلاد مصر والحجاز يحكمون بكفر كل من

طلب الأمداد من احد من البلاد ، ويحصرون الأمداد فى المحسوسات وينفونهـا فى المعنويات ، ولهم العذر فى جهلهم بمراتب الوجود ، الفرق بين القدرة والحكمة للعلى الودود ، وانى هنا اكتب لأهل الإحسان . ولرجل العرفـان وأسـال الله ان يعيننى على البيان حتى يفهم هذا المقام لكل إنسان ، فتتقبر هذه الفتنة فى مهـدها وتظهر أنوار الأمدادات لأهلها .

ان المدد يا أخا الإحسان هو خير يوصله الله لك على يد أى كائن ما كان ، والمدد قسمان : مدد جسمانى . ومدد معنوى روحانى ، فالمدد الجسمانى تشـترك فيـه الجمادات والنباتات والحيوانات وكل ما فى الأرض والسموات ، والمدد المعنـوى الروحانى خاص بالعلماء والأنبياء والأولياء والصالحين وملائكة رب العـالمين ، فالعالم يمدك بعلمه . والنبى يمدك من نور وحيه . والولى يمـدك مـن أسـرار إلهاماته وبركاته . والصالح يمدك بإصلاحه وصلاحه وروحه ، ودائرة الأنبيـاء والمرسلين والعلماء والأولياء والصالحين واحدة وان تعددت المقامـات وتلونـت الأحوال والبركات ، وكما ان دوائر الأجسام تمد بعضها بعضا بالمنـافع فـدوائر الأرواح والقلوب تمد بعضها بعضا ببركات العلى القدوس .

وقد كشف العلم الحديث المؤثرات فى الأرض والسموات وقد كشف لنا علم التنويم واستحضار الأرواح ما اصبح به هذا الرأى جليا كنور المصباح ، فـالله سـبحانه قدر الاقدار واجراها ، وخلق النفوس وسواها وامدها والهمها فجورها وتقواهـا ، وجعل فى كل نفس بركاتها وعلومها وهداها وهو الذى ينفع ويضر ويعطى ويمنع بأسباب وبغير أسباب ، وهو الذى خلق الأسباب والوسائل وامـد بهـا الاواخـر والاوائل ، فابعد الشيطان بسبب آدم عليه السلام ، واخرج آدم من الجنـة بسـبب الشيطان ، وامر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام فرفعوا بذلك إلى اعلى مقام ، وهو الذى هدى بالأنبياء والمرسلين من اراد هدايته فى الاولين والاخرين ، وهـو الذى يمد المسلمين بأنوار خاتم النبيين ، وهو القادر على ان يوصل مـدد الأرواح لمن يشاء من الاشباح .

ها هو العقل والفكر والخيال والوهم والروح والقلب معـان خفيـة فـى الهياكـل البشرية ، وهى تمد الجسم بكل نوع من انواع المعانى العلية ، ولم نر يوما مـن الايام العقل قد تحول شبحا ، أو العقل والفكر والخيال والوهم والروح والقلب قـد ظهروا أجساما ، وهم وغيرهم من المعانى الإنسانيه يمدون الجسد والوهم والروح والقلب بكل نعمة وعطيه ، وإننا لو شرحنا أى جسم من الأجسام لم نجد فيـه رأى اثر لتلك الجنود العظام ، فهل بعد هذا نستبعد ان روح النبى عليه الصلاة والسلام أو روح أى ولى من الأولياء الكرام تمد بقدرة الله رجلا من الأنام ، بعد ان رأينـا ان الوجود كله يمد بعضه بعضا فى اليقظة والمنام ، ان عقول من ينكرون المـدد مستورة بستارة الأوهام وغياهب الظلام والأجسام ، وهم بجهلهم معذورون لأنهـم حرموا التدبر فى كتاب الله المكنون القائل فى المعانى الروحية تنزيلا وتـرتيلا : (قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا).

فيا أيها المنكر وعلى تعلم المعانى القرآنيه متكبر ، سلم لأهـل الإحسـان تسـلم واطلب العلم تعلم وتفهم ، فلا يقول مؤمن ان من أمد احـد بجسـمه أو عقلـه أو روحه صار شريكا ، ولم ينكر القرآن مدد الإنسان لأخيه الإنسان حيا كان أو ميتا بعد ان قال : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَـاءٌ عِنْـدَ رَبِّهِـمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِـنْ خَلْفِهِمْ) فربط القرآن الصلة بين أهل البرزخ وبين الذين لم يلحقوا بهم مـن أهـل الدنيا وهذا أوضح دليل نزل فى التنزيل ، لأن الله يعلم من عباده مشاكلهم فوضـع لهم بيانهم ومسائلهم ، ليضل من يشاء ويهدى من يشاء نسأل الله ان يهدينا سـواء السبيل .

وهنا أراد الحق جل جلاله ان يعلمنا ويؤدبنا ويرشدنا فى دائرة الكونين ويفهمنا ان الإحسان والأمداد ، واصل لنا من الوالدين فأمرنا ان نحسن إليهم كما أحسنوا لنا ، وبين لنا ان العبادة له وحده لا شريك له وان الأمداد منه لنا والإحسان واجب علينا فعرفنا بذلك أمرا منه وبيانا . يقول سبحانه : (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّـا تَعْبُـدُوا إِلا إِيَّـاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحسانا) فالإحسان من أسماء الله وصفاته ، كيـف ينسـبه لمخلوقاتـه

وكيف يكلف به الأبناء ليقومون به للآباء وهو مدد رب الأرض والسماء ، ما هذا إلا عجب عجاب عند من حجبوا بالأسباب ، ولكن المحسنون رأوا فعل الله فى السبب فلم يداخلهم أى عجب ، أهل الإحسان عرفوا وشهدا ان الخلق هم ايدى القدرة وأنوار أسرار الحكمة ، وهم يد الملك والملكوت وهما بيد الحى الذى لا يموت . قال تعالى : (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ، وقال سبحانه : (فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ) فكل أمداد من الأجسام هو من يد الملك العلام ، وكل أمداد من الملكوت هو من يد الحى الذى لا يموت ، وليس للخلق أى اثر الا فيما ظهر للبصر على يد البشر ولكن الفاعل فى الآثار هو الواحد القهار ، والموجودات كلها مرائى وصور يظهر فيها مدد العلى الكبر .

قال مولانا السيد أبو العزائم فى بعض مواجيده مشيرا لأهل الإحسان وممثلا لأهل العرفان عن لسان الحضرة الالهية :

تلك المظاهر والشئون مرائى　　　فيها يلوح لمن صفوا اسمائى

فالعارفون يرون سر تنزلى　　　و الجاهلون مرادهم آلائى

فالمحسنون إذا أحسنوا للوالدين فقد أحسنوا لله بمعونه الله ، وإذا رأو أمدادا من أى عبد من عباد الله نظروا فى ذلك يد الله وفعل الله ومداد الله ، وشهدوا قدرة الله وحكمة الله ، وأهل الجهل والحجاب نسبوا الفعل للأسباب فوقعوا فى الشقاق والجدال والنفاق ، وهم يدعون انهم من أهل التوحيد والوفاق .

المدد وما أدراك ما المدد ، هو سر الواحد الأحد ، الذى لم يلد ولم يولد ، ويجمل من يشاء من عباده بسره وفضله ووداده ، فيكرم بهم من يشاء وبمد بهم من يشاء (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) . وأما غير أولى الألباب فقد غرقوا فى بحر ظلمات الأسباب .

وهنا نكته لطيفة تثبت ان المدد بواسطة الخلق أعلى فى النزاهة من المدد الحق ولنضرب لذلك مثلا : أنت ان أعطيت أيها الكريم عطاء بيدك مباشرة لخادم أو سائل أو فقير فهل تكون فى مقام عظمة الملك والله هو العلى الكبير لا تدركه

الأبصار وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخير فأعطى أنبيائه ورسله وأوليائه وكافة خلقه وعباده وهو المعطى الوهاب .

اظن ان الجواب قد كشف الحجاب واظهر الصواب ، فالله هو الذى خلق الخلق وهو الذى قهرهم علا العطاء بالإلهام أو الإيجاد . قال تعالى : (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) فمتى نسب المدد إلى الله . والإيجاد إلى الله والعطاء من الله ، فلا ضير بعد ذلك على عباد الله فى عقيدتهم من أى سبب يمدون من جانب الأشباح أو من جانب الأرواح ، من عالم الحياة الدنيوية أو من عالم الحياة البرزخية ، حيث ان الفاعل رب البرية وهو على كل شىء قدير ولا يضر بعد ذلك من اعتقد النفع فى الجماد أو العباد أو المدد من الكائنات أو من الأحياء أو من الأموات ، لأن مدد الحى من الحى واصل ومدد الميت من الميت سبحانه متواصل، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، فالحول من الله وهو الموجد والمدد من الله وهو القوى وهو سبحانه يوجد من يشاء وهو المدد لمن يشاء بمن يشاء .

إذا تقرر ذلك فلا جناح على من يطلب المدد من الأولياء ولا من غيرهم أحياء كانوا فى الدنيا أو فى البرازخ لأن حياة الدنيا وحياة البرزخ عند أهل المعانى سواء ، لأن الذى يغنى هو الجسم فقط وأما المعانى فهى قائمة باقية لها التأثير والأمداد بمشيئة رب العباد ، وليس الإنسان بجسمه وإنما الإنسان بمعناه ونفسه ، وقد اتفق علماء النفس على تلك النظرية كما قال بعضهم :

أقبل على النفس واستكمل فضائلها   فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

نسأل الله ان يتدارك الأمة الإسلامية بعلوم الإحسان واليقين حتى تحفظ من فتنة القرن العشرين .

وانى أعجب غاية العجب من قوم يعتقدون ان الله هو الفعال فى جميع الموجودات ثم بعد ذلك ينكرون الوسائل والأمدادات ، مع ان الله لو أراد ان يمد العالم جميعه من ذرة واحدة لفعل وهو على كل شىء قدير ، وقد فعل والأمثلة ظاهرة فى الوجود لا تحصى ، فنحن نرى الحبة من البذور تملأ الأرض أخشابا وتشيد منها

القصور ، فلو وضعت فى الأرض حبة من بذر الشجر وأصابها ماء المطر فلا يمر عليها سنوات ، الا وقد صارت شجرة ذات بذور لا تعد تملأ الوديان أشجارا وتأتى بجذوع الأخشاب ، ومنها تشغل السفن والسيارات والبيوت والسقوف والأبواب ، وقد ثبت فى علم التحليل والتركيب والكيمياء والطبيعات ان الوجود أصله ذره وهو مجموع من ذرات ، واليك يا أخا الإيمان مثل وجود الإنسان ، أوجد الله آدم عليه السلام فكان مثالا للإيجاد والأمداد ، فهل فى الوجود احد يحصى ماله من الأولاد وكل هذا من طريق الأمداد .

وما حدا بمن انكر الوسيلة والأمداد إلى هذا الشقاق والعناد الا جهلهم بالتفصيل ووقوعهم فى ظلمة التأويل ، فلم يستطيعوا ان يفرقوا بين العمل المباشر وبين العمل بواسطة الوسائل ، وهل هناك فرق بين العامل أو المصور الذى يصور الصورة بيده أو يصورها بآله صنعها ، ولكن من اين نأتى لهم بعقول حرموها أو علوم جهلوها ، وقد اثبت حرمانهم الكتاب المكنون قال تعالى : (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) ، فحذر يا اخا الإيمان ان تصغى لقول قوم يجهلون حكمة الرحيم الرحمن فيقعون فى الإثم والعدوان ويكفرون بالنعم التى جعلها الحق وسيلة لمعرفته ، ومن حرم من الوسيلة والأمداد حرم المقصد والمراد لأن الله على عظيم لا تدركه المخلوقات ولا تحسه ولا تمسه ، فأناب عنه الرسل فى أمداد الخلق بالمعارف واللطائف ، وأناب عنهم الأولياء بالأسرار والعوارف ، وأقام كل حقيقة فى الوجود تمد غيرها وهى نعمة المنعم التى أوجدها .

وفى الختام نسأل الله الحفظ من الضلال والخبال . وظلمة الوهم والخيال . انه مجيب قريب على متعال .

(نشيد الأمداد)

بين لأهل الحجا الأسرار راشدى ... وحكمة الله فى خلقى وإمدادى

ونلوح لهم حكمة الأسباب ظاهرة ... حتى ينال الرضا أهلى وقصادى

فلى لهم مجلى الآيات ونظمها ... بعقد در بيانى أيها الحادى

لحن لأهل لطف الأسرار منهجنا ... وأكشف لهم غيب إمدادى وإيجادى

منهاجنا محكم التنزيل حجتنا   فى القول والفعل شرع سنه الهادى
عقب وكرر على سمعى شريعته   لأنها وسط تومى لاسعادى
ودع حديث ولى ليهتك من جهلوا   سور القرآن ومن حجوا بتعداد
ظلوا الى الخلق فاعتقدوا افعالهم   حكموا بأن لهم حول بأمداد
قالوا بأن لهم فى الكون مكرمة   وبعد موتهم فى القبر كرماد
كأنهم نسوا المتصرف للأحيا   وعطلوا قدرة المولى بالحاد
والله يحيى يمد الخلق اجمعهم   بهم يمد سواهم حكمة الهادى
وقدرة الله للأموات والاحيا   للجسم والروح للخالق والبادى
لا فرق بين جسوم لى وأرواح   ولا تبالى تبديل الأرض وجماد
فهو المد لكل الخلق قاطبه   بما يشاء لآباء وأولاد
ولو يشا ان يمد الخلق كلهم   بذرة من عظام الميت العادى
لا يعجز الله فى أمر يدبره   فلا تغنى لضحى ولا تغنى لحساد
فالله بالاوليا مازال يكرمنا   وكم بهم نعمة تولى لقصاد
فى الدين والدنيا فى كل عارفة   وفى البرزخ فلهم سر امداد
لا فرق بين جسوم لى وأرواح   فالفرق فى قدرة القهار كالنادى
والكون فى رحمة الرحمن لاشئ   فذرة الكون عند الله كالوادى
فإن امد من الأموات فهو به   وان امد من الاحياء فالبادى
هو الذى ينشئ الأجسام يبدلها   يعيدها وبها الأمداد بالزاد
زود بالله أهل العلم والتقوى   بالنور والسر وهو المنعم الهادى
سلام لأهل الهدى بأنوار مبدعنا   صلى دوما على نور الهدى الهادى
وبالمعجزات أحدنا والفقه حجتنا   وبعد هذا بسر الاوليا نادى

فالإيجاد والأمداد ليس من صنع العباد ولكنه من قدرة المعطى الجواد ، يمن به على من يشاء فيمد به الأنبياء والأولياء ، وهم به يمدون من سبقت له العناية ولاحظته الرعاية ، فسلم تسلم من ضلال أهل الجهالة والغواية وتكن وسطا بين

التوحيد والتشريع ، وتفقه أسرار القدرة والحكمة فى كل أمر وضيع ورفيع تنـــال معية النبى الشفيع مع النبيين والصديقين والأولياء والشهداء والصالحين .

المقام السادس والستون

(البلـوغ)

سورة الإسراء

قال تعالى : (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أحسن حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) .

البلوغ هو الوصول إلى المقصد تقول بلغ المكان وصل إليه ، وله معان كثيرة بحسب المعنى المراد كقولك : بلغ الغلام أدرك ووصل إلى أول مرحلة من مراحل الرجولية والتكليف ، وقوله تعالى : (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) أى قاربن العدة ووصلن إلى قضائها ، والبلاغ والتبليغ والبلاغة وغير ذلك كلها معان متفرعة تشير إلى نهاية السير مبنويا كان أو معنويا ، وقال تعالى : (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) ، وهنا نتكلم فى بلوغ العبد مقام الإحسان ، والوصول إلى درجات العرفان ، لأن هذا هو مرادنا فى وضع هذا الكتاب وهو أمر كبير وموضوع خطير ، من اجله خلق الله الأكوان وكلف الله الإنسان ، وأرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين وختمهم بسيد النبيين وإمام المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

فالموجودات كلها سائرة بإرادة سابقة وقدرة منفذه وحكمة بالغة للوصول إلى كمالات ربانيه ومظاهر رحمانيه ، وحقائق باقية سرمدية أبدية ، فما تراه من الموجودات فى الأرض والسموات ، من شمس جارية ومن كواكب سائرة ، ومن أفلاك دائرة ومن رياح وبحار وانهار وأشجار وجبال وحيوانات وانعام وانس وجن وملائكة ، وما فوق ذلك من معان وأرواح وانفعالات واختلافات وآيات واشارات، ومظاهر مختلفات وكل جميع المخلوقات مما ظهر للبشر وما هو فى طى باطن القدر ، كل هذا وذاك سائر ليبلغ أرقى مراقى الكمالات لأنه فى الحقيقة صورة قامت بيد قيوم صانع قدير حكيم ليظهر لعباده فى صنعه ومراده ، ويتعرف لاحبابه فى مظاهر آلائه ، ويصور لأوليائه وخلفائه صورة عزته وعلوه وكبريائه،

لأن إدراك ذاته مستحيل واحاطة قدرة شيء عظيم جليل ، لأنه بغير نهاية ومستحيل بلوغ تلك الغاية.

فأراد العلى الكبير . ان يخلق هذا الملك الصغير كمصنع ابتدائى ، ثم يأتى بملك كبير كمصنع ثانوى قال تعالى فى المصنع الصغير : (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) ، وقال جل جلاله فى المصنع الكبير : (وَمُلْكًا كَبِيرًا) وهو يوم الآخرة ومراد الحق سبحانه وتعالى فى خلق الدنيا والآخرة وظهور تلك البدائع وإيجاد تلك الخوافض والروافع واتقان هذه المنافع ليرى لعباده فى طى مصنوعاته ، ويتعرف لخلقه بآيات إبداعه ، وهو جل جلاله سائر بعباده من عدم إلى وجود ، إلى علم إلى شهود إلى معرفة ، إلى كشف آياته الكبرى إلى تجليات أنوار، إلى غيب وأسرار إلى ظهور أسماء وصفات ، إلى ضياء وبهاء إلى مجال الذات . إلى ما فوق العقول والأرواح . إلى بلوغ حضرة الفتاح . لأنه جل جلاله هو الذى يسيرنا هنا فى بر الظهور وبحر البطون ، يسيرنا فى دائرة اسمه الظاهر وفى بحر اسمه الباطن قال تعالى : (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) ، ثم ينقلنا من عالم الدنيا إلى عالم البرزخ ليبدلنا ويغيرنا ويرقنا لصورة أرقى وصنعة أسمى ومقام أعلى قال تعالى : (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرض غَيْرَ الْأَرض) ، وقال سبحانه : (وينشئكم فيما لا تعلمون) فهو جل جلاله أنشأنا أولا فى مصنع الفناء وهو عناصر مادة الأجداد والآباء ، وسينشئونا نشأة ثانية فى مصنع البقاء وفى دائرة الصفات والأسماء ويرقينا إلى بلوغ معيته وعرش عنديته (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ . فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ) وهذا هو بلوغ أول غاية المحسنين ، واما مرادهم ليس له نهاية لأنه فوق كل غاية ألا وهو رب العالمين .

وهنا نشرح السير فى دائرة الدين حتى يستبين الحق للطالبين ويظهر المنهاج للراغبين ان الله سبحانه وتعالى خلقنا من البداية لبلوغ اقصى غاية وغايته سبحانه وتعالى فوق مدارك العارفين وفهم جميع العالمين ، خلقنا من قبضة أنواره فى غيب غيب أسراره ، ثم أوجدنا فى سفينة التطوارت من بدء البدايات ثم أظهرنا ذرا روحانيا ثم حولنا ذرا تكوينيا ، ثم نقلنا إلى مصنع الأرض والسماء والماء

والهواء والعناصر الكونيه ، ومزج فينا جميع العوالم الملكية والملكوتيه والروحية والعلوية وجمع فى هياكلنا كل الموجودات وتجلى عليها بأنوار الأسماء والصفات ثم صورنا فى ظهور الآباء وبطون الأمهات (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ) ، ثم نقلنا فى دار ضيافته الدنيوية وربانا بنعمه الظاهرة والخفية ، حتى بلغنا الحلم فى التربية وتكاملت العناصر الجسمانيه ، فكلفنا بالتربية الروحيـة وادخلنـا المدرسة المحمدية ، وجعل اول برنامج من تعليمها علوم الإسلام وجعـل العلـوم الثانيه فى السنة الثانية علوم الإيمان ، ثم بعد ذلك علم الإحسـان وبعـدها علـوم الإيقان ، وبعدها علوم الرحيم الرحمن التى تجعل الغيب المصون ظاهرا للعيان ، وكلما بلغ العبد مرحلة من تلك المراحل وقطع شوط من تلك المنـازل انزلـه الله منزله أخرى ومقاما أسمى وأعلى .

ولسنا هنا فى بيان الموقنين ولا فى علوم أسرار اليقين ولكننا فى مقام المحسـنين وفى بيان بلوغ الإنسان إلى مقام الإحسان واليك شرح باطن الآيه ، الإنسان إذا فقد الأب الربانى والمعلم القرآنى صار يتيما كفاقد الاب الجسمانى ، ويكون سـفيها لا يحسن التصرف إلى مملكته قال تعالى : (وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ) ، وإبراهيم إشارة إلى الأبوة الروحانيه الربانيه فمن فقد هذه الابوه فهو يتيم وكل ماله حرام على كل عليم ، قال تعالى مبينا لأهل تلك العلوم البيـان الابـين: (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أحسن) فليس المراد بالمال هو فقط مال الدرهم والدينار ، وانما هو ما فى اليتيم من المعانى والأسرار لأن كل آية فـى القـرآن تشير إلى ظواهر الأكوان ومعانى الرحيم الرحمن ، فهناك مال يسمى الفلـوس . وهناك مال يسمى معانى القدوس ، وهناك إحسان فى دائـرة المبـانى . وهنـاك إحسان فى دائرة المعانى ، وعلى هذا تكون معنى الآية ولا تقربوا أيها المحسنون العارفون مال اليتيم الذى أعطاه الله له من عقل وفكر ونفس وروح وقلب إلا بالتى هى أحسن فادعوه إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنه ، وقولوا قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى كما أمر الله موسى بن عمران وغيره من الأنبياء الكرام ، وكمـا أمـر النبى عليه الصلاة والسلام ، فإذا تعلم وعمل بما علم وبلغ فى الدين أعلاه ووصل

إلى رشده وهداه ، فكلفوه بتكليف البالغين وجعلوه فى عداد القائمين لله رب العالمين ، وأمروه بأوامر المرسلين ، ولا تكلفوه ان يعمل بالأسرار التى عنده (حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) أى حتى يبلغ ويصل إلى فهم أسرار الكتاب ويكون عبدا مكلفا ومأمورا بدعوة غيره للملك الوهاب ، وعند ذلك يؤمر بالوفاء ويدعو بدعوة سيد الأنبياء ويكون على عهد الله وكيلا قال تعالى : (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) .

وعلى هذا تكون المعنى ان الإنسان كما له أب جسمانى بفقده يكون يتيما ولا يجوز لاحد ان يأخذ من ماله إلا بالتى هى أحسن ، كذلك من فقد أباه الروحانى لا يدعوه داع إلى الله إلا بالتى هى أحسن ، وكما ان اليتيم من الأب الجسمانى لا يتصرف الا بعد بلوغه سن التكليف ، كذلك فاقد الاب الروحانى لا يتصرف فى دائرة المعانى الا إذا بلغ مقام التعريف .

فأنت أيها الإنسان لم تخلق فى دائرة الأكوان للأكوان ، ولكنك وجدت فى الأكوان لتبلغ بها منازل العرفان وتصل إلى الرحيم الرحمن ، فإن عشت يتيما بغير اب روحانى ولا معلم ربانى ، كنت سفيها لا يصح منك بيعة ولا عقد ولا يقبل منك عند الله عهد ، فإن أكرمك الله بداع يدعوك إلى هداه ، فاعلم ان هذا هو ابوك حقا ومرشك صدقا ومربيك يقينا ، متى وجدت فيه صفات سيد المرسلين من علم وحكمة ورحمة وإحسان وعلم وبيان ورأفة وحرص على بلوغك درجات أهل العرفان ، واما ان عشت بغير معلم ومت على جهالة ، عشت يتيما ومت سقيما وحشرت يوم القيامة اعمى بغير إمام . يوصلك إلى الملك العلام (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ) ، فالبلوغ هو ان تضع نفسك فى حضانة معلم ربانى يربيك بعلمه وعمله وآدابه وأخلاقه ويسقيك من لبان النبوة ومن ماء الرسالة ومن شراب الفتوة ومن خمر المحبة ومن عسل التمكين فى العبودية لرب البرية ، وعند ذلك تبلغ مبالغ الرجال وتتقدم لميدان الجمال والجلال والكمال ، فتكون صورة محمدية ونفسا زكيه راضيه مرضيه نورا وفضلا وحكما . قال تعالى : (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا).

وكما ان الإنسان إذا ترك مولود بغير رضاع ولا اب يربيه مات جسمه ، كذلك إذا فقد الاب الروحانى المعلم مات قلبه ، وكم ذكر القرآن فى آياته تلك المواضيع وشرحها وكررها بشتى الأساليب والتنويع ، وحكم على كل من لم يعمل بتلك التعاليم والآيات ، انه فى عداد الأموات ، فتربية المعانى والافهام كتربية الهياكل والأجسام ، بل ان خلق الأجسام وتصويرها هو لاجل المعانى وشرفها ، فمن ربى جسمه واعتنى به حتى بلغ وترك تربيه معانيه حتى ان قلبه من كل خير فرغ يموت إيمانه وإحسانه ويقبر علمه وإيقانه ويعيش عيشة حيوانيه ، ويموت ميتة شيطانية ويكون يوم القيامة فى اشر بلية ، فيبلغ غيره مقام النعيم ويصل إلى جوار الرحمن الرحيم وهو فى نار الجحيم مع الشيطان الرجيم .

البلوغ هو ان تجد وتجتهد فى نوال العلم النافع والعمل الرافع ، حتى تبلغ مبالغ الرجال العارفين وتصل إلى مقامات المحسنين وترقى إلى درجة الصديقين فإنك لاجلها خلقت وبها أمرت . قال تعالى : (يَا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) وليس كل من قرأ وسمع أطاع واتبع وخشع ، فكم من قارئ للكتاب وهو يمر عليه كمر السحاب ، وكم من سامع للقرآن وهو فى شهوانيه كالحيوان ، فكن يا اخا الإحسان حريصا على هذه الجواهر الإلهية وابحث قبل كل شيء على أب التربية الروحية القلبية ، حتى تبلغ لذلك مبالغ الرجال تنال على يديه الوصال والاتصال ، فليس البلوغ ان تبلغ الحلم وتفوز بالعروس ولكن البلوغ ان تبلغ الوصول إلى حضرة القدوس ، ليس البلوغ ان تبلغ العقار والمال ولكن البلوغ أن تنال شهود الكبير المتعال ، ليس البلوغ ان تصل إلى أعلى مراتب الولايات إنما البلوغ ان تصل إلى رب البريات ، ليس البلوغ ان تكون فى الأرض ملكا أو وزيرا أو زعيما أو اميرا وإنما البلوغ ان تصير بالرحمن خبيرا ، ليس البلوغ ان تبلغ فى الدنيا أعلى مقام وإنما البلوغ ان تصل إلى الملك العلام فى معية النبى عليه الصلاة والسلام ، ليس البلوغ ان تبلغ الحلم فتتصرف فى مملكتك ومالك إنما البلوغ ان تكون متصرفا فى ما فيك من معانى مالك الممالك ، ليس البلوغ ان تسود على جميع سكن الأرض إنما البلوغ ان تقوم بدلا للنبى فى إحياء السنة

والفرض ، ليس البلوغ ان ترث وتملك الناس والامم اجمعين إنما البلوغ ان تــرث ما جاء به سيد المرسلين ، ليس البلوغ ان يبلغ حبك إلى قلوب العالمين إنما البلوغ ان تصل إلى دائرة (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) . نسأل الله ان يبلغنا مقام اللدنيه في الحظوة الكبرى لدى الحضرة المحمدية انه كريم غفور رحيم.

(أنشودة البلوغ)

فى البلوغ نوال قصدى	سر إيجادى ووجدى
سر تكوينى وخلقى	كى انال كمال رشدى
فى ظهور الكون سر	ظاهر فى كل حد
فى ابتدائى كنت نورا	فى ختامى سور عبد
كنت فى غيب المعانى	سابحا فى نور فرد
كنت ذرا فى ألست	عندها نولت عهدى
عندها صح انفصالى	شاهدا والحب عندى
سرت فى طور المعالى	سائرا للكون اشدى
اتغنـــــى بجمـــــال	لاح لى فى حال ودى
عندما نادى المنادى	قائلا لى أنت قصدى
بعدها كونت ويحى	ونزلت بدار صد
وحجبت بكون ذاتى	وسترت بنار بعدى
آه منى فى حجابى	وعذابى بالتردى
حجبوا الأنوار عنى	كى اعود لها بجهدى
ستروا عنى جمالا	كان صوتى عن ورى
كى اسير إليه دوما	خلف طه خير جدى
وهو طلبى وهو وصلى	وهو داع الحق عندى
وهو روحى بل وراحى	وهو عنى كل قصدى
وهو نورى بل وسرى	وهو قلبى بل ويدى
وهو منهاجى امامى	وهو عندى كل مجدى

منذ بلغت الكون صرت　　　بعد اطلاقى بقيد
قيد الهيكل روحى　　　عندما بلغت رشدى
حكمة المولى تعالت　　　[illegible]
كلف الجسم تعالى　　　كى يعود النور مبدى
فى ركوعى فى خشوعى　　　تظهر الأنوار تجدى
فى سجودى فى خضوعى　　　سر قلبى رمز عودى
حال حجى وطوافى　　　تشرق الأسرار تبدى
سر عودى لا بتداء　　　فأرى التواب عندى
والوقوف يليح غيبا　　　بعده الزلفى لردى
كل تكليف بجسمى　　　للبلوغ بسير يبدى
لم ازل فى السير حتى　　　بعد موتى بعد عودى
والبلوغ الحق يجلى　　　عند رب العرش يهدى
خصنى منه بفضل　　　فبلغت كمال قصدى

فالإنسان ابتداء كان فى حظيرة الرحمن نورا سابحا فى غيوب الأسماء والصفات ، ثم اوجده الحق فى سور من الكائنات ، وشرع له منهاجا لنوال الكمالات ، وصوره جسما ظاهرا ليظهر الحق خلاقا صانعا قادرا ، وأمره بكل أمر حكيم ليكون ذا جمال وكمال فى معية العليم ، وليبلغه المأمول ويجعله صوره تمثل صورة الرسول ليدخل الحظيرة الكبرى عند العلى الاعلى ، وهناك يتم دوره ويزيل يتمه ويبلغ أشده ويحظى بقربه عند ربه ، وهذا هو بلوغ المرام عند الأنبياء والأولياء الكرم على نبينا وعليهم السلام .

المقام السابع والستون

(التأويل الأحسن)

سورة الإسراء

قال تعالى : (وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) .

التأويل معناه فى اللغة التفسير ، ومن معانيه الشرح والتوضيح والتفصيل وكل من صفات الله كما قال تعالى : (مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ) ، فكل شىء يدلك ويبين لك ما خفى عنك ويعرفك ما كان مجهولا يسمى تأويلا ، وقد فسر التأويل هنا أكثر المفسرين بمعنى المآل والمرجع ، وعلى ذلك يكون مقام التأويل بحر من المعانى لا ساحل له ودائرة من الأسرار لا حدود لها وكيف لا وهى كلمة الله وصفة من صفات الله تعالى كما أشرنا ، والتأويل هو بحر الحقائق وميدان الرقائق ، يغترف منه البار والفاجر والصادق والمنافق وهو على أقسام كثيره بل هو بعدد أنفاس العلماء ومشاهد الحكماء ونظرات الفقهاء وفهم الشهداء ومدارك الفلاسفة وبيان الفصحاء ، وان شئت فقل ان هناك تأويلا فى دائرة الخيالات وتأويلا فى دائرة الوهميات ، وتأويلا فى دائرة المعقولات وتأويلا فى دائرة الأفكار ، وتأويلا فى دائرة الأبصار وتأويلا فى دائرة الأرواح ، وتأويلا فى دائرة النفوس وتأويلا فى دائرة القلوب وأسرارها ، وتأويلا فى دائرة النفخة القدسية وعلو مقامها .

ومن هنا قامت الثورة من بدء الخليقة بين كل تلك المراتب علوية وسفلية وأول من أول ، ابليس لعنة الله عليه طرد من رحمة الله ، وعلى هذا يكون التأويل بالجمال على قسمين : تأويل فى دائرة الحق وبيان المراتب والمقامات والمنازل والمراحل. وتأويل فى دائرة الضلالات وتأييد الباطل ، والحرب بينهما دائم ومتواصل ولما كان مقام التأويل واسع الأنحاء فسيح الأركان والأرجاء ، معلوم على قدر ما تطيقه الفهوم وما ينتفع به أهل الإحسان من بنى الإنسان ، وما يعرف به أهل الدين مكائد خطوات الشياطين فتح الله خزائن التأويل للعامل الملكوتى وواجه به سكان العالم السفلى ، فكان النزاع بين العالمين والحرب بين الجهتين إلى ان أراد الرحمن ان يخلق الإنسان وشاءت حكمته ان يقهر العالم الأعلى للعالم الادنى ، وأمر الملائكة بالسجود لآدم ، فأولت الملائكة وعلى رأسهم إبليس اللعين قائلين

بالتأويل قياسا على ما سبق ووقع فى الأرض (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) ، فأجابهم الحق بتأويله الحق (إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) أى انى اعلم بتأويل امرى وسر تكليفى لكم مالا تعلمون بقياسكم وتأويلكم ، وكان ما كان من الحق والصواب فى تأويل العليم الحكيم الوهاب ، فانفرد الحق جل جلاله بعلم التأويل وزلت فيه الملائكة وظهرت حكمة الله العلية وأسراره الخفية للعوالم العلوية ، وعلم آدم من العلم والتأويل ما صار به استاذا للملائكة الكرام وأمرهم الحق جل جلاله بالسجود والخضوع لآدم عليه السلام ، فاطاعوا وسلموا الله صاغرين ومن هنا عجز الملائكة عن ادارك باطن التأويل حتى علمهم العلى الجليل ، ولكن إبليس اللعين وقف عند تأويله وتعصب لقياسه ورأيه وقال مؤولا فى امر رب العالمين : (أنا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) ، وعند ذلك ظهر الكائنات وبرز فى العالم الإنسانى التأويل الرحمانى والتأويل الشيطانى ، وصار الآن آلتان . للخير آلة تأويل . وللشر إلى تأويل . أول ابليس لآدم فأخرجه من الجنة ، وأول قابيل امر ابيه فقتل اخاه وأصبح من النادمين، وما زال التأويل مسرح روايه الحق والباطل يظهر فى كل زمان ويبرز فى كل آن ، فيظهر النبى من الأنبياء والرسول من الرسل يمثلون دور التأويل الحق ، وقوم الشيطان وحزبه فيمثل دور التأويل الباطل حتى فى عصر الخليل عندما قال للنمرود : (رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ) ، فقال النمرود مؤلا : (أنا أُحْيِي وَأُمِيتُ) ، وأنتهى الامر بانتصار التأويل الممد من العلى الكبير العليم على التأويل الممد من الشيطان الرجيم .

وهكذا فى عصر موسى عليه السلام وفى عصر عيسى عليه السلام حيث وصل التأويل بقومها لعبادة العجل وجعل العزيز وعيسى آلهين من دون الله ، وما زال التأويل مصدر التحقيق والتضليل فى كل عصر وجيل حتى بعث الله خاتم النبيين وسيد المسلين بالكتاب المبين فشرح وفصل ووضح كل مقام ، ووضع قواعد الإسلام وأمر العباد بالبحث والتأويل فى دائرة وحذر فى اخرى ، وامر بالتسليم فى مقام وامر بالنظر والتفكير فى غيره ، فقال جل جلاله فى مقام النظر والتفكير:

(أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ . وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) ، وقال فى مقام التسليم والإيمان : (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ) ، وقال (فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) ، وقال (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) وغير ذلك من الآيات كثيرة ، ثم وضع الله الإمام المبين والحصن الحصين وهو الاتباع لسيد المرسلين الذى علمه وعصمه وحفظه من الزلل والضلال فى التأويل ، ثم جعل سبحانه فى كل زمان امام وارثا له محفوظا بحفظة متمسكا بسنته عاضا بنواجذه على منهاجه ، وقد أوصانا رسول الله بإتباع خلفائه الراشدين الهادين المهدين وجعل لهم علامات كثيره يعرفون بها ، وقد تكلمنا عنها فيما سبق من المقامات فى الجزئين السابقين ولا نخلى هذا المقام من وصف الإمام ولو بالإجمال . الإمام والخليفة القائم على ثغر النبى الخاتم هو رجل شبيه بالنبى فى رحمته على المؤمنين وفى شدته على الكافرين ، لا يخالف النبى صلى الله عليه وسلم فى صغيره ولا كبيره ، قوله وعمله وحاله وأخلاقه الكتاب والسنة داع إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والبرهان ، ان قال قال بالقرن وان عمل قال امرنى القرآن ، وان تأدب قال ادبنى القرآن ، القرآن حجته ومنهاجه وشرعته ، وهذا هو الحصن الوحيد الذى ينجى كل مؤمن من التأويل الفاسد ويحفظ كل عالم ويغيث كله جاحد ولاحد ، ويكشف العظماء عن كل اختلاف ويريح كل كادر مكدود ويرفعه إلى مقام الأعراف .

وهذا إمام زماننا وخليفة نبينا ومرشد عصرنا مولانا السيد محمد ماضى أبو العزائم كم نجانا الله به من مشاكل ، وكم بين لنا بتأويله الحق من منازل ومراحل، وكم وضح لنا من مبهمات وكم كشف لنا عن معضلات ، حتى اصبح الغيب ببيانه منظورا والخفاء ظاهرا مشهورا ، واليك كتبه العديدة فتصفحها ترى العجب وتفوز باعلى المقامات والرتب ، وكم ظهرت فى عصره من تأويلات ملأت جميع الجهات .

هجم تأويل العلوم الغربيه على البلاد الشرقية ، وكم فسدت الفلسفة اليونانية رجالا من الأمة الإسلامية ، وكم حملت الحملات التبشيريه على الثغور الإسلامية بشتى

التأويلات ، يريدون ان يطفئوا نور التأويل الالهى بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره فى كل عصر برجل عالم ربانى أو وارث محمدى يرد كيد الضالين فى نحورهم ويسفه احلام المؤولين فى تأويلهم ويظهر الحق جليا لك مؤمن ، ويشهد المعانى ظاهرة لكل محسن وهو حجة الله فى أرضه فى كل زمان ، وبرهان صدق الرسالة والنبوة فى كل آن .

سمعت فى عصرى ورأيت وجلست كثيرا من أهل التأويل وقرأت كثيرا وكثيرا من كتب العلماء والأدباء والفلاسفة ، فرأيت وسمعت ما يحير الألباب ، وجدت من وصل به التأويل حتى جعل بتأويله الباطل حقا والإنسان قردا (كدرون) ، ومنهم من انكر الإله واثبت الطبيعة ، ومنهم من انكر الوسيلة ، ومنهم من جعل جميع الرسالات التى جاءت قبل النبى الخاتم ثابتة معمول بها للان وقال كل الأديان بمنزله واحدة وكل متمسك بدين فهو على حق مبين ، ومنهم من أول فى القرآن فقلب المباحث النظرية والأوامر الشرعية روحية ومعنويه ، فوقع واوقع غيره فى الحلول والإباحة ، ومنهم من أول آيات الكافرين والصنميين وطبقها على أعمال المسلمين ، ومنهم من احل المحرمات وشوه المعانى بشتى المتشابهات ، ومنهم من اول فى دائرة التنطع جاهلا بحكمة المشرع فوقع واوقع غيره فى حبس شنيع ونسب المسلمين إلى الابتداع جهلا منه بوسعة الدين فى نواحى الخيرات والمنافع والبركات ، ومنهم من سد على المسلمين باب الاجتهاد والاستنباط فوقع فى الخمول والانحطاط ، ومنهم ومنهم ومنهم حتى أصبح الوجود من شرق الأرض وغربها هائجا مائجا ينطبق عليه قول الله تعالى : (وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ) ، فلا ترى دولة مع دولة ولا امة مع امة ولا شعبا مع آخر ولا جماعة مع جماعة ، ولا حزبا مع حزب ولا اسرة مع اسرة ولا فرد مع فرد ، مهما كان الأمر بينهما الا والتأويل علم يرفرف على كل حاضر وباد وكل فرد من العباد ، حتى عم التأويل كل الطبقات وسرى فى المعاهد والكليات التى كانت معاهد ومدارس لفك المشكلات ، فأولوا مشاهد التنزيه حتى أوقعوا المتعلمين فى بيداء التيه ، وجهلوا علوم التشبيه والتمثيل ويحكمون بتأويلهم التنزيهى بالكفر على كل

مشهد تشبيهى ، كما أن هناك من أول بالتشبيه حتى جعل مقام التنزيه فجسم وحيز الإله ، ولا حول ولا قوه الا بالله ، ولسنا هنا فى مقام رد على كل تلك الوجه لأن هذا شرحه يطول ، ولكننا هنا فى مقام بيان لتأول أهل الإحسان وهم أهل السابقية من المعية المحمدية .

وطريقهم طريق النجاة الذى مهده رسول الله ، وأوله التسليم للأوامر القرآنيه والعمل بظاهر الأحكام الشرعية من غير تأويل ولا شك ولا ترديد ، والتصديق بما جاء به الرسول الأمين من عند رب العالمين ، قال تعالى : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) ، بعد العمل والتسليم والإيمان يرفعهم الله لمشاهد الإحسان ومنازل العرفان، واليك المثل المحسوس الذى تخضع له جميع النفوس ، لو احب أى إنسان ان يتعلم أى علم من العلوم أو مهنه من المهن أو حرفة من الحرف أو صنعة من الصنائع أو أراد امى ان يتعلم القراءة والكتابة فلابد ان يسلم لمعلمه كل امر ويطيعه فى كل حكم ، ويؤمن بصدقه وحسن نتيجة علمه وبعد ذلك يحرم على نفسه التأويل فى أوامره ، وبهذا يصل إلى علوم معلمه ويكشف أسرار كانت مطوية فى نواحى أوامر المعلم ، وبعدئذ يمكنه ان يؤول ويستنبط ويدخل التحسين فى ما تعلمه ويقيس ما تعلمه على نظير ما لم يعلمه من قبل ، وهذه قاعد كلية لكل علوم البرية وجميع أعمالها البدنيه العقلية والروحية ، وكلما وصل المتعلم إلى عمل حسن وجد فى العمل ترقى إلى الأحسن .

وكل شيء وضع لله له فى الوجود ميزان وجعل ميزان الموازين والعقل السليم فى الجسم السليم فميزان المبانى به وميزان المعانى به ، فإذا اختل اختلت جميع الموازين فلا يبقى هناك عمل ولا قول ولا إصلاح ولا علم ، فأصل كل القواعد الكونيه مستقرة على مركز العقل ، وهنا نؤول ما جاء فى النقل ان الميزان المراد فى القرآن هو العقل الذى يعقل عن الرحمن ، وهناك عقل سليم مستقيم وعقل سفيه سقيم ، ولذا يقول الله تعالى : (وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ) وهو العقل الحكيم والقلب السليم والكتاب المبين ، فمن حكم عقل بعد العلم والتثقيف واستغنى قلبه بعد

طهارته من أمراض الحظوظ والأهواء ، واستفتى كتاب رب الأرض والسماء فقد قام بالتأويل الحسن ومن حكم عقله واستفتى قلبه وشاور أهل الذكر من العارفين بالكتاب ، فهذا هو الذى قد أحسن وأصاب لأنه قد عمل بكل الكتاب ، وهذا المعنى هو المراد فى قوله تعالى : (ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) ، لأنه سبحانه امرنا بصيغة الجمع فى قوله (وَزِنُوا) ولم يقل بالأفراد إشارة إلى فعل الاستشارة بعد سلامه العقل والعلم والقلب قال تعالى موضحا ذلك فى خطابه لامام أنبيائه : (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) ، فالتأويل الأحسن هو ان تتعلم وتعمل بما تعلم وتسلم وتؤمن إيمانا لا يشوبه أى شائبه ثم تصاحب أهل الذكر وتسألهم عن كل شبه من الشبهات ، وكل مشكلة من المشكلات وتعرض بعد ذلك كل ما يقع لك فى كل امورك عليهم فان حفظ الله لا يفارقهم والهاماته لا تحبس عنهم وإمداداته لا تنقطع عنهم ، وهم فى كل زمان جنود لخليفة الرحمن ومن كذب بهم ولم يؤمن بوجودهم فقد كذب القرآن ، وكذب أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم قال تعالى : **(وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ)** ، وقال فى إمامهم : (يوم ندع كل إناس بامامه) ، وقال صلى الله عليه وسلم لا نزال طائفة من امتى على الحق لا يضرهم من خالفهم الخ الحديث ، وغير ذلك من الآيات والأحاديث ما لا يدخل تحت حصر ، ومن العجب ان هناك طائفة تسمى نفسها " أنصار السنة " وتنكر على هذه الطائفة وتكذب ان هناك أولياء له يكرمه الله بميراث النبوة ويعلمهم علم الرسالة ويفقههم أحسن التأويل ، ويحفظ بهم منهاج الدين ويجدد بهم فى كل زمان علوم الإحسان واليقين وهذه الطائفة المكذبة موجودة فى القاهرة عاصمة بلاد مصر وهى أشر على الأمة الإسلامية من أعدائها الكافرين والمنافقين .

فأهل التـــأويل الأحسن هم رجال قاموا بآداب الشريعة المحمدية ودرسوا أعمال خير البرية وحرصوا على التشبع به فى كل مزيه ، فقالوا بقوله وعملوا بعمله وتحققوا بآدابه وأخلاقه ، ونهجوا منهاجه القويم وسلكوا صراطه المستقيم ، وزكوا نفوسهم وطهروا قلوبهم من خطوات الشيطان الرجيم فتولاهم الله ، وعلمهم أحسن التأويل وإقامه مقام عباده الصالحين ، فكانوا فى حصن امنه محفوظين قال تعالى :

(أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) فالسعيد من وجدهم وتعاون معهم واقتدى بهم واهتدى بهديهم ، وانى على يقين أنهم فى هذا القرن العشرين هم أتباع الإمام القائم مولانا السيد محمد ماضى أبو العزائم ، الذى اتى بالتأويل الأحسن وطبق السنة والكتاب على أحوال هذا الزمن نسأل الله ان ينشر علومه فى الآفاق حتى يذهب تأويل أهل الكفر والشقاق وتعود للأمة المحمدية أنوار خير البرية انه مجيب الدعاء.

(فى التأويل خير كثير)

فى أحسن التأويل للافهام	خير كثير من لدى العلام
فى أحسن التأويل علم حقائق	جلت عن الإدراك للأعلام
غابت عن المعانى فى البدء العلى	حجبت عن الأفكار الأوهام
والحق فى التأويل زال وحيرا	وكذلك كان الخلق فى الابهام
(ولا يحيطون بشئ) حجبت	نص القرآن بدا بنور امام
والحرب فى التأويل قبل ظهورنا	من قبل آدم فى مراد كلامى
بين السماء والأرض حرب دائم	بين الملائك بين سفل رغام
حتى رأى الحق بروز فضله	للناس بالاكرام والانعام
بخليفة من طينه كونيه	اسرار تأويل إلى الإسلام
سجد الملائك عندما امروا به	ابليس اوّل كادحا بظلام
سموا الإمام أتى بظلال مؤولا	للان والتأويل فى اقسام
قسم يضل الظالمين بظلمهم	وكذا يؤول كل فعل حرام
حتى اتى خير الهداة محمد	ببيانه الشافى لكل مرام
فأبان سر الغيب فى تأويله	والنور اشرق فى على مقام
من بعده الخلفاء فى تأويلهم	خير كثير فى هدى الإسلام
فى صون نظامهم الإمام محمد	طبى الغزالى حجة الإسلام
فجاء بالتحقيق والتطبيق من	كنز النبوة ماحيا لظلام
من أحسن التأويل مهد نهجه	وسبيله كالشمس فى الآكام

فاقرأ تأليف الإمام وقم بما يعليك فى التأويل خير قيام
فالله يعطى من يشاء بفضله أعطى الإمام فكان خير إمام
فى العلم والتأويل سيد زمانه فى الشرح والتفسير نور ختام
قهر الفلاسفة الطغاة بحجة غربا وشرقا بالضيا الإلهام
قهر الملاحدة العتاة بعلمه فأتى بهم لحظيرة الإسلام
والمنكرون جميعهم خضعوا له بالعقل والإفهام والأجسام
فى أحسن التأويل لا حضيض له ساد البرية بعد كشف لثام
وقد فاز بالتأويل من يد أحمد طه التهامى صفوة العلام
يختص بالتأويل ربى من يشا وبه ينال العبد خير مقام

فلا يصل إلى مقام أحسن التأويل الا من ثبت قدمه وتمكن فى المقامات جميعها ، فدرس علوم الإسلام وعمل بها ودرس مقامات الإيمان وصدق بها ، وجذبته العناية إلى مقامات الإحسان فكوشف بأنوارها ، رسخ قدمه فى مقامات اليقين وفى كمالات التمكين فكان وارثا لعلوم سيد المرسلين ، وعند ذلك يكون حجة أهل زمانه فى تطبيق الكتاب والسنة على الأحداث الزمنيه بما لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم موجود لحكم بها واقرها ، وهؤلاء الرجال لا يخلوا منهم زمان ولا مكان حفظا لميراث النبى عليه الصلاة والسلام ومصداقا لقوله : ((عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين الهادين المهدين من بعدى عضوا عليها بالنواجز)) ، وبيانا لقوله تعالى : (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ) وهم أهل التأويل الأحسن الذين حفظ الله بهم الدين من التبديل والتغيير ، نسأل الله ان يجعلنا من هؤلاء الرجال وان يحشرنا فى زمرتهم وقد من الله علينا فى هذا الزمن بوارث كلى وخليفة محمدى بلغ ارقى منازل أحسن التأويل ، وقد اغترفنا من بحره وشربنا من صافى مناهل علومه وأسراره وكل ما وفقنا الله لقوله أو كتابته فوقع موقع الصواب ، ما هو الا من فيضه وما تلقيته فى مجالسه فجزاه الله عنا خير الجزاء ونشر علومه فى جميع الأرجاء حتى تعود سنة سيد الأنبياء انه سميع قريب مجيب الدعاء .

المقام الثامن والستون

(القول الأحسن)

سورة الإسراء

قال تعالى : (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا) .

القول هو الصوت الخارج من فم الإنسان ليفهم غيره وليظهر مراده الكامن فى قلبه ، وأقسامه كثيرة بحسب درجات القائل ومراد المتكلم ، وقد تكلم فيه علماء الكلام ولسنا فى حاجة إلى تعدد تلك الأقسام الا بما يتناسب مع هذا المقام ، فنقل ان أهل الإحسان قسموا الكلام إلى خمسة اقسام : كلام حيوانى يخرج من فم المتكلم فيحرك ثورة الإنسان فينقلب حيوانيا يرفس برجله كالحمار ويضرب بكفه كالسبع ويعض بأسنانه كالكلب ويفترس كالوحش ، وقسم شيطانى يخرج من فم قائله فيوقع العداوة والبغضاء بين الأفراد والأسر والشعوب والدول وما الحروب الا كلمة يقولها رجل فيقوم شيطان الحرب بين الناس ، قسم إنسانى فى المصالح والضرورات والكماليات وبه التبادل والتفاهم فى الحاجيات ، وقسم حسن فى بث الخيرات والصلح والإصلاح والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والقسم الخامس وهو الذى عقدنا من اجله هذا الباب وهو القول الحسن الذى لا يقوم به إلا العباد المجملين بجمالات الإحسان الذين سبقت لهم من الله الحسنى واشهدهم مشاهد المحسنين وكاشفهم بمعانى أسرار آياته وحكمة أنواره وأحكامه ، وغيب مراده فى مكوناته وما خفى على الناس فى طى رسالاته ، فقاموا دعاة إلى الله بأقوالهم وأعمالهم سر قوله تعالى : (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا) ، فثبت من تلك الآية الشريفة ان القول الأحسن هو قول الدعاة إلى الله الذين أقامهم الله نوابا عن رسله الكرام وخلفاء عن النبى عليه الصلاة والسلام .

والقول الأحسن هو ارقي الأقوال التى تدل على الكبير المتعال ، فتبين للناس معرفة الله والعلم بأيام الله وأحكام الله وحكمه سبحانه وتعالى ، وبيان محبوباته التى يحبها من عباده والأخلاق التى جاء بها القرآن واتصف بها المصطفى عليه الصلاة والسلام والآداب التى أدبه الله بها وكمله بكمالها ، سر قوله عليه الصلاة والسلام (ادبنى ربى فأحسن تأديبى) ، وقول الله تعالى مادحا لنبيه عليه الصلاة والسلام : (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) ، فكل قول يبين أو يشير إلى رسالة البشير النذير هو من قسم القول الاحسن ، وأحسن الشئ أعلاه وأرقاه ، وارقي المقامات الإنسانيه هى مقامات العبودية المنسوبه إلى الذات الإلهية ، فالعبد المتمكن الأمكن هو المشار إليه فى قوله سبحانه : (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) .

ولنضرب لك مثلا حتى تميز به القول الأحسن من القول الحسن ، أنت أيها الداعى إلى الله إذا قمت لله داعيا ولمنهاج نبيك هاديا ، فأهانك أى إنسان فكظمت غيظك وعفوت عن خصمك وقلت له بلسان الإحسان عافاك الله وسامحك الله ، هذا هو القول الحسن . وأما القول الأحسن فانك تنسب الإساءة لنفسك والخطأ فى قولك وتحسن إلى من أساءك قال إمام المحسنين مولانا السيد أبو العزائم : " ليس المحسن من أحسن لمن أحسن إليه . إنما المحسن من أحسن لمن أساء إليه " ، وأنت فى قولك للمسئ عافاك الله وسامحك الله إشعار بأنه أساءك وأنت تفضلت عليه بالعفو والسماح ، ولكن فى نسبة الخطأ لنفسك وانك تستحق إساءة المسئ انتقال من الحسن إلى الأحسن وقتل للشيطان وسد لباب النزغات الشيطانية بين الإنسان .

واليك ذكر حادثه من ملايين الحوادث لإمام الزمان مولانا السيد محمد ماضى أبو العزائم تدل على انه قام بالقول الأحسن . كنت فى صحبته بثغر الإسكندرية وكان يلقى درسا فى بعض مساجدها فتآمر عليه ثلة من العلماء وقدموا شابا طالبا من السفهاء ليوقف تيار الدرس ، ويجادل الإمام أمام جمهور العوام ، الذين لا يميزون بين صواب العلوم من أخطائها ليحطوا من قدر الإمام فى هذا المجتمع ، فوقف الشاب مجادلا وللإمام سائلا ولأقواله مخطئا ، فلما لاحظ الإمام مقصده وما يريده

ترك حلة العلم ولبس حلة العبيد قائلا له : يا بنى انى لست بعالم وإنما أنا رجل احفظ بعض كلمات من كلام العلماء أقولها فى دعوة الخير لأكون من امة محمد ، فقال له الشاب : وحيث انك لست بعالم فلم تجلس هذا المجلس وتدرس للناس، فأجابه قائلا : انى لا اجلس هذا المجلس إلا عند فقد العلماء فمتى وجدوا تركت لهم ميدانهم ووظيفتهم وجلست لاسمع منهم وانى ارى فيك نور العلم فتفضل مكانى واسمعنى وعلمنى ، وكان يكلم الشاب بحالة جدية لا بحال سخرية ولا بطريقة هزلية ، وقال فى سؤال الشاب وهو من ابسط الأسئلة يا بنى لا ادرى ، وعلى هذا ترك الدرس وخرج وطفى نار الفتنه التى دبرها العلماء وكان فى صحبته كثير من تلاميذه وأكثرهم من العلماء الكبار فبعضهم كاد يختنق من شدة غيظه مما حدث من اعتراف الإمام بالجهل أمام هذا الجمهور الاسكندرى ، وعدها انها هزيمة مصطنعة تحط من قدر الإمام وهى فى الوقت نفسه هزيمة للحق ونصره للباطل، فشعر الإمام بحالته فنهره وزجره وجمع تلاميذه وشرح لهم مقام القول الأحسن ، وفهمهم ان الداعى إلى الله إذا وجد أمامه معاندا ومجادلا لا يخضع إلى الحق ولا تنفعه الحجة ، فالأولى للدعى ان يتركه معترفا بجهله ليبقى على إسلامه ، وليسد باب نزغات الشيطان ، ثم قال : يا بنى انى رأيت بالمسجد ثلة من العلماء الذين يشكون فى صدق دعوتنا وبعضهم يحسدنا فإن أقمت الحجة على الشاب السائل فكأنى أقمتها على العلماء الذين أوعزو إليه ، ومتى أقمت الحجة أظهرت الحق ، ومتى ظهر الحق لمسلم وعانده ولم يخضع له انسلخ من الدين فأردت ان ارحم إخوانى ولا اكون سببا فى وقوعهم فى هذه الفتنه ، وأنتهزت هذه الفرصة لاعمل بقوله تعالى : (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ) ، وهل ترضى يا بنى ان الشيطان يقهرنى حتى امكنه من ان ينزع فى مجلس .

هذا مثال عملى قولى كان لدائنا مرهما ولتعليمنا منهاجا ، فقمنا جميعا ونحن لله شاكرين وللإمام داعين ان الله ينفعنا بتعاليمه وسر دعوته ، وكم سمعنا ورأينا مثل ذلك مما لا يقع تحت الحصر ومنها انه عندما جاء من السودان ونزل فى منزله بناحية السلطان الحنفى بالقاهرة ، وسكن فى جناح منه قبل ان يشتريه فعاكسه

السكان وبالغوا فى إيذائه ليخلى لهم البيت حتى يكونوا فى حريتهم التى كانوا فيها من قبل ، فكان من السكان رجل وامرأة يشيعون الفاحشة ويروجونها فلما جاورهم الإمام بدل البيت مسجد بعد ان كان حانة خمر ومحل فحش فكانوا كل وقت يتفننون فى أسوأ الإساءة حتى يخرجوه ، وكان قدس الله سره يقابل ذلك بأحسن الإحسان من الأقوال والأفعال ، فكانت معارك أخلاقيه وأرقى أمثله إحسانيه وحقا قد برهن الإمام على انه من العباد الذين قالوا بالتى هى أحسن ، وقد أحسن الله إليه بأن ملكه هذا البيت فاشتراه وبنى فيه مسجدا صار روضة لجسمانه الشريف فدفن فيه ، وهو معروف يزار وتدرس فيه علومه وصار معهدا علميا تجتمع فيه الأمه الإسلامية على اختلاف طبقاتها فيدارسون علوم الرسالة التى بينها فى كتبه وللكثيرين من تلاميذه .

فالقول الأحسن هو الذى قامت به الأنبياء والرسل الكرام ودعا به المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وهو ميزان كل داع إلى الله وعلامة أهل الإحسان الذين هم حزب الرحمن فى كل زمان ، واما من ادعى انه من الدعاة إلى الله ولم يتحقق بالقول الأحسن فهو كاذب فى دعواه مفتر على الله متصنع فى هداه .

فالقول الأحسن هو ان يقول قائله بأقوال النبى صلى الله عليه وسلم بعد العلم والعمل والتقوى فيرى الفتح المبين ، والعلم اللدنى قد افيض على قلبه سر قوله تعالى : (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ) فيفقه أسرار القرآن وعلوم الرسالة ويجد نفسه واجدا وميسرا للدعوة المحمدية ومنشرح الصدر فى القيام بتبليغها ، واول علامة يعرف بها الداعى نفسه انه قد صار من أهل القول الأحسن هى المسرة عند وقوع الأذى عليه والفرح عند الابتلاء بما كان سابقا لا يقدر عليه ، وكشف علوم الرسالة وحل عقدة لسانه ببيانها وهى خمسة علوم ذكرتها فيما سبق : وهى علم الآيات . وعلم تزكية النفوس . وعلم الكتاب . وعلم الحكمة . وعلم الأسرار ، واعلى العلامات هى التخلق بأخلاق سيد الكائنات من حلم ورحمة ورأفه وحرص على المؤمنين وكرم وإحسان وغير ذلك ، وكلما كانت الأخلاق المحمدية فيه أكثر كان بالنبى صلى الله عليه وسلم اشبه ، وكلما كان املك لنفسه حال ايذاء الخلق له

كان للقول الأحسن افقه ولله تعالى اقرب ، لأن النفس للسوء أمارة والقول الأحسن لتزكيتها اكبر إشارة ، ولان اللسان هو ترجمان حقيقة الإنسان ولذا قال عليه الصلاة والسلام : ((المرء بأصغريه قلبه ولسانه)) فيعرف قدر المرء من نطق لسانه ، ويعرف مقامه من بيانه وهو مخبوء تحت أقواله ومستور فى سور أعماله، وحوادث الإيذاء ورفرف الكمال وحلل العبودية وحلية المعية المحمدية وزينه المراتب الإحسانيه وعلامة القربان الالهية ومعارج الترقى والمزيد فى منهاج مقامات العبيد .

ومتى اتصف العبد بالقول الأحسن دخل فى الحصن الحصين الامكن واصبح الشيطان ليس له عليه سلطان قال تعالى : (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) ، لأن الشيطان له فى كل مقام خطوات وله فى كل ميدان جولات وصولات ، ينزع فيها بعداوته ويوسوس فيها بضلالته ، الا مقامات العبيد فهو عنها طريد بعيد ، فالشيطان لا يستاء ولا يحزن الا من عبد يقول الأحسن ولذا يقول الله تعالى : (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا) .

وهذا اجلى بيان لحفظ الإنسان من الشيطان وكأن الله يقوله فى هذا البيان قل يا محمد لعبادى ان لكم فيكم حصنا حصينا وبيتا متينا مكينا يحفظكم من نزع الشيطان ويقيكم من عداوة كل ما فى الأكوان ألا وهو القول الأحسن ، الذى يدفع عنكم كل شر وضر فى كل زمن لأن القول من اللسان هو مفتاح الخير والشر فى كل زمان ومكان ، فكلمة تملأ الأرض خيرا وكلمة تملأ الأرض شرا ، وما الرسالة الإلهية المحمدية الا قول يقال وبها كل خير وجمال ووصال وكمال ، وما الشر الا من اللسان والأقوال ، فالقول اما ان يرفع صاحبه إلى أعلى عليين واما ان يرده إلى أسفل سافلين ، قال الشيطان كلمته المعروفة وهى : (أنا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) فسقط بها وطرد ولعن إلى اسفل سافلين بعد ان كان رئيسا للملائكة المطهرين ، وقال آدم كلمته المشهورة فى الكتاب المبين :

(رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) فاجتباه ربه وجعله من النبيين .

فالقول الأحسن ان تعترف دائما بحقيقتك العدميه وصفاتك الطينية وألوانك الظلمانيه وأحوالك العبدية ، وتنسب لله كل فضل وخير ونعمه وبذلك تحفظ من الشرور والغرور وتفز بأحسن العاقبة فى كل الأمور .

قام الإمام فى عصره بأحسن القول فدعا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وجادل بالتى هى أحسن ، فجمع أفراد الأمه حوله من المؤمنين والأتقياء والصالحين الأولياء ، وألف وكتب ونشر الكتب الكثيرة بالقول الأحسن فأعاد للامه علومها المحمدية وأسرارها الشرعية ومحبتها والفتها وجمعها على الكتاب والسنة وربط بين المصرى والسودانى والحجازى والمراكشى ، وقد كتب فى ذلك ثلاث كتب : كتاب يسمى الإسلام دين . وكتاب يسمى الإسلام نسب . وكتاب يسمى الإسلام وطن ، ووضع غيرهم من الكتب فى كل نواحى ثغور الرسالة المحمدية ، فكان كل رجل تصله تلك الكتب يقوم ثائرا لدينه ناهضا لسنة نبيه ، فإذا بحثت فى اصل كل نهضة فى هذا القرن العشرين وقومة الشرقيين وانتباه المسلمين وكل جمعيه إسلامية أو مؤسسة خيرية لوجدت أساسها قول الإمام ، أو دعوة من احمد تلاميذه الكرام لأن كل عصر يظهر فيه عبد من عباد الله يقول القول الأحسن يكون عصر نور وخير وظهور للإسلام والمسلمين ، وانى اشهد الله ورسوله ان مولانا السيد محمد ماضى أبو العزائم هو صاحب القول الأحسن فى زماننا ، فمن اقتفى أثره وعمل بتعاليمه وقال بقوله صار من عباد الله الذين قالوا القول الأحسن ، وحفظوا من الشر والضر والفتن ، ونجوا من البلاء والعناء والهم والمحن ، وانى لا أقول هذا القول جزافا لكنى قررت ذلك بعد صحبة طويلة تقدر بثلاثين عاما تقريبا ، فصاحبت الإمام فيها فى الحل والترحال فى السفر والحضر فى الخلوة والجلوة ، فلم اجده ترك القول الأحسن فى لحظة من اللحظات أو وقت من الأوقات .

اسأل الله ان يجملنى واخوانى بتعاليمه القيمة وأحواله العظيمة وآدابه العاليه وأقواله الغالية وأخلاقه السامية . انه مجيب الدعاء .

(أغانى القول وأنواعه)

فى القول كل معان فى مغانيه		بأسرار ربى لا تحصى نواحيه
فيه الهدى والشفا والعلم والتقوى		فيه الرضا والقضا والفضل يوليه
فيه الشرور وفيه كل مظلمة		فيه الغرور وفيه الضر بيديه
والكفر فيه كذا كل الضلال به		كذا النفاق وتشكيك بتمويه
والزور والفتنة العمياء والبلوى		والكبر والعجب كل الشر يحويه
والظلم والحرب والأحقاد والدعوى		والعيب والفحش لا حد لواديه
نوعان للقول فى ضر ومنفعه		فى الخير والشر والتفصيل يجليه
والقول عنوان كل محدث يبدو		منه الكلام فيبدو سر ما فيه
والقول مفتاح قلب المرء يعرفه		أهل القلوب عند النطق من فيه
مهما تكلف إنسان ليستر ما		فى نفسه فكلام المرء يبديه
والقول صورة كل الفعل من بدء		إلى النهاية ربى قد يجليه
وكل قول له شكل يلامسه		فى الحسن والقبح عند النطق يأتيه
عجائب ظهرت فى القول قد بهرت		أهل التفكر فى آيات باريه
فى لهجة ظهرت والنبرات معجزة		فى صيغة النطق والنغمات توليه
فكم جمال بدا هز القلوب به		ملك النفوس تغنت فى أغانيه
وظهرت جنة من الحسن يمنحه		لمن يشاء بحسن منه يمليه
تلك الرسالة قول وهى جامعة		لكل ما فى الوجود بين موحيه
تلك العلوم التى عمت منافعها		فى كل حين تغنت من مباديه
فالقول طالب لأطهار الوجود كلى		قول من الله فافهم سر منشيه
لا حصر للقول فى أنواعه أبدا		لأنه صفة والله معطيه
أعطى الكلام لكل الخلق قاطبة		ومنزل الآى فى أعلى مجاليه
فى أحسن القول قد لاحت مراتبنا		والله أكرمنا منه بتشبيه
فأحسن القول قول الله يأمرنا		بأن نقول به جلت اياديه

والله يدعو ويأمرنا بدعوته	بأحسن القول والحسنى تناديه
وكل فرد دعا لله بالحسنى	يرقى لأعلى العلى والله هاديه
فى أحسن القول أنوار من المولى	تجلى لأهل الهدى حال تجليه
لما تجلى لأهل الحب بذكرهم	غابوا عن الكون بل عن كل ما فيه
والمحسنون الذى بالإحسان قد شهدوا	فى أحسن القول غيبا عن خافيه
شهدوا الذى الكشف أنوارا مقدسة	من وصف طه فهاموا فى معانيه
بالمصطفى عرفوا الحسنى فابتهجوا	بأحسن القول نالوا من مراضيه
وكم تغنوا بأوصاف الحبيب الذى	كشف الحجاب لمن بالنور يهديه
فى عصرنا قلم يعطى دلائل وله	فى المصطفى بالنور والحب كواليه
فى كل وصف تغنى وأجاد ولها	أجلى الكمالات للأكوان من فيه
اجلى لكل مريد غيب حكمته	بسر رحمة خير الرسل توليه
دعا بأحسن قول قرآن بالحسنى	أجلى الرسالة فى شتى أغانيه
فاقرأ تأليفه تحظى بحكمتها	ترى الشريعة والتحقيق يجليه
مهما وصفت فانى عاجز ابدا	معطى العوالم لا تحصى أياديه
يارب بالمصطفى فاكشف حقائقه	للمسلمين وانقذهم من التيه
وصل ربى على المختار حجتنا	واحسن الختم لى ولكل تاليه

فالقول الأحسن به الإصلاح والفلاح ، قال تعالى : (يَا أيها الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أعمالكُمْ) ، فكل صلاح للفرد أو الاسره أو الجماعة أو الشعب أو الأمة أو العالم بأسره متوقف على القول الأحسن السديد المفيد ، فإذا تعلمت القول الأحسن فزت بالسعادة كلها .

وقبل ان اختتم هذا المقام الخطير وهذا الأمر الكبير ألفت كل الهيئات والجماعات وعموم الطبقات خصوصا كل هيئة حاكمة فى أى شعب كان ان يضعوا للقول الأحسن معهدا خاصا ليتخصص منه أهل الدعوة ويجعلوه مادة هامة فى كل مراحل التعليم ويلزموا كل فرد من أفراد الشعب بدراستها ويعطوها العناية اللائقة،

فإذا تعلم الإنسان مع أخيه الإنسان على بساط انس القول الأحسن فتحسن العلاقات بين الدول والشعوب والجماعات والاسر والأفراد . وهذا هو المراد من قول رب العباد : (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا) ، فمتى قالت العباد جميعها القول الأحسن خذل الشيطان وعم الامن والسلام جميع الأنام .

نسأل الله ان يعم القول الأحسن جميع الأمم حتى يرضى رب العزة وينظر للعباد بعين الرحمة والوداد انه رؤف رحيم ، فتعلم يا اخا الإحسان القول الأحسن وعامل به أسرتك وجماعتك من زوجة ووالد ووالدة وأخوة وجار وعامل وصاحب وكل من له بك أى علاقة تكون شمس هدايه ونور انس وعامل ألفة ومودة ومحبة فتعيش فى اهنأ حياة وتموت فى اعلى ذكرى وتلقى الله وهو عليك راضى فتفوز بالسعادة البادية فى جوار سيد البرية .

وليس للقول الأحسن من نهايات . حيث انه صفة من صفات رب البريات ، وليس لصفات الله من نهاية ولا لمعانيه من حدود ولا غاية ، وكيف والله يقول (لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا) أسأل الله تعالى ان يلفت المسلمين إلى العمل بالقول الأحسن حتى يعود مجد الإسلام والمسلمين انه مجيب الدعاء .

المقام التاسع والستون

(الأسماء الحسنى)

سورة الإسراء

قال تعالى : (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى).
هذا المقام يجب ان يسمى بكل الأسماء الموجودة فى العوالم جميعها لأنه جامع لها وهو اصل أصولها ومنه تفرعت جميعها ، لأن أسماء الله تعالى هى التى كانت قبل الأكوان بل قبل الزمان والمكان فكان الله ولا شىء وهو على ما هو عليه كان، وقد اتفق العلماء على انها تسع وتسعون اسما ولكن هذا العدد هو بحسب الإجمال فقط ، وبعضهم قال ما عدا هذا العدد يسمى أوصافا ، ولكن أهل التأويل من الراسخين فى العلم يميلون إلى القول بأن أسماء الله لا حصر لها ولا نهاية لعددها ، وكذلك أوصافه جل جلاله واستدلوا بآيات القرآن الحكيم ، وبأحاديث النبى الكريم وهذا القول هو الذى يستريح له كل عارف بالتوحيد وكل محسن من أهل الشهود ، ومنهم من يقول هناك فرق بين الاسم والصفة فإذا قرأت أى آيه من القرآن أشارت إلى اسم من أسماء الله تعالى ، وإذا نظرت إلى أى آيه فى الأكوان دلت على صفات الرحيم الرحمن ، والرأى الذى يستريح له العقل المستنير والقلب السليم والعلم الصحيح هو ان الصفات مشتقه من الأسماء والأسماء متصلة بالصفات لأن الله واحد احد فرد صمد منزه عن المثيل والشبيه والتعدد والتجزأ .
وكل شىء يدل على اسم أو صفه فإذا قرأت مثلا قوله تعالى : (الم . ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) ولم تبحث فى باطنها ومعانيها لم تجد فيها اسما ولا صفه لله ولكنك إذا عرضتها على أهل الإحسان من أولى العرفان . أوصلوا معانيها إلى الأسماء والصفات ، فالألف تشير إلى الواحد وهو اسم من أسماء الله واللام تدل على الملك وهو اسم وذلك الكتاب تدل على الإشارة والمشير هو الله العليم الذى علم الكتاب بالقلم ، و(لا رَيْبَ) إشارة إلى الحق والحق اسم ، و(فِيهِ) تشير إلى القرآن والقرآن كلام الله والله هو المتكل ، و(هُدًى) تشير إلى اسمه

الهادى، وللمتقين تشير إلى التقوى هى الخوف والخوف يوجد من عظمة الله وهو العظيم ، فإذا كانت هذه الآيه كلها تشير إلى الأسماء والصفات وليس فى ظاهرة اسم ولا صفة فما بالك من الآيات التى فيها ظاهر الأسماء والصفات كقوله تعالى: (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ . وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ . وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ) ، وهكذا مثل هذه الايه الشريفة فأهل الإحسان لا يرون شيئا ولا يسمعون قولا الا ويرون فيه سر اسم أو صفه لله تعالى ، ولذا يقول إمام المحسنين فى هذا القرن العشرين وهو مولانا السيد أبو العزائم نفع الله بعلومه العالمين :

تلك المظاهر والشئون مرائى فيها يلوح لم صفوا اسمائى

فأهل الصفاء والمعرفة من المحسنين إذا نظروا إلى السماء شاهدوا اسم الرافع وإذا نظروا إلى الأرض شاهدوا اسم الباسط وإذا نظروا إلى الماء شاهدوا اسم الحى وإذا نظروا إلى الخلق شاهدوا سر الخلاق تعالى ، واذا نظروا إلى الصور واختلافها شاهدوا المصور سبحانه ، وإذا سمعوا علما أو حكمة شاهدوا اسم العليم الحكيم ، وإذا رأوا نعمة شاهدوا اسم المنعم المعطى الوهاب، وإذا تناولوا طعاما أو شرابا شاهدوا سر المقيت الشافى المعين . وهكذا كل كائن فى الوجود قائم بأسرار الحى القيوم ، ولذا ترى أهل الإحسان من العارفين بالله لا ينسون الله طرفه عين ما هذا الا انهم درسوا الوجود على نور التوحيد وبيان القرآن فرأوا انه مظاهر لسر تجلى الأسماء والصفات فكل مرئى لديهم أو مسموع أو محسوس أو ملموس أو مدروك أو معقول يشاهدون فيه آيات الله وأنوار الله وعظمة الله وصنعة الله واتقان الله وإبداع البديع جل جلاله . قرأوا قوله تعالى : (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) ، وهذه الآيات هى كل ما فى الأرض والسموات وما بينهما وهى إشارات دالات على سر الأسماء والصفات ، فإذا احتاجوا إلى القوت نادوا المقيت . وإذا احتاجوا إلى المعونة نادوا المعين . وإذا اخافهم أمر نادوا الواقى الحفيظ . وإذا جهلوا أمرا دعوا الله العليم الخبير . وإذا أهمهم أمر خطير نادوا اللطيف المغيب . ولذا يقول الله العلى الاعلى

مشيرا لتلك الدرجات العلى : (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) ، فقوله سبحانه : (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ) إشارة إلى الذات العلية المنزهة عن الكيفيه ، وقوله : (أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ) إشارة إلى تجلى أسرار الرحمة فى المظاهر الكونيه ، وكأنه يقول ادعونى واطلبوا ما تحتاجون منى فأن لم تؤمنوا بذاتى فانظروا آثار رحمتى فى مكوناتى ، وكلها آثار اسمائى وصفاتى ، فبأى اسم تدعون فهو اسمى فى مظاهر اياتى .

وكل العالم الأدنى والاعلى يشير إلى الأسماء الحسنى ، فالوجود جميعه صنعته وإبداعه واتقانه وكل صنعه تشير إلى صانعها وكل إبداع فيه دلائل مبدعه وكل إتقان فيه آثار متقنه ، فالكون كله قائم على حقيقتين : حقيقة ثابته لم تصل إليه يد إنسان كالسموات والبحار والهواء والشمس والقمر والكواكب والجبال وكافة الحيوانات بأنواعها وجميع الهوام والحشرات والمخلوقات الهوائيه والبرية والبحرية ومثل ذلك فى المحيطات الكونيه مما لا يعلمها الا الله قال تعالى : (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ) وهى الهوية المطلقة النهائية فكل ما فيها من جنود لم يصل للبشر علمها ولم تصل يديهم اليها فهى قائمة بيد الملك القوى المتين .

والحقيقة الثانية هى ما تناوله البشر بالصناعات والأعمال والحرف والمهن ومثل ذلك من المتغيرات كالمبانى البرية والسفن البحرية وما يشابه ذلك من الأعمال البرية ، كشف الأنهار وغرس الأشجار وتشييد الدور وإنشاء المدن والقصور وكل المنتجات ، وكافة الصناعات والمخترعات هى التى حجبت الإنسان وشغلته عن شهود أنوار الحنان المنان ، فنسى خالقه ومصوره وادعى انه هو المصور والموجد لتلك الموجودات ، وجهل هذا المسكين انه من مظاهر أسماء رب العالمين وانه آلة بيد القدير الحكيم ، وانه خزانة تجلى الأسماء والصفات وليس له فى نفسه قليل ولا كثير ، وهو مشرق إرادة العلى الكبير وكل ظواهر جسمه ومعانى باطن روحه وقلبه كلها تشير وتنادى بسر أسماء الله تعالى ، فالجوارح وما حوت والمعانى وما دعت هى من سر اسم الظاهر الباطن جل جلاله ، فبصرك أيها الغافل هو سر اسم البصير . وسمعك أيها الجاهل هو سر اسم

السميع. وكلامك أيها المحجوب عن ربك هو سر المتكلم . وبالإجمال فصورتك كلها هى سر المصور الخلاق البديع قال تعالى : (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ) .

إذا تقرر هذا فيكون الوجود بكافة حقائقه آفاق أشرقت فيها أسماء الخلاق ، فالكون بيت وافق لظهورها ، الإنسان بيت وافق لاشراقها . قال تعالى : (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) وهل بعد ذلك البيان الالهى الذى هو اظهر من شمس النهار يجهل الإنسان نفسه ويدعى ملكه وينسى ربه ، وصدق الله العظيم حيث قال فى الإنسان القول البليغ الذى ينطبق على حاله الشنيع : (قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) ، ومن هنا قام امام هذا الزمان مولانا السيد محمد ماضى أبو العزائم مذكرا بتلك العلوم الإلهية والدعوة المحمدية داعيا إلى ربه بأسمائه وصفاته العليه داعيا بها فى كل أنفاسه مذكرا بها كل أتباعه وأقرانه وأصحابه ، وقد كتب فيها كثير وكثير من مواجيده النظمية ودعواته النثرية وصلواته على خير البرية واحزابه وأوراده التى لا عد لها ولا حصر ، لينبه الأمة الإسلامية إلى توحيد رب البرية والى العمل بالآيات القرآنيه ، ولذا تراه بعد الصلاة يدعوا بالاسم الذاتى قائلا يا الله بالمدمرة ثم يعقبها بثلاث مرات بالقصر ، ثم بالمد مرة ثانيه وبعدها ثلاثة بالقصر أيضا ثم يعيد ذلك مرة ثالثة فيكون المجموع ثلاثة بالمد وتسعة بالقصر اثنا عشر مرة يدعوعا باسم الجلاله وهو الله ثم بعد ذلك يدعوا بالأسماء الحسنى وهى قوله : " أنت ربى فأنت حسبى وأنت ولى وأنت وكيلى وأنت على كل شىء قدير فنعم الرب ربى ونعم الحسب حسبى ونعم الولى ولى ونعم الوكيل وكيلى ترزق من تشاء وأنت القوى العزيز اللهم ارزقنا حبك الخالص لوجهك الكريم بلا شوب يشوبه اللهم ارزقنا قربا يمحق ما بيننا وبينك من البين حتى تقع العين على العين اللهم جمالا يعمنا وإحسانا يشملنا وفضلا عظيما يدوم لنا " ، ثم كان قدس الله سره يدعوه بما يجمع سر أسماء الله الحسنى بعد كل صلاة فريضة ، وكم له من أوراد ودعوات فاطلع عليها فى كتبه تنال الفوز والفلاح وحقا كان هو الرجل القرآنى العالم بالكتاب والسنة

فقوله عقب الفريضة : (ياالله) هو طاعة لامر القائل : (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ) وباقى الدعاء هو طاعة لقوله تعالى : (أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) فأهل الإحسان فى كل زمان هو مظاهر أسرار المعرفة الالهية وهم الدالون على معرفة رب البرية ، وهم نواب الحضرة المحمدية ، وهم المبينون للناس أنوار المعنى وأسرار أسماء الله الحسنى وهم خلفاء الله فى أرضه والمبينون أسراره لخلقه ، وهم الذين يترجمون عن الله ما يحبه من عباده فمن صحبه وتلقى من معارفه عرف نفسه وعرف ربه ونال الحياة الطيبة وفاز بالفلاح الاكبر والخير الكثير .

فأولهم آدم عليه السلام علمه الله سر الأسماء فصار خليفة عن الله فى الأرض والسماء ، قال تعالى : (وَعَلَّمَ آَدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا) لأنه صار افقها ومشرق أنوارها، لأن الوجود كان قبل آدم غير قابل لإشراق شمس الأسماء كلها ، فالسماء وما اطلت والأرض وما اقلت والرياح وما اذرت والشياطين وما أضلت والملائكة وما سبحت والعرش وما حوى وكل الطبقات السفلية والعالم الاعلى لم يحملوا كل الأسماء الحسنى ، وهى أمانه الله التى عرضها على الأرض والسماء فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان ، فلم يظهر فى الوجود سر المقيت الشافى المعافى الولى العليم الحكيم الا فى مظهر الإنسان واول إنسان هو آدم عليه السلام، فسر اسمه المقيت ظهر فى الطعام والشراب وسر الشافى ظهر فى مرض الإنسان ، وسر الولى ظهر فى خلافة الإنسان وسر العلم ظهر فى علم الإنسان سر قوله تعالى : (وَعَلَّمَ آَدَمَ) ، وسر الحكيم ظهر فى حكمة الإنسان سر قوله سبحانه : (وَآَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ) وهكذا كل اسم فقه على هذا النظام .

فإن شئت أيها الطالب معرفة ربك فأنت كنز المعرفة وان رغبت شهود أسماء ربك وصفاته فأنت الاسم والصفة وأنت بحر الآيات جبل التجليات ونور البريات وكعبة الأسماء والصفات ، ولوح الحقائق وبيت الرقائق وخريطة الدقائق ، ونبت المعانى وسر التدانى ومظهر الحنان الرحمانى ، فى هيكلك الظاهر جمع الله أسرار المظاهر وسر اسم الظاهر ،وفى معانيك النورانيه جمع الله أسراره الملكوتيه

وغيوب الأسماء الباطنيه ، فأنت رقه المنشور وكتابه المسطور وبيته المعمور وسقفه المرفوع وبحره المسجور ، وأنت مشكاة أنواره وزجاجة أنوار إمداده ، ومصباح أسمائه وصفاته وكوكب شجرة مثاله الأعلى (وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ) فمقام معرفة الأسماء فوق عقل العقلاء وبحث العلماء ونظر الحكماء (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ)

وأهل الإحسان امنوا وصدقوا وعملوا بما علموا فعلمهم الله كما علم أباهم آدم عليه السلام واشهدهم من أسرار أسمائه الحسنى بقدر ما قدره لهم من فضله وإحسانه ، فهم سراجه المضيئة ومصابيحة المنيره وليس لاحد فى الوجود من اثر ، والله الظاهر هو الذى لكل شىء قد اظهر ، فالله اكبر الله اكبر ، خلق وابدع وقرب ورفع من رفع واوجد من اوجد واشهد أسماءه لمن اشهد (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ) (رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) .

فمن اشهده الله أسرار أسمائه وأنوار صفاته وضياء تجلياته تحقق بعد ميته ، واعترف بأنه ان نسب لنفسه حولا أو طولا أو صنعه أو علما أو معرفة وقع فى الشرك والظاهر أو الخفى ، ولذا اشار القرآن إلى الاكثرية الجاهلية بسر الأسماء وتصاريفها فى جميع الأشياء بأنهم وان امنوا بالله فهم مشركون ، قال تعالى مبينا هذا السر المكنون :(وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) والدليل المحسوس الملموس والبرهان الساطع لكل النفوس هو انك ترى الرجل طائعا لله يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويصوم ويحج ، وتسمعه يقول لا الله الا الله وفى الوقت نفسه يقول أنا انتقم واضر ، وفلان نفعنى وفلان ضرنى وزيد رفعنى وعمر حفضنى ، وجهل هذا المسكين ان الضار والنافع والرافع والخافض هو رب العالمين والعلى فى ذلك ان الإنسان الذى امن بالقول والسماع ولم يتعلم سر الأوضاع وحجب بالأسباب ولم يشهد سر تصاريف أسماء الملك الوهاب حجب المظاهر الكونيه عن رب البرية ، ولكنه إذا شاهد سريان الأسماء والصفات فى جميع الكائنات لم ير فى الكون الا وجه من كونه ولم يشهد فى الوجود الا فعل من اوجده ، ولم ينظر فى الأرض

والسماء الا الظاهر والباطن قد تجلى فى جميع الأشياء وهو بكل شىء محيط ، ومن مناجات الإمام فى هذا المقام قوله قدس الله سره :

أيا ظاهرا بالآى فى الآفاق		وفى هيكلى بجمالك الإشراق
تناديك روحى لى وقلبى وقالبى		تقبل وحصنى بحصن الواقى

وهى قصيدة تبلغ عشرين بيتا تقريبا فاطلبها واقرأها ترى العجب العجاب ، ونحن على منهاجه نسير ونغترف من بحره الكبير ومن فيضه العزيز ، والله هو العليم الخبير .

(أغانى الأسماء)

بأنوار بأسمائك الحسنى لنا ربى		تبنى بغيب بدا فى عالم الرتب
فى الأرض لى والسما فى كل ناحية		فى كل شىء تجلى عالم الغيب
وفى الجنوب شمال الأرض شرقيها		فى الأفق والتحت شرق الشرق والغرب
فى كل ظاهرة فى كل خافيه		اسماؤه قد تجلت بالهدى تبنى
وفى الهوية أسرار مطلسمه		فوق العقول وفوق الروح والقلب
وفى العوالم اوصاف وأسماء		تجلى لأهل الصفا فى القرب
لنا تجلى بنور الاسم والمعنى		فى السمو والمعنى فى الكون والحجب
حجابه النور فاقعة سر قدرته		فى طى حكمته فى الصفو والترب
أنى لطائفة عموا بأسمائه الحسنى		فى كل شىء بدا بالحق والريب
فى النور فى ظلمات الظلم فتشهوا		أشرقوا بالظاهرات فى صور الحجب
لم تحجبهم عن الأسماء حاجبة		من الظهور فى بعد وفى قرب
لأنهم علموا سر الظهور بها		كذا البطون بحال الكشف والغيب
جمال اسمائه فى طى رحمته		قد خصصت للأولى بالإحسان والحب
جلاله خصه للكافرين ومن		مالوا إلى الحظ فى الكشف والغيب
كماله للأولى للإيقان من وصلوا		إلى كمالات خير العجم والعرب
فالعلم بالملة طى طائفة ترى		للعارفين وأهل التمكين فى الحجب
فشاهدوا الكل مرتبة لدى الحسنى		على الإرادة فى التشريع والقرب

فلم يضلوا او لم تكشف حقيقته — ورا تجلى لهم تلوا من القرب

كى الظاهر والوران من الاسما — لاحت لأهل لطفا من حضرة الرب

لى كل مرتبه يجلى لهم لون — من لطف فك يجلى الامر و السبب

لما تجلى لنا بالفضل اشهدنا — و (ثم) حجبنا الاحت على قلبى

هتك الحجاب فلا ان ولا بين — ولا اسماء ولا اوصاف لدى القرب

(الى قريب) تجلت فى ذ اتها — و الكون لحس معراج فى الرتب

فالحس يشهد اثارا ومشهدنا — فوق العلو فوق العقل و اللب

يامن حجبت بعلم أو بمعرفة — سلم لمن جاوز الاثار للغيب

من انت حتى تحيط بغيب قدرته — وانت تجلى ما هو فيك من ربى

فكيف تثبت كونا والظهور له — كذا البطون فسلم للهدى الغيبى

ام كيف تكر كنونا وهو اثبته — للحس والعقل مرئيا بلا ريب

لم هيب تمحوا عبدا وهو كلفه — بالشرع والحق فى الايجاب والسلب

تحير العلم الاعلى مع الادنى — فى سر ايجادهم فى النور و الترب

لا تنتهى الحيرة الكبرى ان الجلى — للعارفين مقام الوصل والحب

لأنه جل فى عظموت عزته — من فوق كل مقام قوله يبنى

فارجع الى الجلى فى كل المراتب لى — لا تقف عندها فالكل فى حجب

بلو ابالملكه من فوق معرفتى — هيب بالنك فوق عيابه الغيب

فالنك فى عماه أو العبد فى عدم — بالمو مظاهرت عبدا برى صوبى

يا ظاهر العيون منك اشهدنى — غيب العبودة فى حضرتها القربى

انعمك ربى بالأسماء اجمعها — الحق مقلبى بجوار المصطفى حبى

لدى الإمام الذى نال العبودة فى — صون انوار تحظى الغرام يا ربى

ثم الصلاة على شمس لطف وجن — الجلى بسر أسماء على الرتب

محمد كعبة العالين والادنى — واله وجميع الاهل والصحب

فجميع الكائنات فى السفليات والعلويات هى ظلال الأسماء والصفات ، ومحمد صلى الله عليه وسلم افقها الكلى وسرها الاولى ، وسنبين لك الأسرار بالأدلة والبراهين فى كتاب اليقين ان شاء الله تعال ، والأسماء كما اشرنا أقسام جمالية وجلاليه وكماليه وضيائية وبهائية وذاتيه وهى التى لا ظل لها ولا مظهر لها ، وهى التى تنتهى عندها الأكوان والألوان ويقف البيان ، وليس فى الوجود عبارة أو إشارة تعبر عنها فى الملكوت وهى التى عبر عنها القرآن بصيغة الإبهام بقوله تعالى : (فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى) ، وقوله (إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى) فأوحى ما اوحى ويغشى ما يغشى كلاهما إبهام فى إبهام وعندئذ تقف الإشارة والكلام والعلم لله الملك العلام ، نسأل الله الإغاثة فى جهلنا وعجزنا ونسأله ان يعلمنا انه عليم حكيم .

المقام السبعــون

(البشــرى)

سورة الكهف

قال تعالى : (وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا . مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا) .

ان الله سبحانه وتعالى خزن فى علمه القديم لعباده من العطايا والنعيم ما فوق العد والحصر ، من عطايا ظاهرة وباطنة جسمانيه وروحانيه دنيوية وأخروية ملكيـــة وملكوتيه ازلية وأبديه ، لأنه سبحانه غنى عن جميع النعم غنى عن كل مــا فـــى الموجودات فى الأبد والقدم ، غنى عن الملك والملكوت غنى عن مظــاهر العــزة والجبروت ، غنى بذاته عن كل مكوناته وهو واسع العطاء جليل النعماء ، ونعمه وكل موجوداته وملكه وملكوته ومظاهر عزته وجبروته ، وكل العطايا والمنن قد خصصها لبنى الإنسان قبل الأكوان وفى الأكوان وبعد الأكوان ، فى ملكه الازلى و فى ملكه الدنيوى وفى ملكه الكبير الاخروى ، وفى ملكوته القدسى وفى مجاليه الإحسانيه وفى حظائره الربانيه وفى حضرته الالهية وفى نزاهته الذاتية الابديـــه،

كل تلك الدوائر وجميع المنازل والدرجات والحظائر هى للعباد بفضل الكريم الجواد .

ولما كان الإنسان جاهلا بنفسه ، جاهلا بربه ، جاهلا بفضله وكرمه ، أرسل له النبيين مبشرين ومنذرين ليبلغوا الناس ما أعده لهم ربهم من الأجر العظيم والفضل العميم والإحسان الكبير ، ويذكرونهم بنعمة الأولية وهم فى دائرة العوالم الملكوتية والروحية يبينون لهم ما يحيط بهم من النعم الدنيوية ، وما أعده لهم من الأجر الحسن فى الدار الأخروية ، ثم ختم تلك الأنبياء بسيد المرسلين وإمام المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فجاء بالبشائر الكلية والأخبار الإلهية ليبين للناس فضل الله الكبير وعطاءه الكثير الذى لا يحصه احد إدراكا ولا عددا يبشرهم (أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا . مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا) ، فكان صلى الله عليه وسلم عن الله مخبرا وبنعمه وعطائه مبشرا ، عرف العباد بأنه كل ما فى الكائنات من نعم وخيرات وبركات هى للمؤمنين الذين يعملون الصالحات .

ولما كان الله سبحانه وتعالى منزه عن جميع الكائنات علوية وسفليه لا يدرك بالأجسام ولا بالعقول والإفهام ، ولا يجانس الكائنات ولا يدركه احد من المخلوقات وقد سبقت إرادته وقدرته مشيئة ان ان يكون هناك خلق يكرمهم ويكلمهم ويعمهم بفضله وإحسانه ونعمه وحنانه وجوده وعطفه وبره وينعمهم ما أعده لهم من نعيم ، وما اوجده لهم من خير ونفضل مقيم اقتضت حكمته ان يخلق من ارقى درجات الوجود ، واقرب الحقائق إليه صورة يجملها بجمال الإحسان والجود يكملها بكماله ويعلمها بعلمه ويؤدبها بآدابه ، ويمدها بامدادته ويقويها بقوته ويرشدها بإرشاداته ، ويعينها بمعونته وهو على كل شىء قدير .

وقد وقع هذا الاختيار على الحبيب المختار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليكون ترجمانا بين الخلق والخالق ، والمرزوق الرازق ، ويكون رسولا بين الله والعبيد ليبين لهم يحب وما يريد ، وينبئهم بما لهم عنده من المواهب وما عليهم لخالقهم من الواجب ، ويبشرهم بما خزنه لهم من العطايا والثواب وينذرهم بما اعده للعصاه من العقاب ، خلق هذا النبى الكريم من أنوار أسراره وجعل الأنبياء

والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين من أنصاره ، عاهدهم فى البدء له وواثقهم عنده قبل خلق جميع الكائنات وقبل وجود الأرض والسموات ، ليكونوا دالين عليه ومصدقين وناصرين ومصلين عليه ، فأقروا بذلك معترفين ووفوا بهذا الميثاق للعالمين ، وكانوا جميعا يتلقون من روحه وأسراره ويقتبسون من بشائره وأنواره ، حتى نمت دورتهم وأنتهت مأموريتهم ، وجاء دور هذا المختار خاتما لجميع الأنبياء الأخيار ، جاء بكتاب يحمل فى طيه البشرى الجامعة لكل خير عظيم الموضحة للهدايا الإلهية والعطايا الربانيه ، ولم ينته الأمر عند الكتاب بل دعاه لحضرته الملك الوهاب وأطلعه على ملكه وملكوته ليكون مبشرا بما رآه واصفا بما شاهدته عيناه ، دعاه مولاه ليلة الإسراء والمعراج ورفعه فوق كل الفجاج تجاوز به الملك والملكوت ، وأشهده سواطع أسرار العزة والجبروت، واراه سبحانه ما أعده لعباده من إحسان وما أكرمهم به من دور وقصور وجنان، وما تفضل به عليهم من خيرات وبركات وما رفعه لهم من مقامات ودرجات ، كاشفه سبحانه بعطفه ولطفه عليهم ورأفته ورحمته بهم ، ثم امره بعد العيان بتبشيرهم فكان شاهدا وبشيرا سر قوله تعالى : (يَا أيها النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) فسماه شاهدا بعد ان اراه ، ومبشرا بما عاينه ورآه ، ومنذر للعصاه والكافرين ومحذرا لهم من غضب الله ، لأنه رأى كل النعيم المقيم ورأى كل ما فى الجحيم فكان بشير للعباد ومخبرا عن الله بكل ما أراد ، عرف الخلق بما أراده الخلاق من توحيد وعبادة ومعاملة وأخلاق ، وعرفهم بجميع الموجودات وكل ما فى الأرض والسموات وانها هدية الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات .

جاء بالبشرى لمن صدقوه وآمنوا به واتبعوه ونادى بها من خالفوه وكفروا به وعاندوه وحاربوه ، فكانت نعمة للمؤمنين ونقمة على الكافرين المكذبين ، بشر صلى الله عليه وسلم المسلمين بدرجاتهم ، وبشر المؤمنين بمقاماتهم ، وبشر المحسنين بمنازلهم العلية ومشاهدهم القدسيه ، وبشر الموقنين بما لهم من المزيه ، وبشر أهل كل درجة من العباد بما لهم عند الله من العطاء والفضل والوداد ، بشرنا بجنه علليه قطوفها دانيه ، بشرنا بحور وولدان وقصور وجنان ، بشرنا

بالمعية لدى الدرجات العلية ، بشرنا بمنازل العندية ومقامات اللدنيه ، بشرنا بشهود وجه الحنان المنان وبمكالمته وموانسته فى حظيرة الرضوان ، بشرنا بالحظوة الكبرى فوق منابر من نور لدى لدى العلى الاعلى ، بشرنا بدوام البقاء عند رب الأرض والسماء ، بشرنا بالملك الكبير الذى ليس له فى الدنيا من نظير ، بشرنا بمعية النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، بشرنا بأن نكون على الأمم شهداء ولاخواننا شفعاء ، بشرنا بالجلوس فوق عرش الله إذا تآخينا وتحاببنا فى الله، بشرنا ان نكون ملوكا لنا الدولة يوم العرض إذا قمنا بكل صالح من السنة والفرض ، بشرنا بأننا المحبوبون عند الله ونحن المطلوبون لحضرته وعطاياه ، بشرنا بمقعد صدق عند مليك مقتدر ، بشرنا بزيارة لله خاصة وعطيه ذاتية لا تخطر على قلب بشر ، بشرنا بأن الوجود كله لنا ونحن لله والله لنا وهو صلى الله عليه وسلم لنا واولى بنا من أنفسنا ، بشرنا بأن الملك والملكوت خادمان مسخران لنا والملائكة وأهل عالون والاعلون خادمون بأمر ربنا لنا .

ولو أردنا أن نفصل كل البشائر لا نجد لها من أول ولا آخر ، وكفانا فى ذلك قول رب العالمين : (وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ) والبشرى بقدر الراسل والمرسول ، وبقدر الفضائل والفاضل والمفضول ، وبقدر (الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ) من المؤمنين والمؤمنات والمحسنين والمحسنات ، والموقنين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

فالبشرى التى جاء بها خير العالمين من عند العلى الكبير المتين لا يحيط بها بيان ولا يستطيع ان يصفها لسان ، هى عطاء من معط وهاب واجر من محسن تواب ، دائمة بدوامه ، باقية ببقائه ، خالدة فى الابديه سرمدا مبينه بقوله سبحانه : (أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا . مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا) والأبدية فوق مدارك العقول وفوق علماء الفروع والأصول ، لو لاح بارق منها لقلب إنسان لطلق الزمان والمكان والأكوان ، أبدية إلهية جاءت فى طى البشرى المحمدية ، فأين لمخلوق ان يعيها وأين لبيان ان يوفيها وأين لحاسب ان يحصيها وأين لروح ان تدرك ما فيها وأين لعارف يشهد ظاهرها وخافيها ، ولا يحيط بها الا الذى أهداها وأوجدها وأعطاها ، وبعث حبيبه

بها الوحيد وصفيه الفريد الذى أوجده من نوره وجعله ترجمانا بينه وبين العبيد ، هى بشرى اجمالية قد جمعت عطايا رب البرية وظهرت فى عوالم الأكوان وفى دوائر الألوان ، نطق بها العليم الخبير وترجمها لسان البشير النذير بعد ان كانت فى طى الإرادة ، لمن خصهم الله فى قديم علمه بالسعادة .

وهذه البشرى فى كل زمان يظهر منها لون من الألوان ، ظهر قسم منها على يد آدم عليه السلام ، وقسم على يد كل نبى بعده من الأنبياء الكرام فكانت الأنبياء والرسل والصالحون مظاهر لأنواع البشرى وألوان الإحسان لقوم يؤمنون ، حتى أرسل الله محمد خير البرية بكل البشائر الأولية والأخروية ، وأكرمه الله فى خلفائه الراشدين ووراثه من العلماء والأولياء العارفين ، ففى كل زمان يظهر الله خليفة من الخلفاء ووليا من الأولياء بنوع من البشرى الكلية ، وعطاء من المنن المحمدية وأول هؤلاء الأخيار صديق النبى وصاحبه فى الغار ، ثم توالت البشائر والعطايا والمواهب والمزايا بعد الصديق على يد عمر الفاروق ، ولم تزل تلك البشرى تشرق أنوارها وتظهر على يد كل وارث أسرارها إلى ان اظهر الله فى عصرنا هذا الوارث القائم مولانا الإمام السيد محمد ماضى أبو العزائم ، فكشف الغطاء واظهر البشرى فى أعلى منازل العطاء ، كشف عن ستائر المحبة ووضح درجات القربة ، وبين ما للإنسان من مواهب وما أعده الله من مقامات ومراتب ، وضح لنا اكبر عطية وأعلى منزله من منازل المعية المحمدية ، واعظم بشرى من بشائر الآيات القرآنيه التى خصها الله لأهل المحبة فى هذا الزمان وهى قوله تعالى وهو اصدق القائلين : (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)، فتح لنا باب المحبة الالهية على مصراعيه وبين لكل طالب ما خفى عليه بعدما كاد اليأس ان يصل بالمسلمين إلى درجة القنوط من رحمة الله .

أتانا بالبشرى مؤيده بالحجة الكبرى من الكتاب والسنة بالأقوال والأعمال ، وبالصدق والإخلاص والأحوال ، شرح الحقائق شرحا وافيا وفصل الدقائق الدينية تفصيلا شافيا فظهر لنا ما كان من البشائر خافيا .

وصل بالمسلمين جميعهم على اختلاف درجاتهم إلى ان هذا الزمان زمان فساد وافساد ، وليس فيه ولى من الأولياء ولا وارث من وراث سيد الأنبياء ، وإذا ببشرى المصطفى عليه الصلاة والسلام تشرق من أفق هذا الإمام ، فاثبت المعية المحمدية واثبت فى عصره رجال الصديقية ووضح المقامات ، وأبان كل البركات والخيرات التى بشر الله بها امة خير المرسلين وخاتم النبيين ، أزال صخرة الحجاب عن القلوب وواجهها بأسرار علام الغيوب ، نفى عن الله علة الزمان والمكان وقيد الذنوب والعيوب والعصيان ، وبسط موائد المتاب وبشر بالمحبة كل تواب ، واثبت كل تلك البشائر بآيات الكتاب ، فحصل للمسلمين بعد هذا اليأس الطمع والرجاء وقام كل ذى إيمان وهمة يطالب بما كان عليه سيد الأنبياء ، وانى على يقين ان تلك البشرى ستعم الآفاق حتى تزيل ظلم أولى البغى والشقاق والنفاق، لأن كل بشرى تظهر على يد بشير تكون إعلانا لقدوم خير كثير .

البشرى . وما أدراك ما البشرى هى جمال الله ورحمة الله وإحسان الله ورأفه الله من عطف وحنان ، وكرم وعلم وعرفان ، وحكمة ونعمة وامتنان ، وفضل وغفر ومتاب وعفو وحب ولطف ، وهى كل خير وبر خصصه الله لأهل الإيمان والطاعة من بنى الإنسان ، بدايتها كانت للأرواح فى حضرة الكريم الفتاح قبل خلق الموجودات من أرض وسماوات . ووسطها فى الدنيا للأجسام على يد الأئمة الأعلام . ونهايتها فى الاخره دواما سرمدا . سر قوله تعالى : (وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا . مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا) .

فيا اخا الإحسان أمامك ميزان لا يختل ألا وهو صالح العمل ، فإن وجدت نفسك موفقا للأعمال الصالحات فاعلم انك من أهل الأجر والحسنات ، صاحب هذه البشرى الخالدة التى من نالها فاز من حياته بالفائدة .

نسأل الله ان يجعلنا من أهلها والعاملين على نوالها والموفقين من الله تعالى لأعلى درجاتها انه سميع مجيب الدعاء .

(أغانى البشرى)

إذا لاحت البشرى لنفس زكية ... من الله بالإحسان حال الحنانه

تغنت وأنت بالحديث لغيرها ... تبين فضل الله في كل لحظة

وتفهمها البشرى بنور جمالها ... ووسعتها من غير حد وحيطتي

جمالات ربى أبرزت كل كائن ... وبأسمائه الحسنى تجلت بحكمه

أراد القوى الحق أن يظهر الورى ... ليظهر جلى الله في كل وجهتي

ويعرف خلاقا قديرا ومنعما ... وربا ومعبود بسر العبادة

تجلت صفات الحق لاحت جلية ... فأبرزت الأكوان طبق المشيئة

تطورت الأكوان من نور وصفها ... فظهرت للأكوان سر الإرادة

بدائع إبداع البديع وصنعه ... تجلى لنا في كل شكل وصورة

باتقان حنان قوى وقادر ... تنوعت الاثار تبنى بقدرة

مثال بدا أو لامع الحق ظاهر ... وكل مثال لاح يبنى لوسعة

من البدء للأمثال تترى جلية ... وخير مثال قد بدا في البداية

هو المثل الأعلى لذات تقدست ... هو النعمة الكبرى لأهل العناية

هو الفضل والبشرى به قد تحققت ... من الله إحسانا لأهل المعية

هو القبضة الأولى ونور جماله ... وزينت طه بالقدس حال النزاهة

محمد محمود الجلالة تائب ... عن الحضرة الكبرى وذلك القبلية

وكل نبى تائب عن جنابه ... إلى أن بدا في الكون نور رحمة

اتى بالكمال لكل عبد تحققت ... وراثته فى الوارثين الائمة

وكل ولى بعده نال قسطه ... وبشرى أهل الطريق حال الولاية

إلى أن أتى عصر الغزو والحوادث ... لأخلاقه الكبرى وكل الوراثة

اعاد لنا الماضى بعزم وهمة ... فنلنا به المنى والمسرة

وبشرنا ان الحبيب محمد ... لنا اشتاق ايدها بنص السنة

وكل عطاء في القرآن لعصرنا ... أتانا به كشفا بأبلغ حجة

فبشرى لنا البشرى بوارث أحمد ... وبشرى لنا البشرى بعطى الغنيمة

فماقامات البشرى بحار بغير سواحل ودرجات بغير قوافل ، وخيرات وبركات لا يحصيها الاوائل والاواخر ، لأن العطاء إذا تعلق بذات الحق استحال تقديره وحصره أو عده أو بدؤه أو مصيره فلا جسم يدركه ولا عقل يصوره ، ولا روح تحيط به ولا قلب يمثله ، فالبشرى فى تعبير الخير هى مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

والله اكبر الله اكبر الله اكبر . الله اكبر فى عطائه لنا حال البدايه وهو الكبير فى عطائه لنا فى دار التربية والدرايه ، وهو الكبير الاكبر فى ما اعده لنا فى دار البقاء والنهاية (يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ . خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) وحيث ان الله قد وصف البشرى بالعظم فلا يمكن ان يبينها لسان أو يسطرها قلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

المقام الإحدى والسبعــون

(الزينــة)

سورة الكهف

قال تعالى : (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلا) .
ان هذا المقام ينادى جميع الانام ويشير إلى الملك العلام ، ويلوح من خلال جمال شمس الكمالات ورياض بساتين الآيات لمن تلقوا علوم الرسالات الالهية ، واقتبسوا من مشكاة الحضرة المحمدية ونظروا بعيون الإحسان إلى رياض زينة الحنان المنان الرحيم الرحمن ، وقبل ان نطرق باب هذه المدينة وان نتكلم فى مقام علوم الزينه نأتى بأقسامها فى دائرة الاجمال كما هى عادتنا فى العجز وهى طريقة العارفين من الرجال الذين تحققوا ان التفصيل كل التفصيل من ضروب المحال ، فمن تحقق بجهله نسب العلم إلى اصله ورده إلى اهله الذين ورثهم الله علومه اللدنيه وأسراره الخفية (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ) .
الزينة تنقسم إلى أقسام ثلاثة إجمالية : زينة دنيوية . وزينة أخروية . وزينه إلهية، وتحت هذه الزينات تنطوى جميع التفصيلات ، فزينه الدنيا هى حب الشهوات من البنين والبنات والقناطير المقنطرة من الذهب والمعادن الغالية والوظائف والرتب العلية والجمال الفتان من النساء والعقار والاطيان ، والدور القصور والبساتين والفرش والاوانى والحلى وكل ملبس بهى وطعام شهى ، وقد اجملها الرحمن فى نص آيات القرآن بيانا لكل مؤمن أواب . قال تعالى : (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) .
فبعد ان بين سبحانه زينة الحياة الدنيوية أشار إلى زينة الحياة الاخروية بقوله : (وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) وهذا القسم الثانى لا يصدقه ولا يتصوره إلا أهل الإيمان واليقين الذين درسوا علوم الكتاب المبين وتحققوا بقدرة القوى المتين ونظروا فى هذا الكون نظرة الاعتبار فانكشف لهم من باطن تلك الآثار مثال الجنة التى تجرى

من تحتها الأنهار ، وهذه هى الزينة الباقية الخالدة التى لاجلها أوجد الله هذه الزينة الفانيه الفاسدة ، فزينة الآخرة لا آخر لوصفها ولا حد لحصرها ولا نهاية لدوامها، وقد تولى الله فى قرآنه بيان أوصافها على قدر العقول الإنسانيه والادراكات البشرية ، فوصف لنا جل جلاله دورها وقصورها وبساتينها وحورها وولدانها وأنهارها وزينتها وبهجتها وسرورها وحبورها فى كثير من آياته وتوضيحاته وإشاراته وبيناته ، وكفى العقل كد البحث وتعب التصور بما كشفه من الوصف المبين والقول المتين ، وهنا نصور للقارئ من هذا الوصف القرآنى صورة توقفه عند حده الإنسانى فيعترف للقدير جل جلاله بالعجز الإيمانى .

يا اخا العقل ان الزينة الأخروية هى إبداع صنع رب البرية . الذى لا يعجز فى أى شأن من الشئون . ولا تتصوره الأبصار ولا الظنون ، وهو الصانع الذى يقول للشئ كن فيكون ، هذا الإلة القدير هو الذى خلق الجنان ، وهو الذى أتقنها فى أحسن إبداع وأعلى إتقان ، هو الذى هندس قواعدها بغير إنسان وهو الذى بنى قصورها وشيد مبانيها وأركانها واجرى أنهارها وغرس أشجارها ولم يقدر سبحانه ان ينشئها بواسطة الوسائل بل هو جل شأنه المنشئ لها والفاعل ، زينها بزينة تتناسب وقدرته وعظيم كمال حكمته وعزته ، وهى المظهر العلى الاعلى والمثل الخالد الباقى فلا يفنى ، وكأنه أراد ان يقول بطريق الإشارة والإرشاد أنكم فى الدنيا شيدتم وبنيتم وزينتم وانا شيدت وبنيت وزينت فأين زينتكم التى زينتموها وقصوركم التى شيدتموها ودوركم التى سكنتموها ، ها هى جناتى فادخلوها وزينتى من غير وسيلة فأشهدوها وانظروا قدرتى وعظمتى وإبداعى وصنعتى ، هنا قف قليلا أيها العاقل وتصور وقلب الفكر والبصيرة وتدبر ، وقل بلسان اليقين الله اكبر الله اكبر . دار بقدرته قد بناها وزينة بحكمته زينها وانشاها ، وجعلها اخر دار للعباد واعلى منازل لكل مراد ، ليس بعدها تعلق للإرادة فى ايجاد غيرها، ولا للقدرة ابراز دار تحل محلها ، ولا للحكمة إبداع زينته بعد إبداعها ، والفاعل المختار جل جلاله هو الذى سماها الآخرة وهو الذى وضعها على أساس الكمال والمزيد ، وزينها لمن اختارهم واصطفاهم من العبيد فهى دار القرار وهى

زينة العزيز الغفار ، فليس لوصفها من سبيل ولا لتصويرها من قبيل ، ها هى نفوسنا وصورنا للان وهى ترى للعيان قد عجز عن وصفها كل إنسان مهما ترقى فى المعارف والمشاهد والبيان ، فكيف يستطيع احد ان يصف زينة الجنان التى بناها الكبير المتعال وزينها بزينة الجمال سبحانك تقدست وتنزهت فى صنعك وإبداعك عن جميع إدراكات العالمين ، وها هى السموات فوق رؤوسنا تشير إلى قدرة القدير الخبير ، فلم نر ولم نسمع ان خلل أو نقصا أصابها أو تغييرا أو ترميما وقع فيها قال تعالى : (وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ . وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ)، وقال جل شأنه : (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ . ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ . وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ) .

فهذه الزينات التى نراها فى الأرض والسموات وتلك الصور الظاهرات فى جميع الكائنات ما هى إلا إشارات ودلالات وأمثله تقريبية يقدمها لنا فى الدنيا رب البرية، لنستدل على زينة الآخرة وجمالها الذى وعدنا به وكأنه سبحانه يقول لنا ان كنتم فى شك مما وعدناكم به فى الآخرة من جنات وزينات فانظروا إلى تلك الآيات والزينات فهى لكم منى أمثلة وبينات (وفواتير وعينات) ، لكى لا تكذبوا رسلى وكتبى فإنى بعبادى رؤوف رحيم ارحم بهم من أبيهم وامهم فخلقت لهم فى الدنيا ما يحتاجون وزينت لهم فيها ما يشتهون وعدتهم بخير منها وأحسن ، وارقى منها واتقن لنختبر المكذبين من المصدقين ، ونبلو المسيئين من المحسنين ونميز الطائعين العاملين من أهل المعصية الخالفين عدلا منا وفضلا واملا (جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) ، فزينة الدنيا والآخرة ظهور لدلاله على زينته وقدرته وحكمته . و جماله وكماله وضيائه وبهائه وإحسانه وفضله ورحمته وهما السبيل إلى توحيده ومعرفته ، قال تعالى :(وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) ، بعد ان قال سبحانه : (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ، وكأنه سبحانه يقول ان ما اتيتكم به فى الدنيا هو متعة

وضرورة مؤقته واما عطاؤكم الحقيقى وزينتكم الكبيرة الخالدة التى خزنتها لكم عندى هى الخير الباقى العظيم .

واما زينة الله التى تعلقت بذاته وأسمائه وصفاته وأنواره وجمالاته وكمالاته فهى التى عقدنا من اجلها هذا الباب ، وهى التى من اجلها خلق الله الوجود وخلق اولى الألباب ، وهى التى أحرقت قلوب المحبين وهى التى أدهشت الباب العارفين ، وهى التى حيرت عقول المؤمنين وسلبت أفكار المحسنين ، وأصعقت أرواح المقربين ، وأسكرت أسرار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، بها زاد الوجد والغرام وبها نما الشوق والهيام وبها تهيمت قلوب أهل الوله والاصطلام ، وبها انس المحبون وسكنت أفئدة المحبوبين .

وكم كتب فيها إمام هذا الزمان مولانا السيد محمد ماضى أبو العزائم فاطلع على مواجيده النظمية التى لا يحصيها احد من البرية ، ترى العجب العجاب هذه الزينة هى التى أحرقت حقائق العوالم العلوية من الكرويين وهى التى أدهشت أرواح عالين وعليين وهى التى جننت عقول أولياء الله فى كل زمان وحين وكل ما بدا فى الموجودات هى ستائر تلك الجمالات والزينات ، وهنا يقول الإمام قدس الله سره :

جمال الوجه قد لاحا وداعى الوصل قد صاحا
وشمس الذات قد ظهرت وطيب الوصل قد فاحا
وبدر القدس قد لمعا وفضلا ناول الراحا
فنا من شاهد المجلى ونال السر وارتاحا
وغنى بالحقائق من راى الاشباح أرواحا
إلخ . . . . .

فاقرأ مواجيد الجمال تحظى بزينة الكبير المتعال ، فكل حسن بدا فهو من إحسانه وكل جمال ظهر فهو من جماله ، وكل محبوب قهر فهو من حبه ظهر ، وكل انس وفرح وسرور فهو من جمال الجميل الغفور ، فالجمالات كلها من جماله ظهرت

والكمالات جميعها من كماله كملت ، فكان الله ولا شيء موجود ومنه كل هذا الوجود .

ولنضرب لك مثلا أيها المطلع حتى تتحقق ان كل جمال قد حباه الله وكل حسن أو زينه هى من روح الله ، اشتهرت فتاة بالجمال فى الشرق والغرب حتى بلغ ذكرها جميع الآفاق وتزاحمت فى نوالها العشاق ، حتى ظفر بها أرقاهم وأغناهم بعد ان تكبد جميع المشاق وعندما دخل بها وارد ان يأنس بجمالها ويتمتع بحسنها خرجت روحها من جسمها ، فما يصنع هذا المغرم الولهان وهذا العاشق الحيران ؟ ، يفر منها فراره من الوحش المفترس ويتقذر منها اشد قذراه من الشئ النجس ، ما هذا الأمر المغير وما هذا الانقلاب الظاهر ، فى لحظة كان يموت غراما فى حبها وإذا به ينفر من شكلها وخيالها ، ولم ينقص عضو من أعضاء جسمها وهى هى بقوامها وقدها ، ما هو الا جمالات الزينة الالهية قد فارقتها ، وروح الله التى جملتها قد اودعتها فأصبحت جيفة تعافها النفوس ، ومتاعا باليا لا يساوى درهما من الفلوس ، بعد ان كان مهرها المال والأرواح اصبحت هشيما تذروه الرياح ، لأنها فقدت جمال الفتاح وسر المبدع الحكيم وصبغة القدير العليم ، هذا دليل محسوس على ان كل جمال هو من جمال القدوس وكل زينه فى الأرض والسموات هى من حسن إحسان رب البريات ، ولذا ترى أهل محبته فى كل زمان يفرون من الأكوان ولا يأنسون بأهل الحجاب من بنى الإنسان ، بل ترى انسهم بالله فى جميع الأعمال وحبهم فى الله دائم الاتصال ، وعشقهم وحنينهم إليه فى كل حال ، وهنا يقول إمام أهل المعرفة والانس السيد محمد ماضى أبو العزائم فى هذا المقام :

الانس بالله اغنانى عن الناس		والحب فى الله معراجى وتنزيلى
وذكر محبوب قلبى فى مواجهتى		أزال شكى وريبى لى والملل
والانس بالود غيبنى عن الفل		احيا رسومى واحيا قلبى القلبى

الخ ..... ما بين ، وكم كتب فى هذه المعانى قصائد نظمية واشارات نثرية تفوق حد الحصر منها ما طبع وما هو للان تحت الطبع نسأل الله ان يسير طبعه ونشره لينتفع به جميع المسلمين .

فزينه الله ظاهرها الآثار وفوقها الآيات وفوق الآيات أنوار ، وفوق الأنوار تجليات وفوق التجليات جمالات ، وفوق الجمالات جلالات وفوق الجلالات كمالات ، وفوق الكمالات أسماء وصفات وفوق الأسماء والصفات مجالى الذات ، وهناك ضياء وبهاء وغيوب وأسرار وخفاء واخفى ونزاهة وقداسه ، وما من مقام الا وفوقه مقام وما من جمال الا وفوقه جمال ، وما من كمال الا وبعده كمال ، وما من جلال الا وبعده جلال وقد جمل الله بزينته قلوب أهل الإيمان ، وكتب بقلم قدرته فى صدور العارفين من اولى الإحسان وقد وضحت ذلك آيات القرآن .

هذا موسى الكليم عندما تجلى له ربه الكريم دك جبله وخر موسى صعقا ، وهذا الخيل ابراهيم من قبله عندما اشهده الله زينة ملكوته قال " (فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلا رَبَّ الْعَالَمِينَ) ، وهذا عيسى وغيره من الأنبياء والصالحين عندما كاشفهم العلى جل جلاله بجمالاته هاموا فى حبه طول السنين ، وهكذا كل مؤمن ومحسن ومشاهد وموقن عندما تكشف له زينه العلى الودود يفر إليه مفارقا لكل موجود ، يتغنون بحبه ويترنمون بعشقه ويأنسون بلطفه وحسنه ، خاطبهم بالمحبة فجذب قلوبهم إليه وواجهم بجماله فحنت أفئدتهم لديه ، بين لهم فى كتابه واسمعهم لذيذ خطابه قائلا لهم فى القرآن الذى يقرؤونه : (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ).

وزينة المحبة فوق كل زينة ، زين أجسامهم بزينة الإسلام وزين قلوبهم بزينة الإيمان ، وجمل أرواحهم بمشاهد الإحسان ، وزين سرائرهم بأنوار اليقين ، وكمل نفوسهم بكمالات سيد المرسلين ، وصبغ كل معانيهم بصبغة أسمائه الحسنى فصفا خيالهم ونور أفكارهم وارشد اوهامهم وشرح صدورهم ، وأطلق أرواحهم فى فسيح الملكوت واشرف بنفخة القدوس على منابر العزة والجبروت ، ودنا بحقيقتهم الأولية فى نزاهة قداسة دنا فتدلى ، وأحاطهم بحنان الرحمة الكبرى وانعم عليهم

بالنعم التى لا تحصى ، وزينهم بزينة الظاهر والباطن والجمال الأول والأخر ، وفى الختام يواجههم بوجه النور السلام ، سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين .

الزينة . وما أدراك ما الزينة . هى كلمة ذات حروف قليلة ولكنها هى الحيطة الكبرى والوسعة العظمى التى ابتدأها من نوره ولون منها الألوان وكون منها جميع الأكوان ، وأوجد منها جميع الموجودات من عرش وما يحويه ، وفرش وما يبديه وجمال وما يحليه وظهور وما يجيله ، وملك وما فيه وملكوت وخافيه ، وقد عرف الزينة وتعرف عليها من أحاطه الله بها وشاهده أصولها وفروعها ، وكتب وزين واشهد وبين وأومى وأشار إلى حبيبه المختار وصفوته من البرية ورسوله إلى العوالم الكلية ، فلوح فى سورة الحجرات انه هو ايه الآيات وهو زينة الزينات.

قال تعالى : (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ) ، والمؤمن الأول هو رسول الله بدليل قول الله : (آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللَّهِ) فرسول الله هو الإيمان والإيمان من نور الرحمن والزينة هى جمال الإيمان فتكون الزينة الحقيقية هى الذات المحمدية التى هى القبضة الاولية كما نصت الآيات القرآنيه ، والاحاديث النبوية خصوصا من جاء المعنى الظاهر القاطع لحجة كل مكابر حديث الصحابى جابر حين سأل المصطفى صلى الله عليه وسلم قائلا ما اول ما خلق لله يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أول خلق الله نور نبيك من نوره يا جابر)) ، وكفى قول القرآن فى كثير من آياته المحكمة مثل قوله تعالى : (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ) ، وقوله سبحانه : (يَا أيها النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا) وسراج الله هو النور الذى لا يغيب والزينة التى منها كل عجيب وغريب ، فلوا اجتمعت الانس والجن والملائكة وجميع الخلائق على ان يحيطوا بنواحى تلك الزينة لعجزوا وارتدوا خائبين .

وان شئت ان تتمتع بشئ من تلك الحقيقات فاقرأ الفتوحات فى الصلاة على خير البريات لإمام هذا الزمان مولانا القائم السيد محمد ماضى أبو العزائم ، وهناك تبلج لك أنواره تلك الزينة وتعلم انها كبيرة وعظيمة ، فكل ما نسب إلى العظيم عظيم والله هو العليم الحكيم .

(نشيد الزينـــــة)

هى لى الغنى بمعنى زينة الأصل — وزينة الله فوق الفهم والعقل
وهى يجود فؤادى بالبيان وهى — يحظى لسانى بتعبير من القول
ايا جنانى واقتبس مددا — من قبضة النور على الوراث الكلى
سور العقل وبين زينة خفيت — أيا لسانى وصف زينة المولى
وزينة الكون فى الدنيا زخرفها — حتى يجيئ أولو العصيان والجهل
فزينة الكون فى الدنيا مفارقة — وهى الحجاب لأهل البعد والقلى
وزينة الكون فى الأخرى لمن وفى — وهى البقاء لمن قد فاز بالفضل
وهى الجنان التى وعد الإله بها — أهل اصطفاء وفا بالكتب والرسل
وزينة الحق فوق العالم الأعلى — علمى والخلى من الجنات فى التلى
وهى الجمال الذى عنه الغرام بدا — والحب والعشق فى الإجلال والفضل
وهى الهيام لأرواح مطهرة — من الوساوس والبهتان والسفل
وهى التجلى لمن قد فاز بالحسنى — وهى المجلى لأهل القرب والوصل
يا زينة ملكت أرواح من سبقوا — وجملت انفسا بالقول والفعل
يا زينة خربت الباب من شهدوا — جمالات ظاهرا بالعقل والنقل
من نكت حتى راى من بطن الاسما — سر السما فوق كل البعد والقلى
وكى افوز بوصل منك فى المجلى — فوق الخلاء والملا فى حضرة المولى
فقالت الزينة العليا أنا اصل — وقبضة النور من قدس ليها الأصلى
زهوتها تلى بعد سلب أنا — ومحو كل الورى فى السير والحل
أنا الزاهية فى التقييد حيث أنا — لا مثل لا كيف لا حد ظاهر مجلى
أنا لطيف أنا الأسما أنا كون — من الغيوب برى من كل من اهلى

يرى بأعيننا عنا الجمال لنا منا تجلى فسلم لى ايا عقلى
واشهد ايا قلب زينا تغن بها ايا لسانى ولحنها على مهل
فحسنها ظاهر والكل زينتها وعندها تشهدون أنوارها تجلى
تجلى الجمال لمن نالوا مواصلتها تبدى الكمال بلا فئ ولا ظل
ما زينة الكون الا ايه المولى وزينة الأخرى رمز لتى عقل
قد خصها الله للأحباب مكرمة بلا انتهاء ولا سلب ولا فصل
وزينة المولى للسابقين وهم أهل الولاية والإحسان والفضل
مع النبيين والمختار تقدمهم فى الحظوة الكبرى فى المنزل الأعلى
لدى الإله بلا حد ولا كيف ولا مثيل فنزهه عن المثل
يارب بالمصطفى فاجعل مؤانستى يوم التلاقى فى حضرة المولى
من فوق أنى لدى المختار فاجعلنى مع الحبيب المرجى سيد الرسل
والوارث الود مطوى شفاعتها يجلى لى الشاهد فى وصلى وفى فصلى
وصلى ربى على غوث الأكوان من به تزينت الأكوان بالفعل
محمد اصل كل الكائنات به أيا ربى جميع الفرع والأصل

فالزينات التى أظهرها الحكيم جل جلاله فى جميع المخلوقات ما هى إلا دلائل ظاهرات يهدى بها من يشاء لحضرته ويضل من يشاء بعدله وحكمته ، سر جماله وكماله وجلاله وبهائه وضيائه وهى مظاهر لإشراق أسمائه وصفاته ، وليعرف سبحانه لأهل خصوصيته من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وأهل عالين من عمار العوالم العالية لأنه سبحانه وتعالى له أحباب فى السموات والأرض ، والأعلين أحبهم واختارهم واصطفاهم وعلم ما عندهم له من الشوق المحرق والحب المزعج ، فأظهر تلك الزينات لتكون معارج وقربات وإشارات وآيات ودلائل أوليات سر اسمه الظاهر الحكيم القادر ، الأول الأخر الصانع الخبير السميع البصير ، النور الهادى المقيت الشافى ، فأهل الإحسان من طبقة العارفين . عرفوا الله أولا بزينة الملك وترقوا منها لزينة الملكوت ومنها إلى عوالم الأرواح ومنها إلى سر تجليات زينة الأسماء والصفات ، ومنها إلى مجالى

حضرة الذات وكلما وصلوا إلى زينة من تلك الزينات وأوصلتهم إلى ما فوقها من المقامات ، حتى وصلوا إلى ماله خلقوا وما لأجله وجدوا فسبحان اللطيف الخبير الرءوف الرحيم .

المقام الثانى والسبعــون

(العمل الصالح)

سورة الكهف

قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلا) ان الله سبحانه وتعالى خلق العوالم على أقسام كثيرة منها ما هو مسخر ومنها ما هو مفطور ومنها ما هو مكلف ، فالمسخر هو الشمس والقمر والكواكب والهواء والماء والجماد والنبات والحيوانات وغيرها من دواب البر والبحر . والمفطور هو فى صورة المكلف كالأرواح العاليات من عمار السموات والعرش وما فوقه فاطروا على التسبيح والتقديس (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ) وهناك عالم الجن اقرب إلى التكليف من تلك العوالم بدليل قوله تعالى : (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ) ، وقوله : (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ) ، وهناك عالم الابالسة والشياطين وهى الحقائق التى فطرت على الشر وهى اقرب منزلة من الجن إلى التكليف بدليل قوله تعالى (إِلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ) ، والملائكة والجن والشياطين وان كانوا فى دائرة التكليف وكان تكليف جزئى لأنهم لم يحملوا الامانه الكلية ولم يرسل منهم رسول ولم يجعل الله منهم خليفة سبحانه وتعالى .

وأما الذى أمر بالتكليف الكلى والأمر الجامع لكل التنزلات والشرائع هو الإنسان البشرى والمخلوق الادمى الذى سخر الله له جميع الكائنات فى الأرض والسموات، وهو الذى كلفه وحمله أمانته واتخذه خليفة واختار منه لذاته واصطفى منه لحضرته ، واجتبى منه من شاء واطلعه على جميع الأسماء ، هذا الإنسان العجيب

والمخلوق الغريب الذى حير العوالم كلها ، وادهش المخلوقات كلها وخدم الموجودات جميعا ، اتخذ الله منه الخيل والكليم والحبيب ولم يتخذ من سواه ، قرب منه من شاء وأدناه وابعد منه من شاء واقصاه ، وهو هذا الإنسان الذى نراه يمشى على الأرض جاهلا بنفسه غافلا عن ربه ، هذا الإنسان هو المراد فى الأزل وهو المكلف والمأمور بالعمل (إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلا) ، نسب الله سبحانه العمل إلى الإنسان ليظهر سر قدرته ونور حكمته وعلو صنعته ، امر الإنسان بالعمل وهو الذى خلقه وضاعف له الأجر وهو الذى أعطاه ورزقه ، كلفه بطاعته وهو الذى هداه ووفقه .

والأعمال لها ألوان شتى ومقامات ودرجات لا تحصى ، وقد فصلها القرآن تفصيلا ووضحها توضيحا وبين صوابها من خطأها وصلاحها من أصلحها ، وحسنها من أحسنها وقبولها من بطلانها ، فالأعمال الباطلة ما كان فيها لله شريكا ، وما كان على جهل لأن كل عمل بغير علم باطل ، ومن الأعمال الباطلة ما كان فيه رياء أو منا أو اذى قال تعالى : (لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ) ، وكذلك كل عمل من متكبر أو حاقد أو حاسد أو فاسد أو ظالم أو معتد أو مفتخر بعمله أو طاغ أو باغ أو معتز أو معلل بأى علة لأن الله طيب لا يقبل الا طيبا ، وكل ما خبث لا يقبل عند الله (وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا) .

واما الأعمال الصالحات فلها شروط عديدة وأوصاف كثيرة ، أساسها توحيد الله تعالى والأخلاق لذاته فى السر والعلن قال تعالى : (وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) ، وقال سبحانه لسيد العالمين : فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ . أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) ، ولا بد من العلم قبل العمل ولا بد من حسن الإتباع للمشروع صلى الله عليه وسلم ، ولا بد من اتباعه من الاسترشاد فى الاتباع بعالم عامل صالح تقى مرشد متمكن فى التشريع والتوحيد خبير بخطوات الشيطان وبدسائس النفوس وبأمراضها وبطرق تزكيتها ، عليم بالحكمة والموعظة الحسنة والبرهان القوى وارث للنبى فى أقواله وأفعاله وأحواله .

والأعمال الصالحات لها شروط صحة ولها شروط قبول ، فشروط الصحة مذكورة فى كتب الأحكام كصحة الصلاة من طهارة وأقوال وأعمال ، وصحة الصوم والحج وصحة الزكاة مما دون العلماء فى كثير من الكتب وإنا نترك هذه الناحية اعتماد على ذلك ، واما حصة القبول وهى دقائق العلم وحقائق العمل ولطائف القلوب من علوم أهل الإيمان والإحسان فهى التى وضعنا من اجلها هذا الكتاب وعقدنا بخصوصها هذا المقام ، فأساس صحة القبول معرفة الله تعالى ومعرفته سبحانه تنتج التقوى والتقوى هى الأساس الثانى ، وهى التى بها الخشوع والخوف والرجاء والطمع والحب فى الله والبغض فى الله والشوق إلى الله والإخلاص والصدق فى طاعة الله ، وتلك الأحوال تنتج العلم بأيام الله وحكمته فى طى أحكامه فيكون العالم على بصيرة فى علمه ملاحظا مراد الله تعالى فى أمره مراقبا لعظمته سبحانه فى علمه ، وهنا تجلى له أسرار العمل وحكمة التكاليف ويشهد قدرها ويكون فرحا بقيامه بها كمال قال صلى الله عليه وسلم : ((وقرة عينى فى الصلاة)) وبذلك تشرق له مشاهد العرفان وجمالات الإحسان فيعبد الله عبادة الحضور والشهود وتكشف له أنوار الحق جلية فيتمتع بلذيذ الخطاب على طور التجليات وبالمؤانسة فى جمال المواجهة ، ويكون عبدا ربانيا سامعا بالله بصيرا بالله متكلما بالله سائرا مع الله معتمدا على الله متوكلا عليه ومفوضا أموره إليه ، واكبر علامة على قبول العمل وصلاحه ان لا يرى له عملا مطلقا وهو كادح فيه قائم به لا يفرط فى أى أمر من أوامر الله حريص على أداء الفرائض مسارع إلى أحسن الأعمال من النوافل ومع ذلك لا يشهد الا تقصيرا وعيوبا وذنوبا ، وإذا ذكرته بعيب تذكر وتاب واستغفر حاله المتاب وقوله الصواب ، تراه فى كل عمل ذليلا منكسر القلب مشغولا بعيوبه عن عيوب غيره ان رأى حسنه نسبها إلى المحسن جل جلاله ، وان وقع فى أى خطأ أو زلة نسبها لنفسه الأمارة بالسوء ان مده لا يتأثر ولا يغتر ولا يتكبر ، وان ذمه غيره بحث عن تلك الصفة المذمومة فى نفسه واستعان بالله على تطيره منها ولذا يقول إمام العارفين فى هذا الزمان مولانا السيد أبو العزائم : " ان علامة قبول العمل الصالح ان لا يراه فاعله " ، قال

تعالى : (وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) أى ان العمل إذا قبله الله رفعه عن العامل حتى لا يراه فلا يفتخر به ، ولا يغتر بشهوده فيلزم الانكسار ويداوم على الاستغفار ، ومن علامة قبول العمل أيضا استغفار بالنسبة لله وتعظيم بالنسبة لأمر الله فإذا ملأ طباق الأرض أعمالا صالحة استصغرها وإذا قصر فى أى أمر من أوامر الله واستعظم ذنبه ، لأنه مهما قام بالطاعة والأعمال الصالحة لله لا يوف هذا المقام حقه و يقدر الله قدره ، لأن الله فوق كل التقدير وهو العلى الكبير ، وإذا ترك فرضا أو واجبا أو مندوبا رأى ان هذه المخالفة أعظم من السماء والأرض لأن الذى خالفه كبير متعال والمخالفة تعظم بقدر عظمة العظيم جل وعلا .

ضرب الله بخلقه مثلا بإبليس لعنه الله فإنه عبد الله سبعين ألف سنة واستعظم عمله الصالح ، وخالف الله فى سجدة واحدة فأضاعت عبادة السبعين سنة وطرد من رحمة الله وغضب الله عليه ، وهذا آدم عليه السلام لم يغره سجود الملائكة له ولا علمه بسر الأسماء ولا برياسته على العالم الملائكى ، وعندما وقع فى الخطيئة حزن على نفسه وعظم هذه الخطيئة ونسبها لنفسه أدبا مع الله تعالى قائلا : (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) ، هذا هو علامة العمل الصالح وعلامة العلم المقبول ، ومن علامة ما تلقيناه فى دروس الحكمة من إمام هذا الزمان مولانا السيد محمد ماضى أبو العزائم قال قدس الله سره : " لا يكون المصلى مصليا مقبول العمل الا إذا عرف بمن يصلى ولمن يصلى وكم يصلى " ومعنى ذلك ان كل عمل لابد ان يشترك فى قبوله ثلاثة شروط :

الشروط الأول التوحيد وهو ان العامل لابد ان يشهد انه يعمل بالله أى بمعونته وهدايته وتوفيقه ، الشرط الثانى ان يكون العامل قاصدا بعمله طاعة الله لا لعلة من العلل بل يكون عمله مخلصا لله قاصدا وجه الله طائعا لأوامر الله ، الشرط الثالث ان يكون المصلى أو العامل فى أى عمل لله تعالى ممثلا وقائما كرسول الله تمثيلا صحيحا فى القول والعمل لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المشرع الذى تلقى صورة الأوامر من الآمر جل وعلا ، فلا يقبل الله سبحانه عملا من عالم إلا إذا وافق هذا العمل صورة الرسول عليه الصلاة والسلام .

والعمل الصالح لا حدود لكمالاته لأنه متعلق بمستحيل ومقدم لرب جليل ، فكما انه يستحيل إدراك المعبود جل جلاله كذلك يستحيل إدراك ما يليق بجنابه الرفيع من العمل الصالح ، ومن هنا كان استغفار المصطفى علية الصلاة والسلام فى كل مجلس سبعين مرة وكان دائما توابا واثبت القرآن ذلك فى مواطن كثيرة ، والذين اشتبهوا فى تعبيرها لم ينظروا هنا إلى الناحية ولم يبحثوا هذا المقام وتعلقه بالملك العلام ، ولم يلحظوا مشاهد المصطفى عليه الصلاة والسلام وقد اشرنا فيما سبق إلى ذلك فى كتاب الشعب فى مقام التوبة ، وهنا نختتم هذا المقام بمزيد من مشاهد أهل الإحسان العمل الصالح فى مشاهد المحسنين هى تجليات إحسانيه وعنايات رحمانيه ، ومواهب إلهية يتفضل الله بها على من يشاء من عباده وليست فى طاقة البشرية ولا فى حيطة الملكوتيه فلا ملك مقرب ولا رسول مرسل ، ولا ولى مرشد ولا عبد فى مقام العبودية متمكن يمكنه ان يقدم لله عملا يستحق به فضلا أو جزاء أو ينال به عطاء أو زكاة ، وإنما هو فضل يتفضل به على من يشاء من عباده قال تعالى : (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابد ولكن الله يزكى من يشاء) ، ولذا كانت مشاهد المرسلين والصديقين والشهداء والصالحين التبرئه فى العمل وبعد العمل وقبل العمل من الحول والقوة معتصمين بلا حول ولا قوة الا بالله متحققين بقوله تعالى : (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) فيرون ان الفضل لله فى الإيجاد والفضل لله فى الأمداد ، وفضل فوق هذا بنسبه العمل للعالم ، فضل فوق ذلك فى التوفيق فى العمل ، وفضل بعده فى قبول العمل، وفضل فى الجزاء على العمل .

ولا نهاية لفضل الله فى الدنيا والاخره ، فإن تفضل بعلم فالعلم سر العليم ولا نهاية وان تفضل بحكمة فالحكمة سر الحكيم ولا اخر لها ، وان أكرم بحلم فالحلم سر الحليم ، وان تفضل بأى نعمة ظاهرة كانت أو باطنة فهى سر المنعم الظاهر الباطن الذى لا حد لنعمه ولا حصر لعطائه ، فالعمل الصالح نعمة من نعمه تفضل بها على الصالحين واعد لهم فى الآخرة عطاء على قدره العظيم ، وهنا نقدم فى الختام العجز عن وصف هذا العطاء الذى حفظة لأحبابه بقوله : (إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلا) فمشاهد المحسنين فى تلك الآية ان الإيمان من الله والعلم بمعونة الله وصلاح العمل بفضل الله وحفظ الأجر فضل من الله والإحسان من عند الله (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) فالصالحون أهل العمل الصالح هم رجال اختارهم الله من البشر وهم قليل عددهم كثير مددهم لا يقدر عطاؤهم ولا يحصى ثوابهم ، وهم الصفوة من الخلائق أجمعين من النبيين والصديقين والشهداء والمقربين خصهم الله بإحسانه، وفضله وقربه وشهوده ورضوانه خلقهم الله من نور جماله ، ومن ضياء بهائه وجعلهم مظاهر لاشراق شموس كماله ، لاجلهم خلق الله هذا الوجود وزين لهم كل موجود ، وهم أهل الحضرة الكبرى والحظوة العظمى وإمامهم خاتم النبيين وهم أهل أنسه ومحل قربه يوم الدين ، وهم الشاهدون لأنوار ذاته فوق مقام مقعد صدق فى دار البقاء لا تعلم نفس ما اخفى لهم معهم العطاء ، نسأل الله ان يحشرنا معهم فى أعلى مقام انه مجيب الدعاء .

(أنشودة الصلاح)

أهل الصلاح هم شموس العنايات ومظهر فضل فى بدء البدايات
ورحمة الله من أزل إلى ابد ونعمة الله فى رتب الولايات
قد خصهم ربهم بالفضل والحسنى له اجتباهم فنالوا الحظوة التى
هم الموالون للرحمن خصصهم لذاته وهم نور الهدايات
أعمالهم فى صلاح وهو هاديهم إلى طهر وطهر بتوفيق وحسنات
فى كل حال لهم شوق لخالقهم وحبهم حجة فى نص آيات
(يحبهم) اثبت القران وصفهم وهم (يحبونه فافقه اشاراتى
لا يشهدون لهم قولا ولا عملا ولا يرون لهم حولا بإثبات
يثبت الله منا من يشا فضلا وهو الكريم تعالى عن عباراتى
أهل الصلاح حظاهم ربهم فبدت أسرارهم كل حين بالكرامات
إمامهم سيد الكونين قدوتهم من قبل عرش وفرش والسموات

وهو الوالي لهم في الدين والدنيا — وهو الإمام لنا عند النهايات
والعون لحي عن وصف وعن حصر — وعن حدود بلا كيف وحيثيات
وهيكلا والعلى الحق خصصنا — لذاته ودعانا للتحديات
غنى أيا روح بالألحان ان لنا — فضلا عظيما هلا يحصى بكلمات
ترنمي رددي النغمات في المبنى — كي تشرق المعنى في طي نغماتي
وروحي قلب مشتاق إلى المجلى — في النور والحجب في سوق الخطيئات
وذكرى نغمات القدس كي تحظى — بمطلع الوجه في قدس الجلالات
بيوم صلاحي به في نور عزته — في حضرة أقدس فضل العنايات
يارب بالود خير المرسلين أغث — عبدا ذليلا تقبل ربى دعواتى
واجعل حياتي على منهاج سنته — ونور دعوته وألطف بحالاتى
واجعل مماتي في أحضان حضرته — وبرزخى عنده اعلى مقاماتى
في روضة الود عطفي فاجعل جسمي — حيا بها وأعطني حسن المثوبات
واغفر لذنبي وبدل سيئي وزري — بالصالحات وبارك في العطيات
أحسن إلى مذنب قد جاء مفتقرا — إلى جنابك يا مولى الولايات
بالصالحين الحقي وسع قربى — واجعله روضة أنسي في السويات

فالصالحون من البيداء قد تولى الله صلاحهم وإصلاحهم ، وجعلهم فى الكون دلائل للصلاح وسبلا للإصلاح ومرشدين للنجاح والفلاح ، بهم يقرب من يشاء ويهدى من يشاء ويبعد من يشاء ويضل من يشاء جعلهم كواكب الأنوار للأرواح فى البداية وسرج الكون فى الهداية ومصابيح الوصول إلى مقامات النهاية ، فهم برازخ الحضرة الموصلين لرب العالمين ورموز الجمال والأدب والكمال الذى أراده من عباده ارحم الراحمين ، وهم خيره الخلائق وأنوار الحقائق والوسائل للرسائل بين العلى الأعلى وبين العباد اجمعين هم فى الدنيا مجهولون إلا لأهلهم ، وفى الآخرة هم الشفعاء عند ربهم وهم أهل الدولة يوم الدين ، نسأل الله بهم أحسن

العمل والحفظ من الزلل والدرجات العلى لدى العلى الأعلى إنه سميع قريب مجيب.

المقام الثالث والسبعـون

(الولايـــة)

سورة الكهف

قال تعالى : (قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا . قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا . وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا) .

ان الله سبحانه وتعالى بين كل ما كان وما يكون فى آيات القران تارة بالأحكام وتارة بالحكمة وتارة بالموعظة وتارة بالقصة وغير ذلك ، وهنا قد شرح لنا وبين مقام الولاية فى ذكر قصة ذى القرنين وقبل ان نتكلم فى هذا المقام الخطير نذكر أقسام الولاية بإجمال قليل ، تمهيدا لهذا الموضوع الواسع الكبير ، الولاية بحسب اصطلاح الهيئة الحاكمة فى إدارة الممالك والشعوب الآن معلومة ومعروفة ومحسوسة ومرئية لكل إنسان من اصغر ولىٍّ إلى اكبر ولىٍّ ، من الخفير والجندى إلى ملك البلاد أو رئيسها العام بحسب أنواع الحكومات واصطلاحها فى الأحكام ، ان كانت ملكية مطلقة أو ملكية دستوريه أو جمهورية أو غير ذلك مما نوعته الحوادث الزمنية والولاية بحسب بيان القران وإشاراته الإجمالية تنقسم إلى ثلاث أقسام : ولاية زمنيه جثمانيه بشرية محسوسة مرئيه . وولاية معنوية روحية ملكوتية . وولاية جامعه للنوعين الجسمانى والروحانى .

فأما الولاية الجسمانية فتعطى للكافر والمنافق والمؤمن . وأما الولاية الروحانية فتعطى للرسل وورثتهم من الأولياء والصالحين وهى ولاية ناقصة عن الولاية الجامعة ، وأما الولاية الجامعة فهى التى عقدنا من اجلها هذا الباب وحررنا لبيانها

هذا المقام ، ولا يقوم بها إلا القليل من الرجال المتمكنين فى التشريع والتحقيق من كل نبى وولى وصديق عندما يعم الفساد ويظهر فى العباد والبلاد ، هذه الولاية إذا ظهرت على يد فرد من أفراد الوجود عم الصلاح والإصلاح جميع الأقطار والشعوب والممالك والبطاح ، هذا آدم عليه السلام أقامه الله فى الولاية الروحية الملكوتيه فخدم له الملائكة وأسجدهم وولاه عليهم فعلمهم ، ثم انزله إلى الملك ليأخذ من المملكة الجسمانية قسطا تكميليا لولايته ، ثم توالت من بعده الأنبياء والمرسلين منهم من ولاه الله ولاية الروح فقط كإدريس وعيسى عليهما السلام ، ومنهم من ولاه ولاية الروح والجسم كسليمان وداود وسيد الوجود محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا ذو القرنين إما أن يكون نبيا أو صديقا على حسب اختلاف أقوال المؤرخين قد ولاه الله ولاية الملك والملكوت مثل خلفاء المصطفى رضوان الله عليهم اجمعين ، هذه الولاية الجامعة هى التى نزل بها القرآن وهى التى اكمل الله بها النظام وأتم بها تشييد العمران ووضع بها قانون الأمن والسلام ، هى التى تعطى كل ذى حق حقه وهى التى توفى كل صادق صدقه .

وصاحب تلك الولاية لابد ان يكون بمراتب الوجود خبيرا وتراه فى ولايته متعوب الضمير ساهر على سعادة البشر ، ساع فى الخير والبر قاهر لكل شر ، بصيرا بأنواع النفوس وأمراضها ، قائم على إصلاح الحياة بجميع أنواعها ، يدفع الشرين بالشر الواحد وينصر الخيرين على الخير الواحد ، ويقمع المفاسد بالفساد الواحد، من يراه من الجاهلين يحكم عليه بأنه من الضالين لأنه يقتل وينهب ويبطش ويرغب ، ويسلب الأموال ويذل الرجال ويأسر النساء والعيال ، ولكن كل هذا فى دائرة الإصلاح وفى نوال الفلاح يكون كالطبيب الماهر الذى يقطع العضو الواحد ليسلم باقى الجسد من الهلاك ، ويشق البطون لينجى الجسم من الخلل والارتباك ويكون كالوالد الرحيم الذى يسلب المال من ابنه السفيه السقيم ليصلح به حاله ويسعد به اعماله وماله ، لأن الناس فى دائرتهم الدنيوية وفى اجتماعاتهم الكونيه كأسرة عائلية ، وهو بينهم اب شفوق يمنع عن هذا ليصلحه ، ويعطى هذا ليكرمه ويكرم به غيره .

الولى الجامع هو خليفة الله فى أرضه ومثاله بين خلقه ، فكما ان الله يعطى ويمنع فالخليفة عن الله تعالى يعطى ويمنع ، وكما ان الله سبحانه يخفض ويرفع فهو كذلك يخفض ويرفع ، وكما ان الله يرحم من يشاء ويعذب من شاء فهو كذلك يرحم ويعذب بأمر رب الأرض والسماء ، وكما ان الله يسيء إلى الظالمين ويحسن إلى المحسنين فهو كذلك منفذ لتعاليم رب العالمين ، قال تعالى بيانا وتحقيقا لنا لا شكا ولا ظنا : (قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا) . فأجاب بلسان الخلافة عن الله منفذا لأوامر الله لا ظلما ولا شرا ولا ضر (قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا) ، وكأنه يقول انى بموجب خلافتى عن ربى أعذب الظالمين واردهم إلى عذاب رب العالمين ، كذلك أحسن إلى المحسنين وأكرم المؤمنين طاعة لأرحم الراحمين لا رياء ولا عطفا ولا منا (وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى) .

فصاحب هذه الولاية قد تخلى عن حظوظه وشهواته وتحلى بأسماء الله تعالى وصفاته ، فتراه منتقما جبار شديدا وتراه تارة رحيما رؤفا ودودا ، لا تحكم عليه العواطف ولا تشغله عن المحسوسات واردات اللطائف ، فتراه فى محرابه ناسكا عابدا وفى شهواته قنوعا زاهدا ، وفى درسه عليما خبيرا وفى قضائه ناقد بصيرا، وفى جيشه فارسا صنديدا وعلى الظالمين نارا وحميما ، وعلى المحسنين وليا حميما رحيما ، يقيم القصاص ولو كان على ولده وينتقم من الظالم ولو فلذة كبده . قال على الصلاة والسلام : ((لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعة يدها)) ، وهذا عمر خليفته أقام الحد على ولده واقتص للقبطى من ابن الأمير ، وما أحوج هذا الزمان إلى رجل من هؤلاء الولاة الذين يحكمون بما انزل الله ، حتى ينقذوا تلك الإنسانيه البائسة من هرجها ومرجها وعدوانها وظلمها ، وليس على الله ببعيد ان يكرم به هؤلاء العبيد لأنه الفعال لما يريد .

فولايتنا الآن قسمان : القسم الجسمانى مع حرب الشيطان . القسم الروحانى مع أهل القرآن . والأغلبية حائرة وفى همومها وغموها ساهرة ، والناس فى ظلمات يتخبطون وفى كرب وحرب هائمون لا يدرون كيف يفعلون ، وأهل الولاية

الروحية يصيحون فلا سميع وينادون ويرشدون ولا مطيع ، وأهل الولاية الجسمانيه فى ظلمهم وكفرهم طاغون على الشعوب الضعيفة باغون ومعتدون ، فغوثاه اللهم غوثاه ان تدرك العالم الإنسانى بولى من أوليائك وخليفة من خلفائك يبدل ظلم الأرض عدلا وشرها خيرا وفضلا ، وحربها سلما وخسرها غنما ، يقومها بالقسطاس المستقيم ويهديها الصراط المستقيم ويوجهها السبيل القويم .

قامت الولايات الجسمانيه فى الشرق والغرب فلم تنتج فى العالم الا الكرب والحرب ، وكلما زادت قوتها كثرت مشاكله ، وكلما وضعت قانونا للعباد زاد فى الأرض الظلم والفساد ، فرحمة منك يا رحمن يا رحيم بولى من أوليائك حكيم عليم ، ينقذ تلك الإنسانيه من ضلالها وينجيها من جهلها وخبالها ، هذا الغرب قد رقى إلى قمة الاختراع فى القوة وطلب السلام فلم يزداد الحرب الا قوة وشده ما هذا الا انه حرم الولاية الروحية التى تسيطر على الأفكار والعقول الأرواح والقلوب ، فلو بحثت تلك الممالك والدول عن رجل واحد نال الولاية الروحية وأحاطوه بتلك القوة ، لاصلح العالم جميعه بكلمة واحدة ، انظر إلى سليمان عليه السلام حين بعث بكتابه إلى بلقيس بقوله الحكيم أنه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ، فجمع فى كلمته الولايتين الولاية الجسمانيه فى لفظة (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ) والولاية الروحية الربانيه بقوله : (وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فأتته بلقيس بجيشها القوى صاغرة طائعة ، وفى هذا المقام اثبت ذو القرنين هذه النظرية بقوله فى تقريره السابق : (فامن أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ) إشارة إلى الولاية الجسمانيه الزمنية وقوله : (ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ) إشارة إلى الولاية الروحية الربانيه .

فأين هؤلاء من قوم إذا قالوا أو شرعوا أو فاوضوا يقول قائلهم باسم حكومتى يعنى ملكه الجالس على العرش وكأنهم أصبحوا آلهة أو شركاء لله ، فلا حول ولا قوة الا بالله . ويا ليتهم قالوا ذلك مع مراقبة مالك الممالك إلا أنهم عن الله غافلون وعلى قوتهم وحولهم معتمدون ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وهنا يلزمنا ان نبين السبيل والمخرج الذى تخرج منه العالم إلى ميدان الفرج فليس

الطبيب هو من وصف الداء ، إنما الطبيب من شخص الداء ووصف له الدواء ، المخرج الآن هو ان يسعى أهل الولاية الروحية فى إصلاح القلوب المؤمنة ، وتزكيه النفوس المحسنة المطمئنة بالحكمة والموعظة الحسنة ، لأن الحكمة والموعظة هى دواء النفوس الصادقة المخلصة وهى التى يقوم الحق على أيديها ، وهى التى تقوم فتؤيد الحق وتنصره وتعليه وهى التى تنشره وتقويه ، وهى التى إذا اجتمعت وائتلفت وبالله اعتصمت وعليه توكلت واعتمدت سلب الله الملك والولاية من الدول الجسمانيه وحولها إليهم ، وهو بذلك فى محكم كتابه قد وعدهم قال تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ) ، فالواجب الآن على ولاية حزب الرحمن ان يعالجوا النفوس من أمراضها بدواء القرآن حتى يحسم الداء ويرفع البلاء ، قال تعالى : (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآَنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ) .

وما دام أهل الولاية الروحية قاعدين وعن طهارة أنفسهم وتزكيتها معرضين ، وفى شئونهم متفرقين فدولة الأجسام باقية وسلطتها على رؤوس العباد قائمة وفى جميع الدول حاكمة وفى جميع الحقوق ظالمة ، وهذه سنة الله فى عباده ان عصاه من عرفه سلط الله عليه من لا يعرفه ، وإذا قامت أهل المملكة الروحية داعين على سنة خير البرية أيدهم الله ونصرهم وثبت أقدامهم وملكهم المملكتين وأعطاهم الحسنين ، قام النبى صلى الله عليه وسلم بالدعوة حق القيام فلبته أهل الإيمان والإسلام ، أصحاب العقول المنيرة الضمائر الحية الصدق والإخلاص ، وهؤلاء هم الذين يؤيدون الحق وينصرونه فى كل زمان وهم الذين ناداهم فى كتابه بقوله : (يَا أيها الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا أنصار اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أنصاري إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أنصار اللَّهِ) فإذا أراد الله ان يظهر فى أى عصر تلك المملكة الجامعة جمعهم وأظهرهم وأيدهم قال تعالى : (أَيَّدْنَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ).

هذه الولايات التى تراها الأعين فى هذه الحياة الدنيا تنتهى بانتهاء موت الوالى وخروجه من تلك الدار ، واما الولاية الروحية الإيمانيه الربانيه فهى دائمة فى البرزخ وفى الحشر ويوم القيامة بدليل قوله تعالى : (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ)

ثم تكون بعد ذلك ولاية نعيم فى عطاء مقيم عند الولى الحميد فى مقعد صدق عند مليك مقتدر وهى ولاية أهل الإحسان ورجال العرفان ، كل يوم فى مزيد قال تعالى : (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) فتكون تلك الولاية استزاده من الله ورفعة إلى الله وقرب وكشف دائم فى كمالات الله وأنوار الله وأسرار الله التى لا نهاية أبد الآبدين ودهر الداهرين ، فالولى هنا الذى أقامه الحق ولاية ربانيه تدون له ولايته فى الآخرة بغير انقطاع وانتهاء إنما تكون ولاية شهود وتعريف لا ولاية أوامر وتكليف .

نسأل الله تعالى ان يكرمنا بولايته الكبرى مع الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم انه مجيب الدعاء رءوف رحيم .

(الولاية وسرها)

علم الولاية فوق إدراك العقول	طى العناية وهى من سر الوصول
علم الولاية جامع لحقائق	جلت عن التعبير أو شرح الفصول
ران الولاية فى الحقيقة نور من	خفى الورى وهو الولى بلا مثول
عجز الكيان عن البيان لوصفها	لى والإشارة والعبارة فى المقول
فولاية فى الكون بل وولاية	فى عالم الأرواح فى عالم الأصول
وولاية الأسرار سر الاجتبا	وولاية النعوت فى كل القبول
وولاية المجلى العلى وغيبها	من فوق أرواح الملائكة فى النزول
نزل الولى بلا مثيل نزهن	عن كل كيف أو تشبيه أو حلول
وولاية الفرد المراد محمد	فى محكم القرآن بأنوار الرسول
(ان الذين يبايعونك) بينت	قدر الحبيب المصطفى سر الوصول
(ولو انهم) قد وضحت لمقامه	وهو الولى سما على كل الفحول
ولاه مولاه الولى ولاية	من دونها وقف الأمين عن الحصول
جبريل عن مقامه وشهوده	والمصطفى فى حضرة فوق التحول
من فوق أرواح العوالم كلها	من فوق أو أدنى مقامات الرسول

سر الولاية غيب غيب غامض — لا يدريها إلا التقى العبد الموئل

فولاية الإسلام بل وولاية — الإيمان والشرح يطول

وولاية الإحسان والإيقان بل — وولاية الأفراد وريث الرسول

كل العوالم فى الولاية ثابت — والكل فيها سائر ماذا أقول

والعجز وصفي والجهالة مبدئي — والعلم للمولى وعنه لا أحول

ثبت الهى باليقين سريرتى — وتولنى بولاية فيها القبول

عند الحبيب المصطفى كن طائفا — فى الحضرة الكبرى بقاء لا يزول

فعلم الولاية متعلق بالولى الوكيل جل جلاله وهو فوق القدر تنزيها وتقديسا وتصويرا ، وقد أراد الحق ان يظهر تلك الولاية فى دائرة الملك والملكوت والعزة والجبروت وعوالم عالين وعليين والاعلون ، وجمع أسرار تلك المظاهر فى الإنسان واختار واصطفى من الناس أولياء ، واختار من الاصفيا سيد الأنبياء والأولياء وجمله وكمله بالولاية الكبرى فى الدنيا وفى الأخرى وبين هذا المقام فى محكم كتابه بقوله : (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) وهى الولاية العامة على جميع الخلائق يوم القيامة والشفاعة العظمى التى لا ينالها سواه ، وهذه العلوم وتلك الأسرار لا يتصورها إلا أهل اليقين الذين علمهم رب العالمين .

نسأل الله ان يحفظنا من المكذبين بيوم الدين ويمنحنا أرقي مقامات اليقين انه سميع مجيب الدعاء .

المقام الرابـــع والسبعــون

(الصنـــع)

سورة الكهف

قال تعالى : (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا . الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا)

الصنع مأخوذ من صنع أى عمل بعد بلوغ سن التكليف من عقيدة وعبادة ومعالمة وأخلاق ، وقد أشار هذا المقام إلى ان الإنسان قد يعمل الأعمال وهو معتقد صلاحها وحسنها وهى فاسدة وباطلة من أساسها والأعمال أنواعها كثيره ، والتعبير هنا بلفظة الصنع لمعنى خاص فى دائرة العمل وهو الإتقان فكل عمل متقن يسمى صنع قال تعالى : (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) ، ولما كان المراد من هذا الكتاب هو بيان مقام الإحسان وصنع العمل وإتقانه فى درجات المحسنين الزم ان نترك كل الأعمال إلا ما نحتاج إليه فى مقام المنال ، ان لله تعالى رجالا أحسنوا العمل وأتقنوه حتى نالوا محبته وإحسانه ، وهناك قوم تشبهوا بالمحسنين وادعوا الإحسان وهم أضل من الشيطان ، نريد بمعونة الله تعالى ان نبين الفريقين ونصف الطرفين حتى يظهر الخبيث من الطيب .

يقول الله تعالى قل يا محمد هل أخبركم واشرح لكم وأوضح وأبين سبيل القوم الخاسرين الذين خسروا أعمالهم وضيعوا حياتهم سدى وساروا فى طريق الضلال وهم يظنون ويعتقدون انهم سائرون على الطريق المستقيم الموصل إلى مقامات المحسنين ،وعلاماتهم كثيرة جدا وأول علامة تعرفهم بها هى جهلهم بعلم الآيات الذى هو فى مقام حروف الهجاء للكاتب ، وكما ان الكاتب لا يمكنه ان يكتب الا بعد علمه بالحروف كذلك لا يمكن لاحد معرفة الدين الا من طريق العلم بآيات رب العالمين ، ولذا وصف القرآن أهل الضلال هنا بقوله : (أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ) ، ومن معانى الكفر الستر فمن سترت الآيات الربانيه عنه فقد جهل أول أساس من قواعد الرسالة ومن جهل مبادئ الرسالة جهل ما جاء به الرسول ،

ومن جهل ما جاء به الرسول ضل السبيل ومن ضل السبيل خسر كل عمل وبعد عن كل صلاح وفلاح وإحسان وهو مع ذلك مغرور بعمله يحسب انه قد أحسن واتقن وقام بأحسن العمل وهو مع ذلك ضال مضل ، والضلال له أنواع كثيرة وأشده وأخطره التقليد والإقتداء بالآباء ، فيشب الولد تابع لابيه فى قوله وعمله مقتد به فى دينه وعبادته ، والدين فى أصله قد شرع لطهارة الأجسام والقلوب فينصبغ فى ظاهرة بصبغة الدين وهو أشر على الدين من الكافرين ، وكم نرى ونسمع من قوم كانت آباؤهم أتقياء وأولياء وصالحين وهم اشر من الشياطين فى عقائدهم وعبادتهم وأخلاقهم ، فيقدمون الناس إلى الضلال وإذا دعاهم داعى الهدى تكبروا وتجبروا وقالوا أنا خير منكم وهم على الآثار سائرون ولأعمال الآباء محاكون ولروح الدين ومراد الديان لا يعقلون .

والدين يا اخا الإحسان هو الرسالة التى جاء بها القرآن والأعمال التى قام بها الرسول عليه الصلاة والسلام ، والعبادة التى بينها والأخلاق التى كان عليها ، فلابد لك أيها المحسن من درس القرآن والعمل به وتعليم السنة المحمدية والقيام بتعاليمها ، ولابد فى ذلك من رجل عالم عامل تقى تتلقى عنه تلك التعاليم قولا وعملا وأخلاقا وآدابا بعد ان توزنه بميزان الشرع ويكون اقرب الناس شبها برسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله وعمله وآدابه وزهده وحرصه ورحمته ورأفته وأخلاقه ، عنده علم الآيات وعلم تزكية النفوس وعلم الكتاب وعلم الحكمة وعلم الروح وعلم الأسرار حتى يعرفك نفسك فتعرف ربك لأن أساس الدين معرفة الله ، ومعرفة الله لابد ان تكون على يد عارف عرف نفسه وعرف رسالة نبيه حتى يعرف غيره ، وما ضلت الأمم إلا بجهلهم سنة الاتباع ومن الذى يجب إتباعه ، فالدين قبل كل شىء ينص على البحث عن المعلم الذى يقوم مقام الرسول ومن طلب العلم والدين ولم يبحث عن المعلم المتين والامام الخبير القائم على منهاج البشير النذير أضاع حياته وضل سعيه وهو يحسب انه يحسن صنعا .

فالإحسان مقام كبيرا إذا أردت أيها المحسن ان تطلب مقام الإحسان فلابد من معلم يعلمك مقام الإسلام ويختبرك فيه بموازين القرآن ، ثم يعلمك مقام الإيمان

ويختبرك فى شعبة شعبة شعبة ، ثم يفتح لك باب مقام الإحسان ومشاهد العرفان فإن فقدت هذا الرجل فالزم الشرع الشريف وحافظ على الحدود وقام بالأحكام حق القيام وأقرا القران متدبرا واعمل بما تعلم بعلمك العليم ما لم تكن تعلم مع البحث دائما عن الخبير ، والمعلم الذى يدلك على الله بالله فإن نفسا منه إذا وجدته خير من سبعين ألف سنة عبادة وعلما بغيره ، ولذا يقول مولانا السيد أبو العزائم فى مواجيده فى وصف المعلم الوارث لأحوال المصطفى ورفعة لطالب فى نفس واحد خير من ألف عام قال قدس الله سراه .

ألف عام بغير باب التهامى　　　　هو نفس بشرى لأهل السماح

فالصنع لابد له من صانع يعلمك الصنعة ، فمقام الصنع هنا مثل عظيم من أمثلة الحق جل جلاله يخاطب به من له عقل ليعقل أو فهم يفهم أو فكر يفكر ، فكما ان شرط الصانع إذا أراد ان يتعلم صنعة بحث قبل كل شيء عن أستاذ يعلمه هذه الصنعة ويرشده إلى الصواب ويحذره من الأخطاء ويبين له علل العلم ، كذلك الدين فيه حقائق ودقائق اشد خفاء من اعلى صنعة فى الوجود وأدق من كل مهنة، ولذا كان المعلم فى الدين ارقى إنسانا فى العالمين لأن الدين يتعلق بصلاح الإنسانيه . والإنسانيه هى الصنعة الإلهية والحقيقة المبهجة الخفيه ، والصورة الرمزية الملكية والملكوتيه والروحانيه فيها الجسم محتاج إلى صانع خبير وطبيب خطير ، وفيها الحس والخيال الوهم العقل والفكر والحافظة وفيها مجموعة من النفوس الثائرة الوثابة إلى مختلف المقاصد وفيها الروح والقلب والسر والغيب والخفا والاخفى كل تلك الحقائق تحتاج إلى صانع يصيغها ويصلح اعوجاجها ويزكيها وعن الضلال يبعدها وعن الفساد يقصيها ، ولذا يقول العليم الخبير إرشاد لنا وتنذير (الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا) .

اختار الله الصناع للبشرية من اعلى الطبقات وأرقى الهيئات وتولى بعد ذلك تعليمهم فجعل أول صانع للإنسانية آدم عليه السلام وخاتم الصناع خبير المرسلين، فعلم آدم الأسماء وانزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كتاب حوى بيان جميع الأشياء ، ليصوغ الإنسانية به ويصنعها ويهذبها ويزكيها ويرفعها ، فصاغ

من الحجريين الصنميين ، رجالا فوق الملائكة النورانيين ، ومن يوم ان أعرض العالم عن تلك التعاليم المحمدية انحط إلى أسفل طبقة فى البرية ، فمن أراد ان يعود إلى أحسن الصنع الإنسانى الديني فليبحث عن صانع قرانى ، يقدم نفسه إليه ويكون خاضعا بين يديه ، ومقام الصنع وصف من صفات الحق جل جلاله نفسه إليه ، يظهر به فيمن يشاء ويواجه به من يشاء ظهر به فى السماء فزينها وفى الأرض فأبدع صنعها وفى الجبال شيدها ، وفى النباتات فأنشأها ولونها وهندسها وفى الحيوانات فشكلها أشكالا ولونها الونا ظهر باسمه الصانع فى الهواء والماء وفى الأجواء فأدهش المفكرين ، ظهر فى الإنسان بما حير به الملائك عاليه (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) وقد اخبرنا فى كتابه سبحانه بأنه جل جلاله قد صنع لنا دار خالدة باقية ، فيها مالا عين رأت ولا اذن سمعت فأهل العقول السليمة والبصائر النيرة صدقوا واستعدوا وسارعوا للعلم لها ، وأهل الجاهلة الضلالة وقعوا فى الشك والتكذيب وقالوا هذا شيء عجيب إءذا متنا وكنا تراب نعود إلى حياة ثانيه وجنان خالدة ، وهؤلاء كالحيوانات بل أسف فلو كانت لهم عقول تعقل لاستدلوا بهذا الصنع الغريب الظاهر فى السموات والأرض من كل شيء بهيج تبصره وذكرى لكل عبد منيب ، فمقام الصنع بحر من الحقائق وعالم من الدقائق ، فلو نظرنا إلى البحار ودوابها وأشكالها والوانها وإلى دواب البر فى مساكنها وإلى دقة صنعها وتسييرها ، وإلى صغار الدواب وصغر حجمها وتركيبها وإلهاماتها لدور تبنيها وإدارة تديرها واسره تقودها وانظمة تنظمها ، لانتهى الزمان ولا نستطيع ان نوفى القول فى أى جنس من تلك الأجناس ، فسبحان الله الصانع الحكيم .

فتنبه أيها الغافل وتدبر أيها العاقل فى صنع الله وارجع إلى ما أمرك به الله واعلم بأنك المراد من كل تلك المخلوقات وإنها ما صنعت الا لتكون لك دليلا تستدل به على انك صنعته المطلوبه وصورته المحبوبه ، فتبحث عن مراده وتتدبر فى تعليمه وإرشاده حتى تقوم بأحسن الصنع واكبر النفع وتكون صانعا لنفسك فتزكيها والى المقامات العلية ترقيها ، والى الفلاح الخالد تعليها قال تعالى : (وَنَفْسٍ وَمَا

سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا) ، فنسب سبحانه التزكيه لك والصنع اليك ليجملك بسر أوصافه ، ويحليك بأنواره وغيب الطافه لتكون مؤهلا لدخول حضرته ، فيأنس الصانع المخلوق بالصانع الخالق وهذه الحكمة هى سر التكاليف ومراد الله من تلك التصاريف والتعاريف ، ولو لم يكن مراد الله ان يجعل الإنسان صورة مثاليه يظهر فيها أسماءه وصفاته العليه لرزقه من غير صنعة ولهداه من غير تكاليف ومشقة ، ولكن حكمة الحكيم فى حياة هذا الإنسان بين حرث يحرثه وزرع يزرعه ، وتجارة وصنعة وإدارة وإرشاد واختراع وتربيه وتهذيب وتأديب وغير ذلك مما يقوم به الإنسان فى تصاريف الأكوان ، كل هذا لينال الإنسان من جمالات أسماء الحق وكمالات أوصاف الصدق (أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا) .

عرف هذه الحكمة من عرف فتحلى بتلك الصفات وتخلق بتلك الأخلاق ليكون فى حضرة الخلاق عند مليك مقتدر لأنه لا يصلح للدخول والمجالسة إلا من كان حريا بالمجانسه والله لا يحب من خلقه الا من كان على خلقه ، فالصنع هو ان تتحلى بصنعة الصانع وتتأدب بآدابه وتتصف بصفاته حتى يصطنعك لنفسه كما قال لموسى عليه السلام : (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي) ، فالقوم الذين جهلوا امر هذا الاصطناع وغرتهم الدنيا وما فيها من المتاع وضلوا عن طريق المرسلين وادعوا انهم يحسنون الصنع مع الصانعين هم الذين أضاعوا حياتهم وفقدوا سعادتهم وخسروا أخرتهم ، واما القوم الذين سمعوا فأطاعوا وبحثوا فتعلموا وعملوا بما علموا ، واتبعوا الرسول وبهديه اهتدوا فأولئك هم أولو الإحسان وأهل منازل الرضوان .

نسأل الله ان يحفظنا وأولادنا وإخواننا من أهل الضلال ويدخلنا برحمته فى عباده الصالحين من أهل الجمال وأحسن الصنع والكمال انه مجيب الدعاء .

(جمال الصنع)

نور الجمال من الإتقان قد لمعا　　　وظ الصنع لاح بما فى الكون قد صنعا

وللصنع سر من الأسرار ظاهرة   يبدو وخافيه فوق العقل إن سطعا

فصنع ربى وإبداع البديع بدا   لكل عبد على اعتابه خضعا

آثاره ظهرت فى الكون فانفتحت   لاحت لكل فتى للحق قد خشعا

أطاع مولاه فى سر وفى علن   أقام بالصدق نهج الشرع واتبعا

للصنع ما فى الصنع وصف فوق معرفتى   لأنه وصف ربى للهدى جمعا

الصنع يرشدنى للحق يجذبنى   والآى فى الكون تنبئنى بما وضعا

بالصنع يأمرنى كيما يعلمنى   ايات معرفة والقلب قد سمعا

فى صنعة الكون أسرار مقدسة   وكم شهيد بها فى الكون قد صدعا

وكل صنع بهذا الكون يرشدنا   إلى الهدى يهدينا لمن صنعا

والدين صنعة ربى كى يصوغ به   عباده وهو فى التنزيه مرتفعا

وهو العلى تعالى عن مجانسه   فاختار من خلقه من للهدى جمعا

محمد خير رسل الله قاطبة   له اصطفاه وبالمختار قد نفعا

واختار من قبله الرسل الكرام وكم   زكى بهم أنفسا أعلى بهم صنعا

لا يمنع الله صناع النفوس ولا   يخلى الوجود من الوراث متبعا

نرى بكل زمان وارثا يبدو   يجدد الدين يعلى الحق ما وسعا

يحى بإصلاحه آثار من سبقوا   من النبيين للصنع القديم دعا

ويمحق الشر والضلالة يخذلهم   يمحو الخبائث والتلبيس والبدعا

فى كل عصر المحدثات يدعو   للصنع فى الدين ينجو من له اتبعا

لكى يعرف الصنع يحى صانعا له   صنع بإتباعه مما به انتفعا

والأوليا والشر والضلال يخذلهم   هذا الإلمام ولا يقفونه تبعا

فهو الخليفة فى صنع النفوس ومن   يأبى عن الصنع ضاع النفع وانقطعا

هيا ايا نفس للصناع واقتبسى   من العلوم لترقى للعلا طمعا

فالله مولاك يعطى من يشاء كما   علما ونورا وسرا والعطا همعا

فى صورنا قلما مصطفى الغوم متبعا   للصنع طه وها نور الهدى لمعا

وكل فرد تلقى من صناعته   من نور حكمته فى الصنع قد رعا

هذا المثال لأهل العقل يرشدهم   فى كل حين ورب العرش قد صنعا
اغث الهى جمع المسلمين بما   عودتهم من جلال فالذى دعا
صلى ربى على غوث الوجود ومن   للنور عطلو والإصلاح قد وضعا

فالإنسان مثله فى الصنع كالاله ان وجدت صانعا خبيرا أحسنها وأتقنها فقامت بالمنفعة التى صنعت من اجلها وان أراد إصلاحها جال بآلاتها وتركيبها ، زاد فى إفسادها ضررها فمن قام بدعوة لإصلاح فساد الإنسانيه ولم يتعلم صنع هذا الإصلاح اضر نفسه وأضل غيره قال تعالى : (هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا . الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) (أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ) ، وكأنه يقول سبحانه كل من جهل آياتى وستر عنها وكفر بها بطل عمله واتلف صنع وخسر حياته وضل غيره ، فلا يصح ان يكون صانعا لنفسه ولا لغيره ومن ظن انه بلغ درجة الصلاح والإصلاح بغير حجة وبغير علم ومعرفة فهو الذى ضل سعيه وخاب أمله فى الحياة الدنيا ، وهو يحسب انه يحسن صنعا فصانع الإنسانية ومصلحها هو النبى صلى الله عليه وسلم كذلك كل من نال وراثته ، وقامت حجته فى صنعة التعليم والتهذيب والتزكية وتخرجت من مدرسته نفوس مصنوعة على طراز معية رسول الله مصبوغة بصبغة الله من علم لدنى وحكمة محمدية وآداب عليه وأخلاق فاضلة ، هذا هو الذى يجب ان يتبع وهو الذى أحسن صنعا عمم نفعا نسأل الله أن ينفعنا وينفع بنا انه مجيب الدعاء .

المقام الخامس والسبعون

((أحسن الأثاث والأندية))

سورة مريم

قال تعالى : (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آَيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا . وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا) .

ان للأندية والأثاثات تأثير كبير فى إصلاح الإنسانية وفسادها ، والنادى هو المكان المخصص للاجتماعات العامة للأوساط الراقية من كبار القوم وأمرائهم مجتمعون فيه للحديث والترفيه عن عناء الأعمال وتفريج الهموم او التشاور فى مهام الأمور وعظائمها ، والأثاثات هى الفرش والطنافس والأرائك والسرر والآنيه وكل ما يحويه النادى أو المنزل من زينات أو ضرورات ، وقد ولع الإنسان وشغف وشغل بالنوادى والأثاثات من نشأته فى المدينة لأنه اجتماعى ومدنى بالطبع والغريزة لأن الله أهله لها من بدايته إلى نهايته ، فكان أبوه الأول وهو آدم فى الجنة وهى الأندية والأثاثات والمدنيه الكبرى ثم نزل إلى الأرض ومازالت تلك الحاجيات عالقة به وبذريته من بعده ، وكل مخلوق يميل بطبعة وغريزته إلى ما فطره الله عليه ، ومازال الإنسان فى كل عصر يترقى فى اتخاذ الأندية والأثاثات إلى عصرنا هذا وقد بلغ فى الرقى مبلغا لم يسبق له فى تاريخ البشرية من نظير ، وقد كثرت فى هذا العصر النوادى وتنافس فيها الناس حتى صار فى كل مكان ناد يجتمع فيه أهل تلك المكان ويسمى فى عرف العامة الآن (بالقهوة) وكل طبقة من طبقات المدينة لها ناد يليق بقدرها وعلو مكانتها .

واما الأثاثات فأصبحت معبود الأكثرية الساحقة واصبحت عقبة فى طريق الحياة الزوجية فكم عرقلت سبيل زوجيات ، وكم كانت حجر عثرة فى طريق البنات ، وكم قضت على حياة اسر بجميعها وكم افسد من أخلاق ، وكم أورثت من فقر وشقاق وكم فرقت بين أصهار ، وكم اوجدت من مشاكل وقد أصبح الفساد فى زماننا هذا ناشئ من تلك الناحيتين : ناحية النوادى افسد الشباب وناحية الأثاثات قد أفسدت الأسر والعائلات وفرقت بين الأزواج ، لأن الزوج والزوجة يتجاوزان الإسراف فى اقتناء الأثاثات حتى إذا اقترنا كان الفقر حليفهما فتقع الحسرة ويضيق الصدر فتقع الخصومات وتحدث المشاكل ، وقد اصبح الأثاث اكبر عامل فى هدم كيان الشعوب والدول ، لأن التغالى فى الأثاث الراقى يوجب التكاثر فى الأموال

وحب التكاثر يوجب الطمع والطمع يورث الشح والشح يورث البغضاء ، والبغضاء تورث النزاع والنزاع يوجد الفشل ، والفشل يوجد الضغف والضعف يورث الذل والاستعباد .

وكان اكبر عامل فى ضياع كل دولة واستعباد كل شعب هو التغالى فى اتخاذ النوادى والأثاثات ، وكان من جيوش الاستعمار فى بلاد الشرق والإسلام هاتين البليتين النوادى والتغالى فى اقتناء الأثاثات ، اتخذ النبى صلى الله عليه وسلم هو وخلفاؤه الراشدون المسجد ناديا ومكان لاجتماعاتهم ومشوراتهم وعباداتهم وقضائهم ومدرستهم ومعهدهم بل ونزلا للقريب منهم والأعزب ، فكان الاقتصاد متجليا عمليا بكامل معانيه فراجت الدولة وخف على كاهلها كثرة النفقات ، وخلت القلوب من الضغائن وحب الشهوات فرقت وتقدمت ، نام النبى صلى الله عليه وسلم على الحصير حتى اثر فى جسمه الشريف ورآه عمر بن الخطاب فبكى فقال له النبى : ما يبكيك يا عمر ، فقال كلمته المشهورة : تنام يا رسول الله على الحصير وكسرى وقيصر ينامان على الحرير ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم: اما ترضى يا عمر ان يكون لهم الدنيا ولنا الآخرة فكان بعد ذلك عمر لا يتوسد الا الحجر .

حقرت المسلمون فى نشأة الإسلام الأثاثات فرقت إلى أعلى الدرجات ، ومصرت الأمصار وفتحت الفتوحات ، فلما تغالوا فى المتاع والأثاثات وتنعموا فى النوادى وتفاخروا بالفرش ذلوا بعد العز واستعبدوا بعد ان كانوا ملوكا وأمراء ، وأصبحوا مملوكين فى بلادهم بعد ان كانوا مالكين ، وهكذا كل دولة تنعمت بالأثاث والرياش وشغلت بالنوادى وما فيها من الفساد انحطت فى اقرب زمن وتلاشت فى اقرب حين .

ها هى الأمثلة ظاهرة جلية وواضحة عصرية ، ها هى دولة فرنسا وغيرها من دول الغرب ما حدا بهم إلى ويلات الحرب إذا تدبرت أيها العاقل الا التوسع والرقى فى المدينة الباطلة والتغالى فى النوادى والرياش وهذه أمور أصبحت معروفة للخاص والعام ، وما حرب الرسمالية والبلشفيه عنا ببعيد ، أى بعينى فى

مدينة القاهرة يذهب العامل إلى النادى (القهوة) فيجلس بين لاعب ميسر وبين شارب ، فلا يقوم الا وقد نفذ ما فى يده من اجر يومه وذهب إلى بيته لا يملك درهما ، هذه هى بلية البليات على الأسر الفقيرات، ولا يخفى ما يحدث بين هذا العامل وبين زوجته أو والده ووالدته ، وهذه الطبقات الراقية إذا جلسوا فى نواديهم ودار بينهم شراب المسكرات وغابت منهم العقول وهم قادة الأمة ورؤساء فماذا اقول ، تذهب أموال الدولة وتمسى وتصبح ضحية النادى ولا حياة لمن تنادى ، هذه ذرة من محيط ومن أراد ان يتوسع فى هذا المقام فليذهب إلى أماكن النوادى وينظر إلى الحاضر والبادى .

كذلك بلية الأثاثات انكى واضر واخطر واكبر إذا أحب غنى أو فقير ان يزوج ابنته قامت القيامة بينه وبين أمها وبين بنته وبين نظيراتها ، وانهارت الأسرة من أساسها ، وهناك الخراب ان كان فقيرا ، وان كان غنيا أو حاكما وقعت البلية عليه وعلى كل من يتصل به من سائد ومسود ووقع الغش والرشوة فى دائرة هذا الحاكم وانهارت الحدود ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، وهذا امر معلوم ومعروف لامثلة من المئات والألوف ، فنترك ذلك لقائد أو حاكم ترسله العناية الالهية فيصلح ما أفسدته هذه المدنية .

ولنعد إلى قوله تعالى (أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا) والى قوله سبحانه (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا) فمن هما الفريقان وما هو النادى الأحسن وما هو الأثاث الأحسن وما هى الرؤية الجميلة التى لم نجد أحسن منها ، هذان الفريقان هما فريق منه يسمى أسفل سافلين . وفريق يسمى الاعلون ، لأن اله جل وعلا خلق قوما من البشر وجعلهم أئمة يدعون إلى أعلى مقام وأحسن ناد وأحسن أثاثا وأحسن رؤية ، وخلق قوما وجعلهم أئمة يدعون إلى أسفل مقام وأسوأ ناد وأسفل اثاث وأقبح رؤية ، وهذان الفريقان من قبل آدم إلى ان وجد آدم إلى ان ختم الله النبوة بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا إلى ان تقوم الساعة، وهذان الفريقان مختلفان ناد يجلس فيه قوم والشيطان جليسهم فيكون حديثهم كل فحش ومنكر . وناد يجلس فيه قوم والعلم انيسهم وحديثهم فى العلى

الأكبر ، فريق قام للإصلاح ونوال الفلاح . وفريق عمم الفساد فى جميع العباد والبلاد ، فريق إذا قال قال خيرا وبرا وعلما وهدى وإرشادا وحكمة ، وفريق إذا قال قال شرا وضرا وجهلا وفساد وضلاله وسفاهه ، فأى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ، فريق إذا انفقوا توسطوا وإذا اتخذوا أثاث أو رياشا لم يبخلوا ولم يفرطوا . وفريق إذا انفقوا أضاعوا عقولهم بالمسكرات وفسدوا صحتهم وأولادهم وأزواجهم بتعاطى المخدرات وإذا اتخذوا أثاثا أضاعوا أموالهم سدى واقترضوا من الأحبة والعدا ، وكانت اسرهم المسكينة لهذا الإسراف الفدا ، فأى الفريقين أحسن أثاثا وأهنأ معيشة ، فريق إذا اراد ان يتمتع بالمناظر يذهب إلى البساتين وسجلس مع اخوان الشياطين من نساء وسافرات ساقطات عاهرات ، وشباب قد تجرد من الفضائل واتصف بكل أنواع المجون والرزائل والى تلك العاهرات بكلياته مائل واذا بتلك المناظر أضاعت المستقبل والحاضر فانهار العفاف والشرف وانحطت الأخلاق وذهبت الصحة فى ملكوت الأرض والسموات من صورة تتجلى وألوان شتى وآيات كبرى وماء يجرى وهواء يسرى وصانع حكيم ظهر بقدرته وأدهش العقول بحكمته واسكر الأرواح بأسرار صنعته ، أشجار باسقات ووجوه ناضرات وصور مختلفات ومخلوقات مسخرات ، وعوالم مدهشات وإذا بتلك الرؤية نقلته من المبانى إلى المعانى ومن المعانى إلى الآيات ، ومن الآيات إلى التجليات ومن التجليات إلى الأسماء والصفات .

وهنا يكون الأنس بالقريب المجيب الحنان المنان فوق الانس بالجنان والحور والولدان . فاى الفريقين خير مشهد وأحسن رؤية . وأجمل أنسا وأكمل شرفا وقدرا ، فريق جلس فأنس بالله وتفكر فكانت ساعة خير من عبادة سبعين سنة وفاز ببهجة لو علمها الملوك لاقتتلو عليها بالسيوف . ان من جلس فخان واختلس وقبح وتنجس وخسر الدنيا والآخرة والمجد والشرف . فدعنى يا اخا الإحسان ان لا انجس كتابى بذكر قبائح فريق الشيطان ، وخلنى أتصور مجالس أهل الإحسان فى نواديهم وأهل الحكمة والعرفان بين أهليهم لعلى أنال قسطا من أحوالهم ونصيبا من أعماله ، قوم مدحهم خالقهم وباريهم وباهى بهم ملكة وملكوته وقدسه وجبروته

وخاطب بشأنه الملا الأعلى وأرسل من اجلهم من دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو ادنى ، وحادث بشأنه فى تلك الخلوة الكبرى وانزل عليه فى مدحهم خطاب الشرف عليا : (أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا) .

وكأنه سبحانه وتعالى يقول : يا محمد ليس فوق مقام أحبابى مقام ، ولا أحسن من نادى احبابى نوادى ولا أحسن أثاثا من أثاثات أحبابى ، اما ناديهم فحظيرة قدسى ومقامهم فوق العرش والكرسى . ورؤيتهم هو النظر إلى أنوار وجهى فأى الفريقين أحسن أثاثا ورئيا ، فريق اعتبر بما مضى وسلم لما يجريه القدر والقضا وعمل فى الحياة بالعدل والرضا واستعد لملاقاة العلى الاعلى وعمل على نوال الدرجات العلى فدرس علوم الإسلام وعمل بها ، وعلوم الإيمان واطمأن قلبه بأنوارها وعلوم الإحسان ومشاهدها مع قيامه بنصيبه من الحياة الفاضلة والتربية الكاملة ، وفريق بعكس هذه الصفات . فأى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا فريق عاش فى اللهو واللعب والزينه وعادى كل داع إلى الفضيلة وروج سوق الفسوق والعصيان وحارب أهل الصدق والإحسان ، وناصر أهل البغى والإثم والعدوان ، وفريق عاش فى العلم والعمل النافع والجد والاجتهاد الرافع وأطاع ربه ونصر أنبياءه وأولياءه وتشبه بالصادقين من الأنبياء والشهدا والصالحين ، حتى رقا إلى مقام الإحسان ونال علوم أهل العرفان وصار ذاكرا شاكر بالله بكره وعشيا ، فأى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا .

نسأل الله ان يجعل نادينا فى معية خير المرسلين فى الدنيا ويوم الدين انه مجيب الدعاء وصلى الله على سيدنا محمد الأمين وعلى آله وصحبة أجمعين .

(أحسن النوادى)

نادى الفضيلة وارشد أيها الحادى　　　وبين الخير للبادى وللنادى
صف لأهل الإحسان فى حلل　　　من البيان بنور المنعم الهادى
والكشف لمن جهلوا سر الحياة عمى　　　ان يعرفوا أفق تعريفى وارشادى
ليست تعاريف قولى لى ولا بحثى　　　لكنها فضل ربى حال امدادى

وهو الصمد تعالى لى بلا حول | من فضله كل امدادى وإيجادى
ان النوادى لها شأن لمن عقلوا | وهى الحياة لإصلاح وافساد
نادى ينادى إلى الفحشاء وبغضا | فى الشر والظلم والضلال بإلحاد
ومجلس الخير يدعونا إلى المولى | نرى يناديه أنوار بأمجاد
والعلم والحكمة العليا وموعظة | من نور مقتدر بر وجواد
هى المساجد مجد المسلمين وكم | منها بدا للورى خير بأفراد
منهم أبو بكر والفاروق وعثمان | منهم على ولا يحصوا بتعداد
كذلك الصحابة من نادى الهدى ظهروا | كذا الأئمة قد فازوا بإسعاد
وتسطوا فى النوادى والأثاث رقوا | لذروة المجد تحقيقا بإرشاد
وغيرهم فى نواديهم قد ضلوا | وأسرفوا وبغوا دوا بإبعاد
خسروا الحياة لأسلوا مجهم وغروا | فى حسرة بين أحباب وحساد
أى النوادى يفوق خير فى الحياة كذا | وفى العز والمجد فى الخلق وفى البادى
أى المقامين أعلى عرفه يهدى | للحق بالحق نور انا هب غادى
ناديه صلح وإصلاح ومعرفة | شرابه التقوى راح لرواد
لمجالس فاق لا عقل يردعه | ناديه رجس وخمر حرق أكباد
أثاثه الشر والإفلاس رائده | والضر والذل إتعاس لأولاد
فمجلس خير والشقاء به | لمجلس الأنس فى نادى الهدى الهادى
هى النوادى بها كل الأمور ترى | من كل خير وشر للورى بادى
نادى الحبيب لمرحى منه قد سطعت | شمس الرسالة للبادى وللحادى
نور بها قد رأى قلبى مقلبه | ووجهه لاح فى الآفاق وفؤادى
وورادت الحق فى كل الشئون بدا | فى كل شكل ترى فى كل أطواد
وشر نادى بدا منه ظلال لنا | نادى أبو جهل وهو الكافر العادى
وكل ناد على نهج يقوم به | أعد الهى نوادى خير أجدادى
واحفظ الهى نوادينا من البلوى | واجمع على الخير اخوانى وأولادى
اعد لنا منهج المختار جدده | بكل اهلى واحبابى واحفادى

بخير داع بدا فى صور ناولنا	طبى لغو لم كر لمصطفى لهى
صلى ربى على سر لجود من	قد جلتنا بالهى فى خير أرد

فالنوادى والأثاثات والمناظر والمرئيات تتنوع بأنواع المجتمعين والمجتمعات ، والمختلفين والمختلفات . فاجتماع حيوانى . واجتماع شيطانى . واجتماع انسانى . واجتماع ملائكى . واجتماع ربانى ، فان كان المجتمع للأكل والشرب والشهوات والتمتع فى اللذات وتعاطى المحرمات فالمجتمعون كالأنعام بل اضل ، ويكون ناديهم وبالا عليهم ، وان كان الاجتماع للشر والضرر والكيد والفواحش والايقاع والفتن بين الناس فيكون الاجتماع شيطانيا إبليسيا (شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا) .

وإذا كان الاحتفال لمصلحة ومنفعة تعود على المحتفلين فى دائرة العرف والضرورة فيكون الاحتفال إنسانيا ادميا لا بأس به ولا خير فيه الا إذا كان فيه لله طاعة ، وأما الاجتماع الملائكى فهو لقوم يعبدون الله ويسبحونه ويقدسونه ويمجدونه (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) ، واما مجلس العلم والتربية والتزكيه وبحث علوم اليقين ورسالة سيد المرسلين ، والتشاور فى إصلاح حال المسلمين . والإرشاد لدعوة الخلق بالحكمة والموعظة والحجج لسبيل رب العالمين فيكون هذا المجلس مجلسا ربانيا والنادى أحسن النوادى علميا وادبيا وروحيا ، وهذا ما امرنا به رب العالمين فى نص القرآن المبين قال تعالى : (كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ) وأما مناظر الأثاثات والزينات والمرئيات فأحسنها واعلاها مناظر أهل اليقين ومشاهد المحسنين والعارفين قال تعالى: (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ) ، وهذه الرؤية الورد الجزء من القرآن هى أحسن المرئيات لأنها براق يوصل لرؤية رب البريات .

نسأل الله ان يجدد بنا مجالس سيد المرسلين ويجمع بنا أنصار الحق والدين ، وينشر بنا علوم الوارث الأمين ويعيد بنا مجد الصالحين انه مجيب الدعاء وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المقام السادس والسبعون

((الهوية))

سورة طه

قال تعالى : (تَنْزِيلا مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلا . الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى . لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى . وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى . اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) .

فى هذا المقام تقف العقول حائرة والالباب فى دهشة والأرواح فى شوق وحنين والقلوب فى وله وانين ، وكيف لا تحار الأفكار وتعجز الأبصار فى هوية العلى العزيز الغفار ، والإنسان فى دائرتته محدود والهوية بغير انتهاء ولا حدود ، هوية من خلق الارض فلم نخترقها وخلق السموات فلم نصل اليها ، واخبرنا بالعرش المحيط وانه عليه استوى فكيف استوى وهو العلى الاعلى وهو بكل شيء محيط ، وهو الذى خلق العرش وما حوى ، وخلق ما فى الخلا والملا وما فى الأرض وما تحت الثرى ، وهو يعلم السر واخفى وله الأسماء الحسنى .

أراد الله جل جلاله ان يرشدنا إلى هويته وان يلفتنا إلى علو نزاهته فى دائرة الكائنات ، قال تعالى : (قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ) ، ولم يقل سبحانه انظروا إلى السموات ليلفت الحس والخيال والعقل إلى علو الهوية ، وللسر الذى فى العوالم العاليات وكأنه يقول انظر أيها الإنسان إلى الاجواء التى بينك وبين السماء ثم تدبر فيما بعدها إلى السماء الثانيه ثم تفكر فيما بينهما ، ثم انظر إلى السماء الثالثة والرابعة والخامسة السادسة والسابعة ، ثم إلى الكرسى الذى وسع السموات

والأرض سر قوله تعالى : (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ) ، ثم سح بروحك إلى العرش العظيم ثم قف قليلا وسل عقلك وفكرك وعلمك ما الذى بعد العرش وهل هناك حاجز أو سد أو سقف أوقف الوجود ، وإذا كان هناك سقف أو حاجز فما وراء هذا الحاجز هنا لابد ان يسلم العقل بأن الهوية لا اخر لها ، ولا حدود لها ولا انتهاء لها ، ففوق العرش هو الخلا والملا وبعد ذلك لا خلا ولا ملا ، قال مولانا السيد أبو العزائم :

ومن فوق هذا لا كأنا ولا خلا		وليس ملا مال العقول وماليا

أى ان العقل لا يدرك ما بعد العرش ولا يتصور ما هناك من اللانهائية وهى الهوية من الناحية الفوقيه ، ثم بعد ذلك نعود إلى الأرض فنرى ان الباحثين قد اكتشفوا ان الأرض معلقة فى الفضاء وخالفوا السابقين فى آرائهم ، ولسنا هنا فى موضوع البحث فى نظريات العلم المعلق بشأن الأرض ولكننا فى مقام الهوية التى وقف العلم دونها ، فالأرض على أى حالة كانت على الماء أو على الهواء أو معلقة فى الفضاء فما هو تحتها وما تحت التحت وما تحت اسفل سافلين لابد ان العقل يحكم ايضا بأن الهوية السفلية كذلك لا نهائية ، أى لا آخر لها بحد أو سد أو مسافات ، فالسموات وما فوقها من كرسى وعرش وعاليه وعليين واعلى عليين والاعلون إلى مالا نهاية ، والأرض وما تحتها من فرش وما تحت التحت من سافلين واسفل سافلين وما بعد ذلك مما لا يعلم علمه الا الواسع العليم ، كل هذه المسافات التى بغير نهايات من اكبر الآيات التى من تدبرها رآى ربه بلا حيطة ولا مثيل قال تعالى : (لَقَدْ رَأَى مِنْ آَيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) وأى آيه كبرى اعظم من هوية بغير انتهاء وملك بغير انقضاء ، وهو الظاهر المالك لهذا الفضاء ، تعرف للعقول بتلك المظاهر وتقرب للافهام بما ليس له أخر ، وتنزل فى نزاهة بما اوحى (تَنْزِيلا مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلا) فانزل الإنسان من عالين وارسل النبيين ليظهر ما اراد فى علمه القديم ، وأنه واسع عليم ويبرز ما اخفاه القضا ، سر استواء الأسماء الحسنى فى دائرة أنوار (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) واستواءه اشراق معانى وصف الجمال الرحمانى واللطف الحنانى ، والعطف

الإحسانى والظهور العظموتى والقرب النعموتى ، والجلال الجبروتى والكمال اللاهوتى ، فاستواءه تعالى استواء معانى لا استواء جسم ومبانى ، ومن قال بأنه استواء جسم على مبانى فهو حيوانى أو شيطانى ، وكل هذه المعانى سواطع أنوار الهدية ليظهر فى الورى بآياته العلية وأسراره الالهية ، وليس الامر أيها الإنسان على ما ترى من محسوسات ومرئيات ومسموعات ونباتات وحيوانات ترعى ، ولكن فى طى هذه المظاهر أنوار أسرار العلى الاعلى من الآيات الكبرى المنسوبة إليه فى قوله : (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى) فما فى السموات قد رأينا بعضه وما فى الأرض قد لمسنا جزئه ، وما الذى تحت الثرى وفوق العلى هى هوية آلهية ووسعة رحمانيه ، نقدره فوق التصوير وحكمة اللطيف الخبير ، وفراغ للملك الكبير الذى وعدنا به يوم المصير ، وفيها علم الأسرار والغيوب الذى اختص به ستار العيوب وغفار الذنوب من علوم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو ادنى ، ومن علم الجهد والخفا ومن علوم الاجتبا والاصطفا ، ومن علوم المحبة والاخلاص والصدق والصفا ومن علوم الود والحنان والوفا (وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) ومن علوم بدء البدء قبل البدايات ومن علوم مجالى حضرة الذات ، ومن علوم غيب غيب النهايات ومن علوم الأسماء والصفات فى واحدية الجلاله قبل الكائنات ، ومن علم الاحدية الذاتيه واشراق القبضة النورانيه فى المقام الاسمى فى قداسة نزاهة آيه قوله : (اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) .

فكان الله فى هويته لا اله الا هو قبل اشراق أنوار الكائنات وصاحب الأسماء والصفات ، وصاحب الهوية التى ليس لها من نهايات وهو الآن على ما هو عليه فوق قدس نزاهة على حكمته وقدرته صالحة بأن لا تغيره المخلوقات ، فالخلق خلق وهو الخلاق والوجود وجود وهو الموجود ، ولا وجود ولا موجود الا الواحد المعبود ، والعقل فى ذلك عاجز والله على كل شىء قدير ، وكيف يعقل عقل وجودا وعدما فى آن واحد والعقل قد عجز عن وجود الإنسان وعدمه فى المرآة فيرى صورة ولا يجدها فهى موجودة ومعدومة فى آن واحد ، هذا رذاذ من

مشاهد الإحسان ومنازل العرفان نجا من سلم فيه وسلم ، وهلك من جحد أو جسَّم أو حكم بالحلول فى التشبيه أو بالنفى فى التنزيه ، اعنى من نزه الله فأبعده عن القرب وهو القريب وحجبه فى نزاهة ظهوره وهو الطاهر المجيب ، ونفاه فى هويته وهو الواسع الودود ذو العرش المجيد الفعال لما يريد ، الذى سما عن ادراك العبيد .

فالهوية شأنها غريب وامرها عجيب ومجلاها ظاهر لكل حبيب ، سلم فاستراح فشاهد أنوار الكريم الفتاح ، قال مولانا الإمام السيد محمد ماضى أبو العزائم فى هذا المقام :

فنا من شاهد المجلى		ونال السر وارتاحا
وغنى بالحقائق من		رأى الاشباح أرواحا

إلى ان قال :

إذا لا شىء الا هو		وهذا الطيب قد فاحا

يعنى ان الله ولا شىء معه والوجود طيب قد فاح من نور الكريم الفتاح ، سر قوله: (كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ) .

فالهوية سر الالوهية لا لون لها ولا اين ولا بين ، ولا كيف ولا غرب ولا شرق ولا تحت ولا فوق وهى من علوم أهل الإحسان والمحبة والشوق ، من علمهم العليم أسرار فاحت أرواحهم فى عالم الملكوت واشرقت على غيب العزة والجبروت ، ناداهم بقوله : (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ) فشغلوا به عما سواه وعمن سواه ، فصارت الهوية ميدانهم والحق مقصودهم وجماله محبوبهم وكماله مرادهم ، فتفضل عليهم واجتباهم وقربهم إليه وادناهم ، اعطاهم عيونا من نوره فشهدوه واذانا من سمعه فسمعوه ، وألسنا من بيانه فخاطبوه تجاوزو العقل والمعقول ، ووصلوا بالمنقول إلى على الوصول فادخلهم القريب حظيرة المعية واطلعهم على أنوار العندية ، وعلمهم العلوم اللدنيه وفتح لهم مدائن كنوز الهوية فوصفوا جمال تلك الكنوز على قدر ما تتحمله الالفاظ والرموز .

(كنز الهوية)

كنز الهوية فوق عقل العاقلين　　　فيها الألوهة بالنزاهة واليقين
لا أين لا كيف لها فى مجدها　　　لا لون لا كون يحيط ولا سنين
أنوارها قد تلونت محسوسة　　　ملموسة بلا آن فى الآفاق المبين
(سنريهم) قول الألوهة تسلمين　　　وهى الدلالة فى مقام المسلمين
نور الهداية تظهر فى رمزها　　　فى أفقها تبيان رب العالمين
سلم لها تحظى بنور هوية　　　صدق بها ترقى مقام المؤمنين
لا فوق لا تحت لها فى عوقها　　　لا شرق لا غرب لها للناظرين
نزه فلا حد لها فى قدسها　　　وتنزهه جملا لاح للوجود الأمين
فوق دنا نال المنا من ربنا　　　من فوق أو أدنى رأى عين اليقين
ورأى الهوية لا حدود ولا انتها　　　فوق إليها القدس والنور المبين
من فوق عرش تحت فرش لا انتها　　　لهوية والله جل هو المعين
وهو المحيط بكل شيء وهو لا　　　يدرك لحسى وشاهد باليقين
فالمحسنون رأوا بها وجها لها　　　نور الهوية تظهر للمحسنين
عجبا لمن فى الجهل ظل وضلاله　　　من بدئه لخروجه فى الجاهلين
ولا يصدق ربه فى قوله　　　(إنى قريب) ظاهر للشاهدين
وهو الجهول بعقله وبروحه　　　وهو الجهول بكل ما فى العالمين
وصدق للحس فى الإدراك لا　　　ورضى بتصديق الكتاب المستبين
حقا اراه بلا مثيل شاهدا　　　وجها علا عن دركه كل الباحثين
سر الهوية غيب غيب غامض　　　يخفى بها الأخفى ويشرق لى المتين
نور الهوية ظاهر بمظاهر　　　فوقى وتحتى عن شمالى عن يمين
فرأيتها وعرفتها وعشقتها　　　حتى لها الإيمان فى القلب دفين
و (لتحبا) فى القرآن لمؤمن　　　هى حجتى ومحجتى فى كل حين
وأنا المحب أنا الحبيب هو الذى　　　منه المحبة وهو نور القلب المبين
وهو الهوية فى نزاهة قدسه　　　لا شيء إلا هو بقول العارفين

فإذا رأت عيناى نور هوية   حق الفؤاد لوسواس القلب الحزين
وزادت تهيامى وزالت صبوتى   وعلا أنينى فى طيبة والحنين
فى آية الكرسى لنا الوجه بدا   فى أوج طه هام كل العاشقين
والعشق فى شرع الغرام مشاهد   فى كل آفاق الهدية باليقين
نزه وشاهد لا تميل لجاهل   جهل الهوى وأولئك عوام المدعين
فأولى والى النهايات لا تركن لهم   وأولئك ظلام الأمانى الجاهلين
جاء والى العرفان والإحسان دع   أهل ظلال الغافلين الفاسقين
وابتهج بروحك فى الهوية واجدا   وجه الحقيقة فى رياض الصالحين
فترى الوجود قد انطوى بهوية   ازلية يبدو بها وجه المتين
وتراه سبوحا بلا كيف ولا   اين ونور الواحديه قد يبين
وترى بشرع المصطفى قدس صفا   تعطى البصيرة فى مقام الشاهدين
صلى عليه الله ما لاح الهدى   بهوية حجبت عن العقل المبين

فالهوية هى بيت العزة الالهية التى اشرقت فيه شمس النزاهة وغيب الوسعة من سر الواسع جل جلاله ومن نور المحيط سبحانه ، فلا حس يدركها ولا عقل يتصورها ولا روح تشهده ولا ملك يصل إلى نهايتها ، ففيها الغيب الذى ليس له من نهاية وهى سبحات أنوار الحق الذى لا تدركه أى غاية ، وهى رمز الأول جل جلاله بلا بدايه ورمز الاخر سبحانه رد بلا نهاية (هُوَ الأول وَالآَخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ) فأوليته تشير إلى الهوية المطلقه واخريته تثبت تلك الهوية المحققة ، وسر ظهوره يثبت الأكوان سر بطونه يشير إلى عدم الامكان ، فلا يمكن لمخلوق من العالمين أن يدرك هوية الواسع العليم والبعد الشاسع ، وفى ادراك العقل هى الآيات وفى دائرة العلم هى التجليات ، وفى دائرة الروح هى اشراق الأسماء والصفات وفى دائرة القلب والسر والخفا والاخفى ظهور العلى الاعلى ، الأول بلا بدايه الاخر بلا نهاية ، الظاهر فى بطونه الباطن فى ظهوره القيوم فى نزاهته ، القريب فى بعده البعيد فى قربه الذى عجزت جميع المخلوقات عن إدراك كنه هذه الذات (لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) .

المقام السابع والسبعون

((الوعد الحسن))

سورة طـه

قال تعالى : (فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا) .

الوعد هو تحديد وقت من الزمن يحدد بين طرفين للقيام بأمر من الأمور أو شأن من الشئون ، وقد يكون الوعد بين الإنسان وبين اخيه اما للشر واما للخير ، وقد يكون الوعد من الله تعالى لنبى أو رسول ، وقد يكون محدد بزمن معلوم أو غير معلوم قال تعالى : (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) ، وقال سبحانه فى الوعد الذى لم يحدد بزمن : (وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى) وقال جل شأنه : (وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ) ، فالله وعد بالجنة الصالحين ولابد سبحانه ان يوفى بهذا الوعد قال تعالى : (وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ) ، ووعد قوما بمقعد صدق ووعد اخرين بالدرجات العلى ، ووعد المؤمنين فى الدنيا بالنصر والتأييد والعزة ووعد المتقين ببركات السموات والأرض ، وكم لله تعالى من وعود وهو الملك المعبود ليرشد العبيد بوفاء العهود .

الوفاء بالعهد والصدق فى الوعد هو من أخلاق النبيين والصديقين ، قال تعالى : (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا) ، والوعد الحسن هو من اعطى وعدا لاخيه على معونه فى خير أو إصلاح أو صدقة أو بر ثم وفي بوعده كما وعد وصدق فيما به تعهد ، فصدق فى القول والعمل وتخلق بأخلاق الواحد الاحد قال تعالى مرشدا لنا ليعلمنا : (أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا) لأن الله يحب من خلقه من كان على خلقه فالله صبور يحب الصابرين ، والله شكور يحب الشاكرين والله حليم يحب كل حليم ، والله تواب يحب التوابين والله عليم يحب كل عليم والله حكيم يحب كل حكيم والله صادق فى وعده يحب الصادقين ، وهو سبحانه له وعد ووعيد فأما وعده الحسنى فلا يخلفه قال تعالى :

(إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ) ، واما وعده بالعذاب فقد يخلفه بالعفو والغفران قال تعالى : (وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا . يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا . إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) .

وقد سئل النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ) ، فأجاب النبى صلى الله عليه وسلم قائلا : (ان جازاه) يعنى إذا نفذ الله على القاتل الحكم كان جزاؤه جهنم ، فإذا غفر له وعافاه بدل سيئاته حسنات (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) . فالوعد غير الوعيد فى بيان القرآن المجيد والله فوق كل حكم وهو الفعال لما يريد لا يقيد بالحدود ولا تحيط به الوعود (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) ولكنه سبحانه تفضل برحمته وحنانه وعطفه وإحسانه بصدق وعده فى الإحسان وفى العطاء والامتنان قال تعالى : (هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ) .

فالوعد الحسن هو رحمة الله لعباده ووده فى عطفه ووداده ، وحنانه فى مننه لاحبابه ، وقد امر العباد بالوعد الحسن وبالوفاء فى المكان والزمن ، ليصبغوا بتلك الصبغة الربانيه وليتخلقوا بتلك الأخلاق العلية ، وقد شرع سبحانه الصلاة فى اوقات معلومه ليتعود العبد الصدق فى الوعد ، وجعل الصيام فى زمن معلوم والحج فى اشهر معلومات كل ذلك فحكم عاليات ، وأسرار غاليات ليرفع لاحبابه الدرجات ويجعلهم آفاقا لاشراق أنوار الأسماء والصفات فينالوا الانس فى معيته ، ويكونوا بذلك اهلا للمؤانسه فى دار كرامته وفضله (لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

وعلى هذا يكون الوعد الحسن فى دائرتين دائرة الإنسان مع اخيه الإنسان فى حدود الشرع الشريف والسنة المحمدية لأنه صلى الله عليه وسلم كان اوفى الناس بالوعد ، فوفاء الإنسان مع امه وابيه واخوانه وخلانه واصدقائه مدرسة إبتدائيه أخلاقية يترقى فيها حتى يصل إلى مدرسة الصديقين فإن سقط فى المدرسة الاولية لا صل إلى المدرسة العالية .

فأهل الإحسان الذين سبقت لهم الحسنى من الملك المنان يترقون فى مدرسة الوفاء مع الامهات والاباء والاخوان والاصدقاء ، حتى يصلوا إلى أخلاق الانبياء قال تعالى : (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى) ، وقال تعالى : (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ) (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ) وبذلك يصلون إلى ربهم بوفائهم وصدقهم فيقربهم ويدنيهم ، ويرفعهم ويرقيهم حتى يجلسهم فى قدسه ويخصهم بأفضاله وانسه ، ويسبغ عليهم فضله وإحسانه ويشهدهم وجهه وجماله ، وهنا لا تعلم نفس من نفوس الاوفياء ما اعده الله لها من العطاء فى زمرة الأنبياء والأولياء وفى حضرة رب الأرض والسماء ، فالإنسان إذا وفي مع الوالدين كانا له شهداء يوم القيامة ، وإذا وفي مع معلم الخير وإمام الدين كان شاهدا له يوم الدين ، وإذا وفى مع سيد المرسلين كان شاهدا له بين يدى رب العالمين ، واذا وفى مع العلى الالعلى رفعه الله إلى الدرجات العلى ، فالوفاء مع العبد فى دائرة الأكوان هو تمرين للوفاء مع الملك الديان ، وبذلك يصل إلى مقام الوعد الحسنى مع المحسنين من النبين والصديقين والشهداء والصالحين ، فالوعد وعدان وعد مع الإنسان ووعد مع الرحيم الرحمن .

وبهذه المعانى تلذ الاغانى .

(الوعد الحسن)

الوعد وعدان وعد العبد للعبد … فى ظاهر الكون فى المنهاج والجد

به يوفى مراد صادق يرجو … من ربه الفضل بالإحسان والود

به يكون وفيا عند خالقه … وعند أهل التقى فى المطلع الحمد

ينال مدح لسان الحق فى أى … من الكتاب فوافى (صادق الوعد)

ينال خلة ابراهيم ان وفى … بوعده حالة الاصدار والورد

يحظى بحلة صدق من المولى … مع النبين عند المصطفى جدى

وأحسن الوعد من وفى لخالقه … بوعده فرقا بالوعد للعهد

أطاع مولاه فى أمر وفى نهى … مسلما خاضعا بالحق والجد

ووعد ربى فى القرآن ينبئنا … بالعطف واللطف تقريبا بلا صد

ووعدهم فى الدين والدنيا ... فى القرب فى الأخرى فى جنة الخلد

(ألم يعدكم) بنص الآى فافقهها ... بها تغنى وكرها بلا حد

ووعد ربى حق فى القرآن ومن ... بالعبد اولى واوفى منه بالعهد

ووعده جنى للأرواح فابتهجت ... والشوق هيمها للمطلع الحد

والعقل اسكره وعد الاله له ... والقلب فى وله للقرب والود

ياعاذلى دعنى فالوعد ادهشنى ... والحسن حيرنى فى الوعد والقصد

وعد علىّ ومعبودى بلا كيف ... فكيف يوعدنى دعنى من النقد

لا تسمع النقد بعد الفهم للمعنى ... فالنقد لوم وأهل اللوم فى البعد

ووعدنى سيدى وعدا بلا ريب ... بالخطوة الكبرى حقق بها وعدى

فى محكم الآى قد واعدت بالحسنى ... فى أى(كلا)[1] انلنى سيدى سعدى

جوار مصطفى بفضل منك قربنى ... لدى الحبيب المرجى عند فى المجد

توفنى مسلما والوجه نضره ... فى روضة الود مصطفى فاجعل لحدى

و (بشروا المرء) قال المصطفى حقا ... مع المحبين بالإحسان والود

فى زمرة المصطفى المختار فى المجلى ... فى الخطوة الكبرى فاجعل بها عودى

فالوعد الحسن فى مقام الإسلام هو القيام بالفرائض والحدود من صلاة وصيام وزكاة وحج وبعد عن المنهيات وطاعة فى جميع المأمورات ، والوعد فى مقام الإيمان هو بيع النفس والمال للكبير المتعال سر قوله : (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) والقيام بشعب الإيمان جميعها من صدق وصبر وذكر وشكر كما بيناه فى كتاب ((الشعب فى الإيمان الكامل)) والوعد فى مقام الإحسان هو شهود أسماء الحنان المنان فى جميع الالوان والأكوان سر قوله المصطفى العدنان : ((الإحسان ان تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)) وهى المشاهد العلية التى فاز بها أهل المعية والعندية واللذيه الذين كوشفوا بأنوار رب البرية ، والوعد فى مقامات اليقين هو انكشاف البين ووقوع العين على

---

(١) كلا إشارة إلى وعد الله لأهل الحسنى بمقام اليقين .

العين قال تعالى : (كَلا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ . لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ) ، فأهل اليقين قوم افناهم الحق عن انفسهم ووهبهم عيونا من لدنه فرأوا بها مالا يحيط به عقل ولا فهم ولا ادراك ولم تحجبهم امكنه ولا ازمنة ، وان اعاننا المعين جل جلاله وقدر لنا فهم مشاهدهم العلية وأسرارهم الخفيه كتبنا كتابا فى علوم اليقين ليكون نبراسا للراغبين سر قول رب العالمين : (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) نسأل الله ان يجعلنا من أهل الصفا والوفا انه مجيب الدعاء .

واما وعد الله للعبيد فهو انجاز ما سبقت به الارادة فى علمه القديم لأنه سبحانه قدر الاقدار قبل خلق الليل والنهار قال تعالى : (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا) ، وقال سبحانه : (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) .

فوعده سبحانه هو إظهار ما قدره وإيجاد ما دبره لأنه جل وعلا لا تأخذه سنة ولا نوم ولا ينسى ما به قضى ، يبرز الاقدار فى اوقاتها ويظهر الشئون فى ازمانها وامكنتها لا يشغله شأن عن شأن ، وهو المحيط بكل شىء وهو العليم القدير .

المقام الثامن والسبعون

((سر السابقية))

سورة الأنبياء

قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ . لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ . لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) .

هذا المقام من جوامع المقامات الجامع الكل الخيرات والبركات والعطايا والدرجات، والسابقية هى كلمة تشير إلى ما قدره الله فى الاولية من كل سعادة وخيرات وبركات لأهل الخصوصية ، وأهل سابقة الحسنى هم قوم اختصهم الله

بفضله وجوده وكرمه لأنه سبحانه قسم خلقه إلى اقسام كثيره: قسم ملكوتى روحانى وهم سكان السموات من الملائكة وأهل عالين وعليين . وقسم حيوانى وقسم جمادى وقسم نباتى وهم سكان الأرض فى البر والبحر ، واوجد الإنسان جامع لكل تلك العوالم فبجسمه حيوانى جمادى نباتى وبروحه وعقله ومعانيه سماوى ملكوتى روحانى ، وقد سبق فى علمه القديم وارادته الازلية تقسيم الإنسان إلى ثلاثة انواع اجمالية : القسم الأول أهل يمين وعطاء وخير وهناء وبر وجزاء وثواب . والقسم الثانى أهل شمال وعقاب وبلاء وعذاب وكفر والحاد وفساد وعناد. والقسم الثالث هم أهل السابقية الذين سبقت له الحسنى من الله سبحانه وتعالى وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون قال تعالى : (وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً . فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ . وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ . وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ . أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ . فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) فالسابقون هم قو اختارهم الله ازلا واصطفاهم لحضرته كرما وفضلا ، اوجدهم من نور جماله وعطفه ورحمته وحنانه ووده وفضله وإحسانه وجلعهم سادة البشر فى الأولية ، وخلفاءه فى الدار الدنيوية ، والمبلغين عنه الاوامر وهم أهل الميثاق فى الأول والاخر ، واثقهم لذاته قبل وجود الأكوان وقبل الزمان والمكان ، ان يكونوا ناصرين ولسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تابعين سر قوله سبحانه وهو اصدق القائلين : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) .

وقال سبحانه فى بيان البقية من أهل السابقية : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) فأهل السابقية هم أهل العناية الرشاد والارشاد والولاية ، وهم أهل الإحسان من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين قربهم إليه وادناهم وفضلهم وتولاهم وابعدهم عن دار غضبه وسخطه وعذابه ومقته (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) أى ان أهل الإحسان الذين سبقت له من لله الكرامه ووفقهم فى الدنيا للطاعة والاستقامة أولئك الذين يبعدهم الله عن النار يوم القيامة

فلا يرون لها لونا ولا يسمعون لها صوتا (لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا) ولا يشعرون بنارها وهم بلقاء ربهم فرحون (وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ) لا يضرهم من كفروا (لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ) تحتفل بهم ملائكة الرحمن وتفتح لهم ابواب الجنان والناس فى الحساب قائمون وهؤلاء فى الجنان منعمون (وَتَتَلَقَّاهُمُ) فيها (الْمَلَائِكَةُ) قائلون : (هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) أى هذا ما وعدكم به مولاكم الذى اجتباكم واصطفاكم .

فأهل السابقية هم صفورة رب البرية الذين وقع عليهم من الازل الاختيار قبل وجود الليل والنهار ، وهم الذين جعلهم فى الكون للحق من الأنصار ، وهم الذين إذا قامو من قبورهم طاروا إلى قصورهم لا يرون فزعا ولا حزنا ولا صراطا ولا حسابا ولا خوفا ولا عقابا ، وغيرهم فى الموقف حائرون وفى الحساب قائمون ، منهم أهل الكفر والالحاد وأهل البغى والظلم والفساد ، ومنهم العصاة من المؤمنين ومنهم أهل الخلط من المسلمين الذى خلطوا عملا صالحا واخر سيئا ، ومنهم الذين عاشوا فى الدنيا ولم يكتب الله عليهم شيئا كالاطفال وأهل الفترة ، ومنهم الذين يعضون ايديهم من الحسرة كل هؤلاء وهؤلاء وأهل السابقية فى نعمة وسرور وهناء .

وهنا نصف أعمالهم واقوالهم واحوالهم ونبين لكل راغب سبيلهم حتى يسير عليه من سبقت له الحسنى لهذا المقام الرفيع يتمنى ، اول علامة من علاماتهم ووصف من اوصافهم محبة العلم والعلماء وطاعة الرسل والأنبياء وعشقهم للحكمة وتخلقهمم بالرأفة والرحمة ، فتراهم فى كل مجلس علم عاكفين وفى كل عمل خير مسارعين ، ان دعاهم داع إلى الحق اجابوا وان ناداهم مناد إلى الإيمان انابوا ، حنينهم دائما إلى كشف الحجاب والى شهود جمال المالك الوهاب وإلى فهم أسرار السنة والكتاب ، حبهم فى الله وبغضهم فى الله وبذلهم لله ، يبيعون انفسهم واموالهم وكل ما يملكون فى رضاء من يقول للشئ كن فيكون ، قلوبهم معلقة بالملأ الاعلى واجسامهم على الأرض فى طاعة المولى ، تراهم مفطورين على محبة الحق ورحمتهم ظاهرة لجميع الخلق ، يتمنون السعادة لكل إنسان ويعملون لفلاح غيرهم

ولو نالهم كل مشقة وهوان ، وإمامهم فى ذلك المصطفى المختار ، فكم نال انواع العذاب من المنافقين والكفار وما كان مراده درهما أو دينارا ولا ملكا ولا عقارا ، ولكن الرحمة القلبية والرأفة الإحسانية هى التى كانت له قاهرة على نجاة الإنسانيه فى الدنيا والاخره ، فأهل الإحسان فى مقاماتهم وفى صفاتهم ودرجاتهم هم الذين تشبهوا بأخلاق نبيهم ، لكل من كان اقرب منهم للنبى صلى الله عليه وسلم شبها واوصافا كان اعلى مقاما والطافا ، فهو الميزان لاحوالهم والامام لاقوالهم وأعمالهم والهادى لسبيلهم وطريقهم ، فبأقواله يقولون وبسنته وادابه يعملون وبأخلاقه واحواله يتخلقون ، لأنهم من فروع شجرته النورانيه قد خلقوا ومن قبضته الاصلية قد تحققوا ومن غيب أسراره قد لونوا ، ومن اوصافه العلية قد كونوا ، لأن عناية الله لهم سبقت ورحمتة بهم قد خصصت وهدايته لهم من الازل قد واجهت ، وهنا يقول امام هذا الزمان مولانا السدي محمد ماضى أبو العزائم :

لولا العناية من ازل لنا سبقت لما اهتدينا ولا أرواحنا عشقت

فأهل السابقية هم أهل المحبة من البرية ، وأهل الخصوصية فى الازلية ، أوجدهم الرحمن من أنوار اسمائه الجمالية ، وابرزهم من فى الوجود لها دلائل وكل ما طرأ عليهم فى الوجود زائل ليظهر عليما خبيرا حكيما رؤوفا رحيما حليما ، جمعهم فى البدء وخاطبهم وجملهم بالجمال واشهدهم ، وكشف لهم الحجبا وعرفهم وفى هذا الوجود الكونى اظهرهم فتراهم فيه إليه هائمون ، وفى محبته وعشقه جامون ، لا تشغلهم مظاهر الأكوان ولا تحجبهم احداث الزمان بل تراهم إذا نظروا إلى أى كائن تذكروا وإذا رأوا آيه فى الكون تفكروا ، لا يضرهم كفر الكافرين ولا الحاد الملحدين ولا ضلال المضلين ، ولا يخضعون لتقليد الاباء والاجداد ولا يميلون لظلم أو فساد ، ومهما تنسجوا بشرك أو فحش أو منكر وسمعوا داعى العلى الاكبر فروا إليه مسرعين ولدعوته من المجيبين ، ومنهم من تجذبه أنوار الآيات فيعرف بها رب البريات ، ومنه تختطفه أسرار الجليل كسيدنا ابراهيم الخليل وسيدنا موسى الكليم ، فلم تحجب ابراهيم الخليل عوائد ابيه ولا دينه ومبادية ، ولم يمنع موسى بن عمران عن الهدايه ربوبيه فرعون وما عليه هو

وقومه من الغوايه ، وكذلك فى كل زمان سابقين من الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين ، وكم كثير من أهل السابقية كانوا غارقين فى بحار ظلمات الجاهلية ، فلما سمعوا دعوة الداعى قاموا معه ناصرين وفى دين الله مجاهدين ، هذا ابو بكر وعمر والأنصار والمهاجرين وكذلك كل الصحابة والتابعين ، وهكذا كل عصر فيه من المحسنين السابقية قال صلى الله عليه وسلم : ((ان الله يجعل فى كل زمان سابقين يقتبسون من مشكاة الرسالة يجدودن للامة امر دينها)) ، فمتى ظهر وارث من هؤلاء الوراث الراشدين ونادى بلسان السابقين ، لبته أهل السابقية بصدق ويقين .

ها هو وارث زماننا وامام عصرنا السيد محمد ماضى أبو العزائم قد قام داعيا لأهل السابقية ومناديا رجال المعية فلباه افراد الوجود وأنصار الولى الودود من كل فج عميق وكل محسن وصديق ، لم تحجبهم فتن الزمان ولا عوائد الآباء والخلاق ولا أهل الاثم والظلم والعدوان ، فكم من بيعد قربه إلى الله وكم من عاصى ارشده إلى الإحسان وهداه ، فكنت ترى كثيرا من العباد والزهاد وأهل العلم وأهل الطريق من المتصوفه فى البلاد ، يحاربونه بأنواع الفساد والعناد وترى كثيرا من النصارى والعصاة والملحدين يلبون دعوته ويصبحون لله داعين ، وللحق بالصدق والاخلاص ناصرين ، ما هذا الا سابقية من الله سبقت وعناية من الله بهم قد لحقت ، قد رأيت بعين راسى فى سياحاتى وفى اثناء دعوتى ورحلاتى هذه المشاهد العجيبة وتلك المظاهر الغريبة ، اقواما ينتسبون للأولياء من السابقين وهم اشر على المجمتع من الشياطين يشيعون الفاحشة بين المسلمين ويحاربون هذا الوارث الامين ، وافراد كانوا فى المعاصى والمفاسد غارقين فاصبحوا من الأولياء الصالحين ومن أهل الدعوة المحمدية بالحكمة والموعظة داعين ، وكانت تأخذنى الدهشة عند تلك المشاهد عندما أرى إقبال أهل المفاسد ، وإدبار المتصوفه والوعاظ من رجال الدين ومحاربتهم للحق المبين ، فكنت ارتل هذه الاية الكريمة شاهدا لتلك المعنى (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى) عندما ارى هذا مقبل على الله بكلياته ، وهذا معرض عن الله وآياته وهذا باذل نفسه وماله فى سبيل الدين ،

واخر يحارب اخوانه المحسنين ويستعين بالمجرمين والكافرين ، وهذا فى شوق إلى الله محرق ، وهذا يصد عن سبيل الله ويفرق .

حكم الهية وأسرار ازلية من غيوب بداية السابقية فمن سبقت لهم الله الحسنى وكانوا فى الحضيض الادنى وسمعوا داعى العناية يتغنى مزقوا حجب الاغيار واقبلوا على العزيز الغفار ولو صبت عليهم البلايا صبا لم يزدادو الا اقبالا وحبا ، هذا بلال الحبشى وآل ياسر كم عذبوا من الكفار ليرتدوا عن محبة المختار ، ما زادهم هذا الا إيمانا وتسليما وأنتصارا له وتكريما ، هذا سحرة فرعون عندما رأوا الحق وظهرت لهم ايه الصدق صاحوا قائلين : آمنا برب العالمين ولم يردهم فرعون بعذابه ولا بتهديده وعقابه ، وكم فى تاريخ الدهور من آيات وكم فيه من الغرائب المدهشات ، وكم رأيت فى عصرنا من عذبوا بايدى الكافرين واذنابهم لتلبيتهم دعوة امامهم فلم يردهم هذا العذاب بل زادهم تمسكا وكان معراجا للاقتراب .

هذه سنة الله فى أهل السابقية الذين سبقت لهم الحسنى فى الولية ، صبغت نفوسهم بمحبة الله وملئت قلوبهم بإحسان الله ، وكسيت أرواحهم بنور الله وحرقت افئدتهم بالشوق إلى الله ، فأحرقت أنوار المحبة نار العذاب فظهروا فى الوجود بالعجب العجاب ، هذا الخليل عندما القى فى النار مهانا صارت عليه النار بردا وسلاما وجنانا ، وطفى نور شوقه لربه نار عدوه .

نسأل الله ان يجعلنا من أهل امحبته السابقين وان يرفعنا بالسابقية إلى اعلى عليين فى جوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين انه مجيب الدعاء .

(سر السابقية)

فى السابقية سر فوق تبيانى ... وفوق كشفى وإيمانى وإحسانى
فى أى ربى بيان ليس يدركه ... عقل تججب فى ظل واكوان
فى سورة الأنبياء خص لمن سبقت ... له العناية من احسان منان
ان الذى سبقت حسناه من ازل ... فهو المراد لوهاب وحنان

تراه فى الكون مهما ضل أو يشقى
في ظلمة أو فوق حال صبيان

أو كل من أتى كفو عابدا الهوى
أو ملحدا جاحدا في ظل شيطان

متى دعاه الهدى لبى النداء وكم
في الدهر آيات تحقق برهاني

فى السابقية غيب قد يلوم لمن
فقد الأنوار من أنوار فرقان

ومن دعا لكتاب الله بالحسنى
وللسلام باخلاص و إيمان

والله يدعو ويهديه ويرشده
إلى الصراط بإحسان وإيقان

فى كل عصر دعاة للولى بلا
اجر وقائدهم فرد بعرفان

متى ينادى يلبى الوفد من سبقت
له العناية من إحسان رحمن

نور الهداية والفضل العظيم لمن
خصوا السابقة من قبل أزمان

لله فضل وفضل الله لا يحصى
يؤتيه من شاء في سر وإعلان

يصطفى من يشاء فضلا بسابقة
ولو يكن كافرا فى اهله جانى

ويبعد الله من سبقت له السوءى
ولم يكن عابدا في شكل روحاني

إبليس هوى من سماوات جنتنا
كذا ثعيلبه المفتون والجانى

وكم شقى أتى لله فى حلل
من المتاب فأضحى شاهدا فاني

اضحى وليا ونور العلم يغمره
والحب فى الله يعلوه بتحنان

وكم رئيس تردى من رياسته
وكان قدوة افراد واخوان

اضحى بعيدا ونار البعد تحرقه
وصار قدوة تفريق وعدوان

يدعو إلى النور والأسرار ترمقه
والحق يلعنه فى نص قرآن

(والكافرون) سورة الأعراف تنبئنا
كذا (براءه) فاقرأها بامعان

فكم عهود من المولى لقد نقضت
وأهلها طردوا بصريح تبيان

وسنة الله فى كل العصور لقد
اجلت لنا سر إحسان وكفران

نرى باعيننا فى عصرنا مثلا
تشير للحق تحقيقا بإيقان

هذا إلى الحق يسعى مسرعا وله
شوق إلى الله في صدق وإيمان

وغيره رد فى خزى وفى فتن
من بعد اقباله يسعى لحرمان

فقد حوى الخوف أهل العلم حبرهم
لا يأمنوا مكر جبار وديان

قد قال قولا امام العصر حجتنا ... عطى الخولم فى ظلم بتنيل
(من لقته حجبتى و لحجب نوا لظى ... من فوق نوا لقسلسرى لمنال)
شوقى السابقة لإحسان راعجنى ... والخوف من فوق نلو لقى ونتجلى
لا ينتهى الخوف لا بالوصول إلى ... منزال الوصل فى جنات رضوان
والسابقية فى غيب الغيوب فلا ... تجلى بكون لذا الارمت الخز لى
ادرك الهى قلبى باليقين عسى ... يطمئن القلب إيقانى وعرفانى
ارى بغين يقين سابق الحسنى ... بالفضل والجود من معطوحنان
حقق رجائى بعفو منك يؤنسنا ... فى الدين والدنيا فضلا بإحسان
صلى ربى على طه الجود من ... منه العوالم من كون والوان
وآله وكذا الوارث من سبقوا ... والتابعين لهم فضلا بإحسان

فأسرار السابقية لا يستطيع عارف بها وبمقام اهلها ان يبوح بحقيقتها كيف يبوح وقد قال الله مشيرا : (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا) فكلمة (مِنَّا) اقتضت عدم الاولية وعدم الاخرية وقوله فى ثوابهم : (وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ) ونفوسهم لا تشتهى اكوان بل شوقهم ومشتهاتهم مشاهدة وجه الحنان المنان ، وكيف يصف لسان أو يوضح بيان هذه الغيوب فى دائرة الأكوان وهى فوق الكون والاين والبين، وقوله سبحانه لهم على لسان الملائكة يوم القيامة : (هَذَا يَوْمُكُمُ) وكأن كل الايام التى مضت فى الدنيا وفى البرزخ كانت لغيرهم وليست لهم وما الذى خصص لهم هو يوم الاخرة وكأنهم كأنوار فى دورة قدرية ، ووسفر فى رحلة اكتشافيه علميه ادبية كماليه ، وهذا المقر فى الاخره هو وطنهم والملائكة (وَتَتَلَقَّاهُمُ) حال القدوم من السفر وتحتفل بهم عند الحضر (إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ) ولا نخل هذا المقام من الاشارة (لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) .

ان أهل السابقية من نور الله وقبضته الازليه وفى الادوار جميعها اللونيه والكونيه الدنيوية والبرزخية مظاهر لسر ظهور الأسماء والصفات ، ودلائل الآيات

والتجليات فى قداسة نزاهة سبحات الوجه وفى يد الارادة والقدرة التى تبرز من تشاء وتوجد من تشاء وفى امكانها إيجاد وعدم فى ان واحد ، وظهور وخفاء فى مظهر واحد ، وخلق وحق فى دائرة الالوان ومظاهر الأكوان فالسابقية من الوطن القدسى قد برزو بلا انفصال ، ولونوا وكونوا بنور الجمال والجلال والكمال وعادوا لما منه وجدوا بلا فصل ولا اتصال ، قدرة تقول للعقل ليس لك فى دائرتى من مجال ، وليس لك فى مقام الإحسان من سؤال ، لأنك تبحث عن الكيفية فى دائرة الآيات الكونيه ، وأهل الحسنى فى مقام دنا فتدلى عند العلى الاعلى فوق العلم والادارك والتصوير والارتباك ، وكيف يا عقل تريد ان تدرك مقام المحسنين وهم فى معية رب العالمين ، وأنت الان لم تعرف نفسك ولم تحط بحقيقتك فسلم لربك ما فوق قدرك وعلمك تسلم ، ويعلمك العلى ما لم تكن تعلم.

نسأل الله ان يجعلنا من أهل سابقية الحسنى وزيادة وهو المجيب القريب ذو الفضل العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

المقام التاسع والسبعـون

((الكبريـاء))

سورة الحـج

قال تعالى : (لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ) .

ان مقام الكبرياء فوق ما فى الأرض والسماء وفوق جميع الاشياء وفوق مظاهر الصفات والأسماء ، كبرياء ذاتى لا اسمائى ولا صفاتى ، والكبرياء كلمة ضاقت اللغة عن شرحها والبيانات عن كشف كنهها ، وهى ساحقة وماحقة لغيرها وإذا قرنت فى جميع العبارات باسم الذات فلم نسمع فى الشعائر الدينيه ولا فى العبادات التشريعية احدا يقول الرحمن اكبر أو الرحيم اكبر أو الغفور اكبر أو غير ذلك ، ولكن الوضع الالهى بها بلفظة الله اكبر ومعنى اكبر أى اجل واعظم مما ندرك أو نتصور ، فمقام الكبرياء فوق كل عقل وادراك وفوق كل علم وبيان وشهود وإيقان وضع الله اعلان الكبرياء على لوحة الأرض والسماء ، وترجمها بلسان الرسل والأنبياء ليشرحوها للبشريه وليبينوها للإنسانيه ، وليعلموها للمؤمنين ويصورها للعارفين ويشهدوها للمحسنين ، ويكشفوها عيانا للموقينين ، قد اراد الحق جل جلاله ان يجعله شعارا لدين الإسلام وآذانا لدعوة المصطفى عليه الصلاة والسلام، وتبينها حال عبادة الملك العلام ورشادا وارشادا للموحدين ، وبيانا وتبيانا لخلفاء رب العالمين وزادا وشرابا لأرواح المتقين ، ومعراجا ورفرفا للواصلين ، الكبرياء نداء الصلاة ونشيد جنود حزب الله التى انتصر بها اصحاب رسول الله ، كانوا يصيحون بها عند الفزع او الكرب وعند تلاحم الصفوف حال الحرب ، فتتضاءل امامهم القوات وتلبيهم الملائكة فى السموات وتنزل لنصرتهم وتسارع لنجدتهم ومعونتهم ، كانوا إذا نادوا بلسان واحد . الله اكبر الله اكبر . انهزم جيش الكفر امامه وتقهقر وصار العدو الكبير فى اعينهم احقر واصغر ، بين الله سبحانه للجسم والحس تلك الكبرياء بما اظهره فى الأرض والسماء ، وبينها للعقول

والمستنيرات فى طى الاثار والايات ، وبينها للأفكار والأبصار بما اجلاه فى الكون من الأنوار .

الكبرياء قد محت من قلوب المؤمنين كل مثيل ووضحت التوحيد ومهدت السبيل ، ومحت كل شريك لله من القلوب واظهرت للأرواح اسرار الغيوب ، فإذا قال العبد الموحد الله اكبر غاب الملك وتلاشى الملكوت وظهر الظاهر الاكبر ، وإذا وقف العقل عند القوة ناداه سر القوى الله الكبر وإذا نظر العبد إلى السماء ورفعتها ناداه سر الرافع الله اكبر ، وإذا نظر إلى الشمس وضيائها ناداه سر النور الله اكبر ، وإذا تصور المؤمن الوسعة فى العرش والكرسى نادته هواتف الواسع المحيط الله اكبر الله اكبر ، وإذا نظر المحسن إلى ما فى الافاق كبر وعظم العظيم الخلاق ، فان رآى عظمة الملوك وكبرياء الامراء ورآى كبرياء الله تصورهم كالهباء وإذا رآى ملك الاغنياء والوجهاء وسطعت بوارق الكبرياء جعلتهم هشيما بذروه الهواء، وإذا سمع بلاغة البلغاء والفصحاء وسمع كلام العليم والحكيم مبدع الاشياء ، رآى كلامهم جميعه هراء فى هراء ، وإذا تدبر بيان الفلاسفة والحكماء وبهره ما اكتشفوه من غوامض المعانى العلياء وسطعت على قلبه حكمة الحكيم ، ورآى انه بكل شىء عليم تضمحل امام عينه تلك المواهب ، ويراها حقيقة كالظل الذاهب وإذا نظر بفكره وثاقب عقله علاج الاطباء ، وما احدثوه من غرائب أسباب الشفاء ولاحت بارقة الشفاء عند عجزهم ، أو بارقة سر المميت لدى موتهم ، صاح فوق كل منبر . الله اكبر . الله اكبر . وإذا بهرته عجائب الاختراعات وادهشته غرائب الصناعات وراى الإنسان قد طار فى الهواء وغاص فى الماء ، وتكلم مع اخيه الإنسان فى اقصى الاودية وبعد المكان ، وراى صنع الصانع من الطير له ما فات والاسماك فى البحار سابحات ، وظهر له بارق سر المتكلم صغرت فى عينه كل تلك المظاهر عندما تشرق على القلوب قدرة القادر ، ويرى كل شىء قد ذاب وغاب وزال وتبخر عندما تظهر عجائب القدر ، وتسمع القلوب قول الحق الله اكبر . والله اكبر . فمقام الكبرياء لكل الاشياء قد هدم واعاد كل عظيم فى الوجود إلى العدم ، صغر كل عظيم وحقر كل كبير وجهل كل عليم وسفه كل حكيم وحكم

على كل فصيح وبليغ بالبكم ، عندما تقف العقول لدى العلوم صائحة الله اعلم وعندما تكشف الستارة عن الكبرياء تتلاشى الملوك والعظماء والامراء والعلماء والوجهاء والفحصاء والادباء والاطباء والمهندسين والحكماء ، وأهل الفنون والصناع والساسة الاعلام وأهل القوة والاختراع ، وهؤلاء وغيرهم من المخلوقات يذوبون عند التجليات وعند مظاهر الأسماء والصفات ، وتتلاشى كل الموجودات عند اشراق مجلى الذات وعندما تلوح أنوار الوحدانيه فى طرى أسرار الواحدية قائمة بقيومية الاحدية ، هناك يكون الملك والملكوت كذرة فى يمين الحى الذى لا يموت ، فسبحان الكبير المتعال نور الجمال والجلال الذى عجز عن وصفه كل تعبير وكل عن ادراكه كل تصوير (لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) .

أراد الحق جل جلاله ان يظهر وهو العلى الاكبر فخلق الخلق ليعرف خلاقا ، ثم خلق السماء ليظهر رافعا واسعا حكيما ، ثم خلق الأرض ليظهر باسطا قريبا ، ثم اراد سبحانه ان يظهر ويعرف فخلق الإنسان ليعرفه واوجده ليكلفه وفى التلكيف أسرار التعريف ، وضع لله سبحانه وتعالى مبادئ المعرفة بأوامر وضعها وقوانين شرعها ، ورسل للإنسانيه ارسلها فكانوا مبشرين ومنذرين ومعلمين فى مدرسة رب العالمين ، ومازالت الرسل ترقى الإنسانيه فى فصول المدرسة فصلا بعد فصل وعلم بعد علم ، حتى جاء خاتم النبيين وسيد المرسلين بالكمال الاكمل ، وبالعلم الفصل والمجمل فوضع لتلاميذه اكبر منهاج فى التربيه واعظ تشريع فى التهذيب والحلية ، فأسس دينه على شهود توحيد الله وعلى رؤية جمال الله ، وهو اساس اشهد ان لا اله الا الله ، ثم رقاهم الى مقام المكالمة والخطاب فى عبادة الملك العلام فأوقفهم بين يدى الله طائعين ، ولعزته مخاطبين بقول رب العالمين : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) ثم رقاهم للخلافة عن الله بمعونه خلق الله فى سر دفع الزكاة للفقراء من عباد الله ، ثم رقاهم إلى التشبه بصفات الله بترك الطعام والشراب وتشبها بالملك الوهاب فتركوا بقانون الصيام ، كل صفات الانام وتخلقوا بأخلاق الملك العلام طاعة لرب العالمين عندما قال لهم : (كُونُوا رَبَّانِيِّينَ) ثم

امرهم بالفرار لحضرته والتوجه لعزته ، فى بيته الحرام لزيادة هى رمز الرموز وكنز الكنوز لكشف العظمة والكبرياء تلبيه لرب الأرض والسماء ، امرهم بالاوامر فأطاعوها وبالشعائر فعظموها ، وامرهم بذبح القربات فذبحوها ثم عرفهم حكمتهم وسرها بقوله : (لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا) ثم كشف له الحجب وارشدهم إلى شىء لاجله أوجدهم بقوله : (وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ) ثم اشار إلى عظمته وكبريائه وان الكون بما فيه مسخر لاوليائه ، وانه سبحانه بحنانه يرعاكم ويبين لكم انه لذاته قد دعاكم (لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ) ثم بين ان هذا المقام لا يناله جميع زوار البيت الحرام ، ولكنه لقوم مخصوصين رقاهم الحق إلى مشاهد العارفين قال تعالى : (وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ) .

فأهل الإحسان هم الذين فقهوا أسرار كبرياء الكبير الديان وشاهدوا فى كل زمان ومكان رموز أسرار الحنان المنان ، فكبرياؤه أمام أعينهم تتجلى فى كل شىء على كان أو اعلى ، وعظمته على قلوبهم تتوالى وقداسته تحيرهم جمالا وكمالا ، فهم فى كل وقت إليه هائمون وفى كل نفس طالبون ، كلما ظهرت لهم عظمة من كبربائه أو بارقة من قدرته أو آلائه ، أو منحة من فضله وعطائه صاحوا بلسان الحال والقال مكبرين وعلى اعتاب تلك العظمة ساجدين ، ولاوامره مسلمين وبأخبار رسله وكتبه مؤمنين وبالالتجاء إليه قانيتن ، وبما فوق العقول والادراك مصدقين وعلى ما اصابهم فى الكون تقديره صابرين ، ومن جلال كبريائه وعظمته خاشعين وفى القربات والحسنات ببذل الاموال متصدقين ، وعن كل ما يشغلهم عن تلك العظمة صائمين ، ولكل جارحة وفرج من فروجهم حافظين وفى كل حال ونفس تراهم فى شوق شديد لذكر مولاهم ، لأنه ظهر لقلوبهم فى كل شىء واشار لهم بآياته فى كل موجود وحى ، وكل كائن امامهم يشير إلى اللطيف الخبير وكلما كاشفهم بمقام على أو مشهد خفى ظهر لهم من ناحية العظمة والكبرياء ، بارق جلال جعل مشهدهم هباء وهواء ، فالكبرياء هى سحق العارفين ومحق الواصلين وخشية المقربين ، ورهبة الأنبياء والمرسلين وذل العبيد الذاتيين وليس للكبرياء من مقام تنتهى إليه ، ولا من أى حد تقف لديه فهى كبرياء الكبير

المتعال الذى لا افتتاح لوجوده باى حال ، ولا انتهاء لاختتامه بأمد أو مآل ، كلت المخلوقات بأسرها عن حيطة كبريائه وعجزوا جميعا عن عد نعمائه فكيف بما يتعلق بذاته أو باسمائه وصفاته : (سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلا مَا عَلَّمْتَنَا) ولا بيان لنا الا ما به انطقتنا والعجز والجهل فى هذا المقام ، هو نهاية ما وصلت إليه الائمة الاعلام .

(وما على الذليل المسكين الا التأوه والحنين)

أواه مما فى الفؤاد ... من رهبة حال الجهاد
أو من غرام زائد ... أو جمر شوق للمراد
ذات علت عن دركنا ... وهى المريدة والمراد
فى عزة ابدية ... من فوق ادارك العباد
من فوق عقل العاقلين ... اولى البصائر والسداد
من فوق أرواح سمت ... فرت لها بالانقياد
ذات بلا حد ولا ... كنه لها فى الابتعاد
وهى القريبة مالها ... كيف فنزه فى الوداد
والكبرياء جلالها ... اياتها ياء وصاد
عظموتها فوق السوى ... والسين لاحت للرشاد
حبى لها لم يدركن ... والحب قد صدق الفؤاد
صار الخليل بنورها ... لا شىء فى نار اتقاد
والنار اضحت جنه ... للفرد من للاصل عاد
الله اكبر عندما ... لاح الجلال بكل باد
الله اكبر لا مثيل ... ولا شبيه لدى اتحاد
ذات تنزه وصفها ... عن كل مستور وباد
قد اظهرت مثلا لها ... فى البدء فى يوم المعاد
فى الاولية واثقت ... أهل العناية والرشاد

للصورة العليا لها وهى الظهور بكل واد
وهى البداية نورها وهى النهاية لا نفاد
وانت فى غيب الغيوب ظهورها يوم التناد
والكبرياء رداؤها لا كيف نزه يا مراد
فالكل قد جهلوا وقد عجزوا جميعا فى الجهاد
فى كل نفس سيرهم لا ينتهى فى الازياد
ذات بلا حدو ولا كم فكيف الاتحاد
الله اكبر فالعقول تحطمت فوق المهاد
والعلم وصف جنابها هيهات السبيل الى الرشاد
وان الجهول فلا أنا إلا بها حار الفؤاد
ان قلت عين كيف ذا وهى القداسة والبعاد
أو قلت غير فهو شر [illegible]
لم يبق الا اذنى فى الصفا فى كل واد
لا حول لا طول ولا ادراك لى فى كل ناد
لم يبق الا الجهل لى والذل فى دور العباد
وصفى تحقق بعد ان لاح الكبير بلا اجتهاد
بالفضل اشهد عبده وهو القدير هو الجواد
ان شاء عفو من يشاء وكم له فضل الاياد
والكبريا قد عرفت انى العبيد لدى المراد
الله اكبر والعبيد مقامه خاف وباد
وكم حيره فى حيرة والله اكبر خير زاد
بحر العبودة واسع موسى جوار البر عاد
لم يصبرن ببحرها والعبد بالأسرار ساد
والكبرياء فى مجدها ذابت وجودى والمراد
من اين لى تصويرها والكل ذابوا فى التلاد

والكل حمقى عندها ... فى مجهلها ضاع الفؤاد
لما ضاع كل الغير فى ... عظموتها حال انفراد
يا فرد ذات قدست ... هب لى العناية والسداد
خذنى بكلى سيدى ... حتى ارى كل المراد
فى الدين والدنيا ارى ... فى دار دنيا والمعاد
صلى عليك الله يا ... مثلا علا فوق العباد

فمقام الكبرياء قد محق الاغيار وازال الليل والنهار ، وبدل الأرض والسموات من اثار إلى أنوار وهو البراق الابدى والرفرف السرمدى ، وكلما وصل الواصلون وتقرب المقربون ، وشهد المشاهدون المحسنون وعرف العارفون ، وايقن الموقنون ناداهم مقام العظمة والكبرياء من هوية العما ، ومن دائرة الصفات والأسماء ، ان الكبير المتعال امامكم فاطلبوه ومن خفلكم فاقصدوه ، وعن يمينكم فشاهدوه وعن يساركم فخافوه ومن فوقكم فارهبوه وهو بكل شىء محيط ، مقام الكبرياء يشير إلى الذات ، والذات مستحيل ادراكها ومستحيل وصف كنهها ، أو ان تحوم العقول والأرواح حول فنائها ذات لها فوق المدراك شان ، وبقدرها قد اخبر القرآن ، صدق ايا عبدى تفز بالاصطفا فالذات جلت واستوى الرحمن ، فعلم الكبرياء حظر على الأجسام والعقول واوله التصديق بالمنقول ، والتسليم لاوامر الرسول أو وارث الرسول العمل بالاوامر الالهية وتقوى الله سرا وعلانيه ، وعندها يعلم لله البعد ما يشاء سر قوله تعالى : (وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ) وسر قوله : (اتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ) .

فسلم يا اخا الإسلام تسلم ، وصدق يا اخا الإيمان تغنم ، وشاهد يا اخا الإحسان أنوار الكريم الاكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم ، نسأل الله ان يعلمنا بعلمه انه هو العليم الخبير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المقام الثمــانون

((الهجرة والأجر الحسن))

سورة الحــج

كلمة الهجرة تراها فى أى القران مكرره وفى كثير من سوره مذكوره ومسطره ، وحقا لها شأن عظيم وامر جسيم ومقدار كبير ومقام خطير ، وقد قرنها الله سبحانه وتعالى فى هذا المقام بالرزق الحسن ليزيل عن قلب المهاجر الهم والحزن ، قال تعالى وهو اصدق القائلين : (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ).

الهجرة فى مقام الأجسام هو مفارقة الاوطان والاهل والمساكن ، وهذه الهجرة المعلومة للجمهور من سكان القرى والمدائن وكل من ترك مقره وارتحل إلى غيره مسافر ، يقال له بلسان العرف انه مهاجر ، والدين الإسلامى قد تمشى مع كل طبقات الوجود وحفظ فى بيانه وشرحه كل موجود ، والقرآن قد اشار واجمل وابهم ووضح وفصل ، والرسول صلى الله عليه وسلم قد فصل المجمل وبين المبهم ، وهنا نشرح مقام الهجرة والزرق الحسن على قدر ما نعلم والله هو العلم الحكيم : (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) .

الهجرة بحسب ترتب المقامات اقسام ودرجات ، فهجرة فى مقام الإسلام وهجرة فى مقام الإيمان وهجرة فى مقام الإحسان ، وهجرة فى مقام الإيقان وهجرة فى الفرار من جميع الموجودات إلى رب البريات ، وهذا اجمال الاقسام وتفصيلها فوق قدر العلماء الاعلام . فهجرة الجسم . وهجرة الحس . وهجرة للأخيار . وهجرة للوهم . هجرة للعقل . وهجرة للفكر . وهجرة للنفوس بأقسامها . وهجرة للروح ومعانيها . وهجرة للقلب وهجرة للفؤاد . وهجرة لكل حظ ومراد . وهجرة للسر وهجرة للغيب . وهجرة للخفا وهجرة للاخفى ، وهجرة من كل تلك الأقسام إلى الملك العلام ، وإذا اردنا التفصيل ضاق البيان وكل اللسان ، لاننا نحتاج إلى بيان جميع الأكوان من حقائق الملك والملكوت ، وما فى دائرة الجبروت

والنعموت وما فى دائرة المبانى وما فى دائرة المعانى ، لأن الانسان فى سيره وهجرته لربه تواجهه كل الموجودات فى طبقات الأرض والسموات ، ويصير كل ما هاجر من مكان استقر فى مكان ، وكل ما هاجر من معنى وصل إلى معنى ، فالهجرة فى المبانى رمز لهجرة المعانى والامر القرآنى من الله قوله تعالى (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ) فتح بابا هجرة لا انتهاء لاخرها ولا انقضاء لدوامها ، ولا حدود لمسافاتها وهنا نقف عند مقام الإحسان ونبين الهجرة فى دائرته لاننا خصصنا لله هذا الكتاب والله هو المنعم الوهاب ، يمن على من يشاء بالتوفيق والصواب والحكمة وفصل الخطاب ، وهو سبحانه يرزق من يشاء بغير حساب ومع هذا لا نخلى الموضوع من بيان موجز فيما ذكرناه ، الله يتولى العبد ويلهمه هداه .

الهجرة للجسم هو سفر ما لنوال القوت من الطعام أو نوال السلطان فى الاكام ، والمهاجر بحسب نيته وعزيمته يكون المقام فأن هاجر بنية الطاعة للملك العلام كانت هجرته رفعة لمقامه وعلو لمنزلته ، وفضل عظيم فى دنياه واخرته ، وان هاجر لقصده وحظه وشهوته الإنسانيه انحط قدره إلى درجة البهيمية ، وان هاجر بنية الفساد والعناد والكفر والبغى والظلم والالحاد كان فى نظر القرآن اسفل واضل من الشيطان ، واما هجرة الحس وهو العين وأبصارها ، والاذن فى حالة سمعها واليد فى لمسها ، والانف فى حالة شمه واللسان فى ذوقه ونطقه ، هذه الدائرة الحسية لها هجرة معنوية فإن هاجرت العين من النظر إلى المحرمات ، والاذن هاجرت من سماع المنكرات ، واليد هاجرت من لمس الشهوات ، والانف هاجر من شم الغانيات وشم المخدرات والمهلكات ، واللسان لم يتذوق المنهيات وهاجر من اللغو ومن كل الاقوال المفسدات ، عند ذلك يصير الحس مهاجرا إلى رب البريات والى نوال اعلى المقامات وارفع الدرجات ، وهجرة الخيال هو ترك الاشتغال بما فى المبانى من زينات وما فيها من حظوظ وشهوات ، ويهاجر إلى ان يتصور المبانى الباقية والجنات العالية ، وهجرة الوهم هو ترك المعانى الابليسية والبحث فى المعانى النافعة من الآيات الربانيه لأن الوهم وظيفة البحث فى المعانى كما ان الخيال يبحث عن ما فى المبانى فإن بحث الوهن فى معانى

الروايات الساقطة والاغانى والاشعار السالفة هلك واهلك صاحبه ، وهجرة العقل ان يفر من عقال الكون ويهاجر إلى الاستدلال والبحث عن خالق الوجود والمصور لكل موجود لأن العقل هو البرهان على وجود الرحيم الرحمن وبه صلاح الإنسانيه وتكليفها بالاوامر من رب البرية ، فاذا فقد العقل فقد التكليف واختلت قواعد التعريف ، واما هجرة الفكر فسفره من حيطة الإنسان إلى ملكوت الرحيم الرحمن فى خلق الأرض والسموات ، وما فيهما من أسرار وآيات وأنوار وتجليات حتى يرى آثار الحق ظاهرة وأنواره باهرة قال تعالى : (وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) وعندما يتبين لهم بالفكر تلك الآيات يقولون : (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلا) فينتقل الفكر مهاجرا من الآيات فى الاثار إلى شهود أنوار العزيز الغفار ، واما هجرة النفوس بأقسامها فتحتاح فى شرحها إلى مجلد كبير وتفصيل كثير ، فالنفس الجمادية تهاجر من الخمول والكسل إلى خير العمل ، والنفس النباتيه تهاجر من أرض الفساد إلى صلاح العباد والبلاد ، والنفس الحيوانيه تهاجر من شهواتها إلى طاعة خالقها وبارئها ، والنفس الشيطانيه تهاجر من خبثها وشرها إلى نور اصلها وملكيتها مسبحة ومقدسة وطائعة ومؤنسه والنفس اللوامة تهاجر من خبال حيرتها إلى رضاء فطرتها ومحبة خالقها ومبدعها (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) والنفس المطمئنة تهاجر من ميلها إلى شهود أنوار أصلها راجعة إلى سرها وغيبها .

والنفوس لا حصر لتفصيلها فإذا هاجرت كل نفس من النفوس واجهت أنوار القدوس ، واما هجرة القلب والفؤاد والسر والخفا والاخفى ، فهذا بحر من علوم الاصطفا وسير على قدم المصطفى ، فاذا هاجروا وبإمام عارف اقتدوا وصلوا إلى روض دنا ومقام أو ادنى ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم هذا هو الاجمال والتفصيل ضرب من المحال ، فإذا هاجرت كل تلك الحقائق الإنسانيه ورجعت إلى ربها راضية مرضية نالت كل حقيقة رزقها الحسن ، ونجت من الهم والكرب والحزن ، وصار الإنسان صورة الرحمن مجملا بجماله مكملا بكماله ، اذا نطق نطق بالله وإذا نظر نظر بنور الله ، وإذا سمع سمع عن ربه

باذن روحه وقلبه ، لأن فى الإنسان حقائق نورانيه ولطائف رحمانيه ، والات ربانيه حجبت فى الكون بظلمات البشرية فاذا عادت إلى بدئها وهاجرت إلى بارئها وتابت وانابت إلى مبدعها ، تلقت بسمعها الأول من المبدئ الأول وهو الذى يبدء الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الاعلى فى السموات والأرض ، وحقائق الإنسان هى المثال فى الجمال والكمال وقليل من عرف وشاهدها ، وعمل لتزكيتها وتعهدها قال تعالى وهو القدير الغفور : (وقليل من عبادى الشكور) فالهجرة رمز العطايا والمنن وبها نوال الرزق الحسن ، والرزق الحسن ليس هو المال والاولاد انما الرزق الحسن نوال الرضا من رب العباد ، الرزق الحسن هو حب الله للعبد ونوال الخير والفضل والود ، الرزق الحسن هو العلم بالله وكشف الحجاب عن نور الله ، الرزق الحسن هو الفوز العظيم والتجميل بجمال العليم الحكيم ، الرزق الحسن هو شهود أسرار الخلاق فى نفس الإنسان وفى الافاق ونوال مكارم الأخلاق ، الرزق الحسن ليس ما يشاركك فيه الجمادات والنباتات والبهائم انما الرزق الحسن ان تكون خليفة عن الله قائم وان تكتب فى سجل آل العزائم ، الرزق الحسن ليس هو ملك الدور والقصور والبساتين انما الرزق الحسن ان تكون فى معية النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، الرزق الحسن ليس هو الهجرة للرياضة والنزهة فى الاقطار إنما الرزق الحسن ان تهاجر إلى حظيرة القرب من العزيز الغفار ، ليس الرزق الحسن ان تصير ملكا أو وزيرا أو اميرا إنما الرزق الحسن ان تصير بالرحمن خبيرا وللحق نصيرا ، ليس الرزق الحسن ان تخضع لك الرقاب إنما الرزق الحسن ان تنال الذل فى محبة الملك الوهاب ، الرزق الحسن ليس فى النساء الجميلات ولا فى المتاع والزينات وانما الرزق الحسن زوال الحجاب بينك وبين رب البريات .

فمن هاجر فى سبيل الله ثم قتل بسيف محبة الله ومات عن ما حرمه الله ، رزقه الله حياة طيبة فى معية رسول الله وكيف وقد قال رب العالمين : (وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) فما ذكر الله الهجرة فى كتابه الا ليشوق احبابه إلى جنابه ، وما اظهر لهم الارزاق الا ليشوقهم إلى التلاق ، وما حمد ذاته وخيرها الا ليجمل

عباده بمكارم الأخلاق ، فالهجرة بحثها عميق وبحرها غريق ، عجز عن ادراكها كل نبى وصديق ورزق الله للمهاجرين فوق مشاهد العارفين وشهود المحسنين وكيف يدرك مخلوق قول الخالق المبين : (وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) فالهجرة قسمان بالاجمال : والرزق قسمان بلا جدال هجرة من الخلق إلى الخلق . وهجرة بالحق إلى الحق ورزق للهياكل والأجسام ، ورزق به تواجه الملك العلام ، فهنيئا لمن هجر الأكوان حتى فاز بمنازل الرضوان فى جوار الرحيم الرحمن ، فنال ارزاق الالوهية التى خصصها لمن اصطفاهم من البرية ، وهى فوق المدارك الادمية والشهوات البشرية ، وفوق العقول والعلوم وفوق الالباب والاذواق والفهوم، وكيف لا وهى ارزاق الحى القيوم الذى يقول للشئ كن فيكون ، لو كاشف عباده سبحانه بتلك الارزاق لمزق قلوبهم إليه من الاشواق ولكنه سترها بحكم علية وأسرار خفيه وإرده ازلية ليميز الخبيث من الطيب ، وينفذ عدله ويظهر فضله ويعرف ستارا غفارا ، عزيزا قهارا ، فكم من مواهب لعباده خزنها وكم من ارزاق عن علقه سترها وكم من إحسانات لاحبابه اظهرها ، وكم من منن لاوليائه بينها وكم من عطايا على عباده اسبغها وما خفى فهو اكبر ، والله هو العلى الاكبر وهو ذو الفضل العظيم .

(اغنى الهجرة والرزق الحسن)

فى النثر الحقى بيان الغيب والسر	فى النظم ابين نثرا لى إلى الحر
بيان هجرة عبد نحو خالقه	حظ على القول فى نثر وفى شعر
فى هجرتى من وجودى رمز وحدته	فى هجرتى لى فوق النظم والنثر
وهجرتى فى سبيلى لله من رتبه	بها انال جمال الفتح والنصر
وهجرة الجسم فى دور الخيال بها	ظهور الكيان بما فى البر والبحر
فى هجرة الجسم أعمال يقوم بها	يرى النظام من خير ومن شر
وهجرة الحس فوق الجسم رتبته	لأنه وصلة للضر والبر
وهو المريد لما فى النفس من خلل	وهو الموصل للاثار والجهد

فالعين تنظر للأكوان ترسمها ... والسمع يدرك للأصوات والخبر
والوهم يأخذ عن رسم الخيال ولا ... يدرى بما فى الوجود الحق من أمر
والعقل عقلان عقل يحجب المعنى ... ويهلك العبد بالالحاد والكفر
وعقل أهل النهى بالنور يرشدهم ... إلى الوصول إلى الوهاب فى السر
وهجرة النفس من حظ إلى المعنى ... إلى الفضيلة من عسر إلى يسر
وهجرة الروح من ملكوت بارئها ... إلى شهود جمال الواحد البر
وهجرة القلب من غش ومن فحش ... إلى الرحيم تعالى واهب الخير
كى الحقائق فى الخلوة وفى ردد ... وفى جهاد وفى صدق وفى حذر
إن هاجر العبد للأكوان يطلبها ... سارت مساعدة للشر والخير
وإن سعى مسرعا للفضل والمعنى ... مهاجرا للكمالات على الأثر
فى هجرة العبد للمولى مشاهدة ... فوق العقول وفوق العلم والسر
فى كل مرحلة غيب بها يجلى ... فى كل بارقة رزق من البر
فى كل نفس من الأرزاق ساطعة ... تبدو وراء الحجبات عن الصور
للجسم للحس ارزق بلا عد ... فهيب بالعقل لب والنفس والفكر
وهيب بالروح والمعنى بهاجبت ... وهيب بالقلب وهو البيت للذكر
وهيب بالنفخة العظمى وسعتها ... وهيب بالغيب والأخفى لدى السر
وهيب لو نال عبد وصل مبدعه ... وعند الوصل فالأسرار لا تدرى
رزق من الله لا حد ولاعد ... يا نفس لله تحنانا الا فرى
وهاجرى من وجود باطل ودعى ... كل العوالم من خلق ومن أمر
فالله جل تعالى لا مثيل له ... ولا له كفوا فى محكم الذكر
هاجر على منهج المختار للمولى ... يا قلب فالأمر فوق الحال والفكر
فى هجرة المصطفى من فوق أو أدنى ... غيب عن الغيب والإبهام والسر
صلى الإله على طه وعترته ... وأهل هجرته الداعون للخير

فالهجرة فى سفر الحقائق إلى بدايتها ورجوع جميع الخلائق إلى مبدعها قال تعالى: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ) ، واما أرزاق الهجرة فليس للبيان قدرة على وصفها لأن الرزاق جل جلاله هو الذى وعد بها قال تعالى : (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا) فأمر تعلق بالله ووصفه الله بالحسن ، لا يمكن احد من المخلوقين ان يصل إلى وصف رب العالمين ، قال تعالى وهو اصدق القائلين : (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) نسأل الله ان يمن علينا بالهجرة الصالحة الصادقة والارزاق الحسنة المتدفقه التى لا تزال تنهمر من سماء الفضل على أهل الإحسان والعرفان أنه مجيب الدعاء حنان منان .

المقام الإحدى والثمــانـون

((أحسن الخلق))

سورة المؤمنـــون

وفيه إشارة ان الله خلق من يخلق من يخلق مجازا ويقول للشئ كن فيكون امدادا من الله له فى الدنيا والاخره سر قوله تعالى : (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ) وهنا نفصل هذا الاجمال .

ان الله سبحانه وتعالى اراد فى ازله وقضى فى علمه ان يخلق خلقا ويفضل بعضهم على بعض فى الخلق ، ويرفع بعضهم على بعض فى الرزق فخلق ملائكة وجنا وحيوانات وهوام وخلق دواب البر والبحر والانعام ، مخلوقات ذت انواع لا تعد واشكال لا تحد ، عجز أهل البحث فى الجمادات واشكالها والنباتات وانواعها وحيوانات البر واوصافها ، وهوام الهواء واحوالها ، ومخلوقات الماء التى لا تحصر وهذا دلائل على قدرة القادر الاكبر ، هذا وفى طى الثرى وتحت طباق الثرى وفى العلا وفوق العلا جنود لا يعلمها الا الواسع العلى الاعلى ، قال تعالى (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ) .

ثم اراد الحق جل وعلا ان يبرز فى الوجود أحسن خلقه وأكمل اتقانه وصنعه على حسب ما سبق فى قديم علمه ، فبعد ان استقرت السموات وما فيها والاض ورواسيها والبحار والانهار ومجاريها ، وأنتهت الكائنات تنسيقا وقامت الأكوان تنميقا وتمت الموجودات إحسانا ، وكملت الأرض والسموات اتقانا ودارت دورة الليل والنهار على طبق ارادة العزيز الغفار ، وشاءت الارادة الالهية إظهار أحسن المخلوقات فى البرية ، فاستل من الطين سلاله وصورها فى أحسن حاله فابدعها بقدرته واتقنها بحكمته وأحسنها بجمال صنعته ، ونفخ فيها من روحه واسجد لها ملائكة قدسه وسخر لها ما فى دائرة عرشه وفرشه ، وجعلها خليفة عنه فى العالمين ثم جعل منها نسلها وخلق منها زوجها ، وأبرز منها فروعها من دم أجراه فى عروقها ، وحوله بقدرته منيا يمنى ، ثم خلق منه حيوانا دقيقا لا يرى ، ثم رباه فصار لحما وعظاما وشحما ، ثم صوره فى أحسن صورة واجمل تقويم .

قال تعالى وهو اصدق القائلين : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) .

هذا ما خلق فيه من المبانى وما جمع فيه من القاصى والدانى ، جمع فيه حقائق الكائنات ورسم فيه كل الموجودات من أرض وسماوات ، وجماد وهواء وماء وحيوانات ، طوى فيه جميع العوالم السفليه وخلق كل العوالم العلوية ، من ملكية وملكوتيه فتراه جمادا فى تركيبه ونباتا فى نموه وتقليبه وحيوانا فى وضعه وتهذيبه، فبينما تراه راكدا كالجمادات تراه فى نموه كالنباتات ، وإذا به آكلا شاربا كالحيوانات يرفس كالحمار عند غضبه ، ويسرح ويمرح كالدواب فى لعبه ، يميل فى حظة وما فيه يتشكل بشكل كل مخلوق بقدر ما عليه من التكاليف والحقوق ، فبينما تراه فى شهوته وجهله كالانعام تراه فى تسبيحه وتقديسه فوق الملائكة الكرام ، وبينما تراه اضل من الشياطين وإذا به فى الهدايه فى صفوف النبيين .

الإنسان وما ادراك ما الإنسان هو كنز الحنان المنان ، ورمز الالوان والأكوان ، قال سيد أهل العرفان فى هذا الزمان حجة الإسلام مولانا السيد محمد ماضى أبو العزائم :

نفسى هى الكنز فيها سر معناه		بغير هيكل وفيها نور مجلاه

إلى أن قال :

نفسى مثال تراءى لى به وضحت		اياته وبه اعطيت جدواه

نفسى الصورة تنبى مشاهدها		إذا تحقق ان المبدع الله

إلى أن قال :

من كان يعرفنى بالعقل يعرفه		أنا المثال له افق لمرآه

فاقرأ كتاب النور المبين ترى هذا الكنز الدفين ، فقد كتب فيه سيد العارفين مولانا السيد أبو العزائم عن النفس الإنسانيه ما حير به البرية جمع الله فى الهيكل الإنسانى كل ما فى الهياكل والمبانى ، ثم جمع فى قسم المعانى كل الملكوت الروحانى فالملائكة بأنواعها والأرواح بدرجاتها ، وعالون بمقاماتها والاعلون بأسرارها كلها قد جمعت فى المعانى الإنسانيه ، وركبت فى الحقائق الادمية صورة اتقنها رب العالمين : (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) جمعت هذه الصورة الإنسانيه كل المخلوقات الظاهرة الكونيه والباطنه الملكوتيه والروحية ، وليس هذا وذاك كل ما فيها وانما قد حوت أسرار باريها ، تشرفت بمعانى الوصف والأسماء بالفضل والجود نور الله يوليها .

شرف الله هذه الصورة الادمية بمعان واسرار ربانيه فجعلها لوحا مسطورا ، ورقا منثورا وبيتا معمورا ، سطرها بآياته وجعلها طورا لتجلياته ، وبيتا معمورا باسمائه وصفاته خلقها بيديه واظهر فيها ايات الملك والملكوت ، وأنوار العزة والجبروت ، جعلها مرآة الحقائق وحملها امانات الخلائق وجعلها مثالا لعزته واعلانا على عظيم قدرته ، وبرهانا على أسرار حكمته ومرآه لاشراق شمس آياته وسراجا منير لعلى اسمائه وصفاته ، فإن شئت ان تقرأ الأسماء والصفات فاتلوها

فى لوح البينات (الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآَنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ) فكل أسماء الرحيم الرحمن نقشت على لوح معانى الإنسان فاقرأ البصير فى سطر البصر ، واقرأ السميع فى باب سمع البشر ، واقرأ المتكلم فى لوح الكلام ، واقرأ العليم فى علم العلماء الاعلام ، واقرأ الحكيم فى بحر الحكمة ، واقرأ الرحمن الرحيم فى مدينه الرحمة، واقرأ الحليم فى صحيفة الحلم ، واقرأ الحفيظ فى ورقة الادراك والفهم ، واقرأ الودود فى صفات الود ونزه آلهك عن الضد والند ، ورتل الأسماء كلها على صحفات المعانى التى فى الإنسان خلقها ، فالصورة الإنسانيه هى كتابها ولوحها فهو النور وهو الظاهر وفيها اظهاره ، وهو الباطن وفيها أسراره ، وهو الغيب وفيها غيوبه ، وهو الغفار التواب وفى الإنسان ذنوبه وعيوبه ، وهو المنعم وفيها نعمه وهو القدير وفيها قدرته ، وهو العزيز وفيها عزته وهو الولى وفيها ولايته ، وهو السريع وفيها سرعته وهو المقيت وفيها قوته ، وهو الحى وفيها حياته ، وهو المميت وفهيا يظهر الموت ، وهو المعيد وفيها تشرق الاعادة والفوت ، وهو الجامع واليه يجمع الخلق اجمعين ، وهو الباقى ويظهر فيها البقاء بعد العرض والجزاء .

ولو اردنا ان نشرح سر أسماء الله وصفاته فى الإنسان لانتهى الزمان والمكان ، وكفى قول القرآن المبين : (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) ابرزه فى البدايه من ديوان الأسماء والصفات ، نورا يلوح امام وسعة الذات ثم لونه بألوان الملكوت فى اطواره ، وزينه بزينة النعموت فى اسفاره ، نقله من قدس عظموته إلى دائرة الملكوت ملكوته ، ثم اخرجه فى عالم الظهور ليعود نوار على نور ، انزله فى مدرسة التأديب وفى معهد التربية والتهذيب ، وارسل له المدرسين والمؤدبين والمهذبين من الأنبياء والمرسلين والأولياء والوارثين ، فإن نجح فى هذه المعاهد والكليات عاد فى حظيرة البريات ، وان سقط فى هذا الامتحان استحق العقاب والهوان والبعد عن منازل الرضوان ، وان حمل شهادة الالوهية مختومة بخاتم الرسالة والنبوة مبصمومه بامضاء أى امام ، عاد إلى المعيد جل جلاله فى ارقى مقام قال تعالى : (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ) ، هذه هى دورة الصورة الإنسانيه

واتقان الحقيقية الادمية وإبداع صنع الذات البشرية ، جملها ظاهرا بجمال تكوينه ولونها باطنا بحسن تلوينه وكملها بكمالاته الربانيه ، وزينها بالأنوار الإيمانيه فإن آمنت وصدقت ولرسله وانبيائه واوليائه سلمت ، وعملت بما تعلمت وسمعت ، زين ظاهرها بالإسلام وزين باطنها بالإيمان ، والبسها حلل الإحسان واسبغ عليها طهور العرفان وكاشفها بأسرار الشاهدين ، وأراها مقامات اليقين وازال عنها الحجاب وكشف عنها النقاب ، وقربها للرحاب وفتح لها الابواب وادخلها فى حظيرة القرب ، بعد أن يوردها منازل الانس والحب ، وهناك يفوح عبير قوله رب العالمين : (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) وهنا تقف العبارة وتعجز الاشارة وتنظر العين الاولية لأحسن الخلقة الالهية (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) يوم تتم دورة (أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) فى هياكل خلقها من الطين دورة عالمية أولية اخرويه .

وهنا نختم هذا الموضوع الخطير بإجمال قليل قصيرلنحصر ما فصلنا ، ونجمع ما وضحنا فى مقام أحسن الخلق ، وهو آيات ظهور الحق ، فاطوارنا فيه أسرار كاشفنا بها المصطفى المختار ووضحها لنا الائمة الاخيار ، وقسموا تلك الاطوار اقساما وفى كل قسم من تلك الاقسام حكما واحكاما ، فطور كنا فى العلم القديم فى غيب غيب العليم الحكيم ، وطور كنا فهي أرواحا تطوف حول قدس العزه والجبروت ، وطور فى فسيح عالم الملكوت وطور فى عالم التلوين ، وطور الدنيا حسب التقدير ثم عالم البرزخ والقبر وهو الرجوع إلى عالم الامر ، ثم طور الخروج من القبور إلى يوم النشور ، ثم يوم الحساب اما إلى نعيم او إلى عذاب ، وهنا يتجلى الباقى بحلة البقاء فلا موت ولا فناء ، هذه عشرة اطوار اجمالية قدرها على الإنسان رب البرية ليتم فيه صورة الاتقان ، ويكمل به مظاهر الأكوان ويظهر به لكل العالمين اتقان خلق (أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) وقبل ان اترك هذا المقام اثبت العجز عن البيان ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

وهنا نتغنى بما نتمنى :

عرج على حان إحسان لنا فينا ... وشاهد جمالا بدا من نور بارينا
وانظر بفكر وشاهد آى قدرته ... فى حكمته لونا وتكوينا
فى أحسن الخلق أسرارا لنا وضحت ... فى صور قد تجلت بجمال مبدينا
فى أحسن الخلق صنع الحق مظهره ... ليظهر المبدع الخلاق منشينا
فى أحسن الخلق والإنسان آيته ... عجائب ظهرت فى رسم طينا
عرج على قدرة البارى تجليها ... بالنور والطين تحيينا وتعلينا
واسجد على التل سبح قلبا أبيا ... امرا وخلقا بنا فينا ويولينا
يولى عطاياه إحسانا ومكرمه ... سر الارادة تحقيقا وتعيينا
فى هيكل طاهر الآيات مشرقة ... تجلى لأهل لطف نورا بدا فينا
فى الجسم والحس والأعضاء والمبنى ... فى العقل والروح لا تحصى معانينا
طين ونفخة قدس فيها ملك ... روح ونفس وشيطان يمارينا
وهم خيال وفكر شهوة حظ ... مكر خداع وكيد فى أمانينا
قلب فؤاد وداد فيهما حب ... عشق غرام وتهيام يرقينا
إلى المعالى ويهوى نار هوى غيا ... إلى التسفل يردى المجون دينا
فينا علوم غيوب كها عجب ... فينا العوالم من سفل وعالينا
فينا سماء وأرض سر مبدعنا ... والعرش والفرش والأفلاك تدرينا
فالروح من فوق أعلى العالم منزلة ... والخلق من دونه فافهم أغانينا
وقم تغنى بها والحظ مشاربنا ... ولحق الظلم بعد الترب ويلقينا
فى أحسن الخلق سر لا يباح لمن ... قد فاق النور عشقا لا يدانينا
لا يفقه السر سر الخلق غير تقى ... باع النفوس وفى الخلاق مجنونا
فى أحسن الخلق أسماء العلى ترى ... لكل فرد صفا حالا وتمكينا
فينا لطائف وفينا نور حضرته ... نور شهود ترى غيبا ومكنونا
هو العلى ومرآة الغيوب بدت ... شيء ولا شيء والتوحيد يهدينا
أنا الجمال كمال الصور قد ظهرت ... ليظهر الحق والقرآن ينبينا
فى (فصلت) فاقرأ الآيات واضحة ... فى (أنه الحق) مكنونا ومضمونا

مقام (أحسن) خلق فيه رفعتنا لاننا قصده والله حابينا
ونحن أعلى من العالين مرتبة لى فوق الطور ران لا تحت معانينا
(وأنتم) حجتى فى نص آيته معية الله لى فضلا تواليـنا
تبارك الله لا نحصى فضائله بداء وختما وتكونيا وتلوينا
فسخر العالم الأعلى لنا فضلا والعالم الادنى منه ليرضينا
رضى ورضى عبد رحمته ظهرت لكل عبد غدا بالحب مسكينا
ولى فوق وجودى صور ترفعت لاننى نور حميم ويسدينا
واننى ذرة من قبضة المجلى بها لها علم الأسماء تبيينا
واننى عبده فرع لقبضته لانى صرت بالمختار مقرونا
متى طمست بحور الخلق صرت به منه له فيه لا حالا ولاحينا
ومن أنا عدم قطر إلى بحر فعلو البحر فيه الفلك مخزونا
والفلك قد صار بحرا بعد ما صفيه من ظلمة الطين والمختار صافينا
لما اصطفانا وصفانا فصار لنا صفا صفونا به من فوق عالينا
به وصلنا لخير الخلق اجمعهم ومدح ربى كفى فى الكون يكفينا
(وكنتم) حجة الحيران يثبتها نص القرآن ومدح الله يشجينا
آمنت بالله ربى مؤمن وكذا حبيبه مؤمن ذق خمر نادينا
خمر المحبة تمحو غيرنا منا به جذنا فقربنا لوادينا
واد تقدس بالأسماء اظهرها فصار قدسا ولا ماء ولا طينا
متى رجعت لأصلى لا شريك ولا ضدا وندا وهذا نور بارينا
فذاك سر أرا أحسن الخلق أظهرها بعلمه لا بعلمى وهو هادينا
منه الهداية والتوفيق والمعنى منه العناية بل والكل يعطينا
راجو عطايك يا مولاى فامنحنى علما بنفسى والا عدت مفتونا
واجعل على منهج المختار عاقبتى فى كل حال وجنبنا اعادينا
صلى ربى صلاة منك تجمعنا على الحبيب التهامى يظهرن فينا
به نكون عبيدا مثل من سبقوا من أحسن الخلق حالا والنبينا

فقوله تعالى : (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) لا تفهمها أهل الإحسان من رجال العرفان الا اشارة للجمال الاجمل والكمال الاكمل ، وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن هو على صورته تجمل وتكمل وذاق خمر رحيق قوله تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا) فذاق حلاوة الإسلام ورقا إلى مقام الإيمان ، وتحقق بمقام الإحسان والإيقان واقتدى بالمصطفى صلى الله عليه وسلم وتخلق بأخلاقه وتأدب بآدابه ، وفقد وجوده الباطل فى الوجود الحق حتى صار فرعا عاد إلى اصله وقطرا عاد إلى بحره ، وضياء عاد إلى شمسه لأن المصطفى صلى الله عليه وسلم هو شجرة المؤمنين وهم فروعه والفرع يعطى حكم الشجرة مازالت متصلا بها ، فأن قطع منها جف وصار فى النار قال تعالى مبينا فرعيتنا للمصطفى عليه الصلاة والسلام :(آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللَّهِ) وقال سبحانه : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) متى طهر المؤمن هيكله من الفواحش والمنكرات وصفا قلبه من الهوى والحظ والشهوات ، وخلص باطنه من جميع الاغيار ، وفر إلى العزيز الغفار صار صورة للحبيب المختار ، ويكون أحسن الخلق عند الحق واكمل الصورة واجمل القلوب عند علام الغيوب .

نسأل الله ان يجملنا بجماله وان يكملنا بكماله ، وان لا يكلنا إلى انفسنا طرفه عين وان يزيدنا حسنا وإحسانا فى خلقنا وأخلاقنا انه مجيب الدعاء وهاب كريم .

المقام الثانى والثمــانون

((الدفع الأحسن))

سورة المؤمنـــون

الدفع معناه العطاء والمنع والرد تقول دفع فلان لفلان كذا أو دفعه للوراء فمنعه عن الدخول أو رده أو رد عنه الاعداء ومن معناه المتابعة وهو المراد هنا كقوله

صلى الله عليه وسلم : ((واتبع السئية الحسنة تمحها)) من نفسك أو من غيرك قال تعالى : (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ) أى اتبع سيئة القوم فى قولهم أو عملهم بالقول أو العمل الأحسن ورد لهم سيئتهم بأحسن حالة يحبونها، وقبل ان نتكلم فى هذا الموضوع الشائك الكثير المعانى والشعب والمسالك ، نأتى بمقدمة توضح المرام اقتداء بالعلماء الاعلام ، ان المراد من التعرض لهذا الموضوع بيان حال أهل الإحسان من العفو والصفح والخضوع ، وتزكية النفوس من نجاساتها وتطهيرها من رعوناتها وتصفيتها من اكدارها حتى إذا زكت ، ومن كل الاهواء تجردت وبأخلاق الرحمن الرحيم تخلقت ، ولاوامره خضعت واذعنت وبنار الجهاد استوت ، البسها حلة الخلافه وكملها بكمال العطف والحلم واللطافة ، ثم يقيمها فى تنفيذ احكامه فى نقمه وعفوه وأنعامه ، ولذا كان الامر فى بداية الدعوة للرسول بالعفو والصفح والإحسان والرأفه والوداد ، ثم يتحول الامر بالاخذ والشدة والاساءة والقتال والجهاد وهنا ندخل فى تحليل معانى الدفع الأحسن ونفصل اجماله حتى يتبين والله هو المبين والفصل والمعلم والمعين .

ان النفوس الإنسانيه مخلوقه على اجناس وفطر لا يعلمها الا من خلق وأنشأ وهى بالاجمال التكوينى والنزعة البشرية تنقسم إلى ثلاثة اقسام : قسم يميل بفطرته إلى الإحسان ويعشق الحنان والجمال والاكرام ويبيح مكارم الأخلاق والصلاح والإصلاح والوفاق . وقسم لا محبة له ولا رغبة عنده فى خير قاسى القلب جبار عنيد حجرى المزاج نافر كافر شيطان مريد . وقسم متردد بين القسمين يميل إلى الفساد والعناد لين الطباع فى نوال شهوته وبلوغ مأربه وغايته ، ان رآى خيره ومحبوباته السافلة انس واطاع وان وجد ما لا يتفق مع حظه أنقلب على وجهه وأعلن العداء وكفر برب الأرض والسماء ، فاقتضت حكمة الله ان تكون رسالته للبشر على نظام هذا التقسيم الحكيم ، فأرسل مبشرين للقسم الأول ، منذرين القسم الثانى معالجين القسم الثالث قال تعالى لحبيه ومصطفاه : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) فجعل رسالته ثلاثة اقسام بحسب الفطرة الإنسانيه .

وهذا المقام الذى نحن الآن بصدده هو من قسم الدعوة بالحكمة للقسم الأول لأن النفوس الكريمة إذا أحسنت اليها ملكتها قال الشاعر الحكيم :

ان أنت اكرمت الكريم ملكته وان أنت اكرنت اللئيم تمردا

من هذا أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يعفو ويصفح ويرد السيئة بالحسنة ويدفع القسوة باللين والعطف والرحمة . قال تعالى : (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ) لأن نفوس القسم الأول إذا اساءت تسىء بعقيدة الخير وبقصد الصلاح والبر ، فاذا رأت هذا الإحسان وهذا العطف والحنان ، ممن اساءته وجدت قوة من الخير والبر والصلاح اكثر من قوتها وكل قوة من عادتها تخضع لمن هو اقوى منها خصوصا إذا كانت القوة من نوعها .

فترى المحب للعلم إذا وجد من هو اعلم منه خضع له ، والكريم إذا وجد من هو اكرم منه حن إليه ، والحكم إذا رأى من هو احكم منه مال إليه ، والعفو إذا رآى من اعلى منه فى العفو خضع إليه ، والمصلح إذا رأى من هو اصلح منه صار له ناصرا ، وهكذا كل نوع من الانواع يميل لمجانسه فى الأخلاق والطباع . فلقوله سبحانه لحبيبه ومصطفاه : (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ) ، لا لعجز ولا مهانه لاوليائه ولا ليذل نبيه لاعدائه ولكنه يأمره ان يستعمل سلاحا قويا متينا ونصرة وربما كان خيرا لك من نفسك التى بين جنبيك حرصا ونفعا ودفعا ، بخلاف من تملكه بسلاح القوة والبطش متى وجد عندك منفذا من الضعف غدر ، ومتى تمكن من قوة قام وقهر ، فالحكيم جل جلاله امر المصطفى صلى الله عليه وسلم باستعمال سلاح الإحسان ليجمع حوله أهل الخير والحب والحنان والعرفان ، فانهم قوة الله فى أرضه وأنصاره لنبيه .

انظر إلى ابى بكر كيف ضحى بنفسه فداء لقومة نبيه وهو فى الغار ، وانظر إلى على كيف يفدى المصطفى وينام مكانه لقتله الكفار ومن هذا امثلة كثيرة ، وآيات وفيرة بين ان من دعوته لسلاح الأخلاق والإحسان خير من الف من الشجعان ، سلاح القوة يقهر لكل الأجسام وسلاح الإحسان يخدم الكرام ، سلاح الشدة يملكك الهياكل اللئيمة وسلاح الإحسان يملكك النفوس العظيمة ، فدفع السيئة بالحسنة إذا

صادفت قلبا سليما اسرته ، وإذا رميت بها رحيما قتلته ، وإذا واجهت بها حكيما وكان من ألد الاعداء صار وليا حميما ، اما النفوس التى جبلت على القسوة والكفر فهى كالاعضاء الفاسدة فى الجسم لا يصلحها الا البتر ، وكذلك النفوس التى فطرت على الكيد والنفاق والختل لا ينفعها الا المحو والقتل ، حكمٌ آلهية وأسرار ربانيه حيرت جميع البرية .

وهنا ندخل فى مشاهد أهل الإحسان لنبين الحقائق لاهل العرفان ، ان الله سبحانه وتعالى اراد ان يصطفى من خلقه قوما يكونون على منهاجه يجملهم بجماله ، ويكملهم بكماله ويزين بهم فردوسه الاعلى ويباهى بهم ملأه الاعلى ، ويجعلهم امثله ظاهرة لاسمائه وصفاته ، ويجعهلم سادة لجميع مخلوقاته ، فاطرهم بالإحسان ليظهر محسنا وامرهم بالعفو والإيمان ليظهر عفوا مؤمنا ، وامرهم بالكرم ليظهر كريما ، وامرهم بالحلم ليظهر حليما وعلمهم العلم والحكمة ليظهر حكيما ، وامرهم بالرحمة بعباده ليظهر منعما رحيما ، فاذا تجملوا بأسماء الحنان والجمال امرهم بالشدة والعذاب ليظهر فيهم شديد العقاب ، وامرهم بقتل المنافقين والكفار ليظهر جبار قهار ، فإذا تجملوا بأسماء الجلال واجههم بأسماء الكمال ، والبسهم حلة من حلل قوله : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا) .

فاذا تجملوا بجماله وتحلوا بجلاله وتسربلوا بكماله ألبسهم حلة الربوبية وواجههم بغيوب اسرار الالوهية ، وتوجهم بتيجان العبودية ورفعهم إلى اعلى الدرجات فى الحياة وبعد الممات ، وفتح له رياض قدسه جنان شهوده وانسه فى حظيرته الكبرى ومقعد صدقه ، بدل عيونهم بالإنسانيه بعيون من نوره فشهدوه ، وبدل علمهم بعلم من لونه فعرفوه وحلاهم ظاهرا وباطنا بأوصافه فوصفوه ، وكساهم ثياب المحبة والشوق فاحبوه وعشقوه ، وكاشفهم بحقائقهم العدمية فوحدوه وعبدوه، فهم العباد ونعم العباد فازوا من الله بالفلاح والمراد وفوق المراد ، وهؤلاء هم صفوة الله فى الأرض والسماء وهم أهل الحضرة فى دار البقاء ، تشتاق لهم أهل الجنة فى الجنة كما تشتاق أهل المحبة للمحبة ، وهم الذين خلق الله الوجود لاجلهم

وانزل كتبه فى رسله من شأنهم ، قال تعالى موضحا ذلك فى الكتاب : (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ) وانى اعجب من عقول لا تفكر فى مراد الله من خلق هذه الأكوان ، ولا تبحث فى ما يريده الرحمن الرحيم وقد بين لنا ما يريد ، ومراده اظهار هؤلاء العبيد وبهم يظهر لجميع العوالم وهو الذى بكل شىء عليم جعلهم له دولة الذات ، وكشف بهم سر الأسماء والصفات واشار فى كلامه منبها : (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا) وجعل رئيس تلك الدولة موجودا ومشهودا فى معنى قوله سبحانه : (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) وجعل الأنبياء قبله به مبشرين والاولياء والورثه من بعده عنه مخبرين ولمقامه العلى واصفين ، وان شئت ان تتحقق من هذا المقام فاقرأ كتب هذا الإمام الوارث الكلى القائم السيد محمد ماضى أبو العزائم ، خصوصا ما كتبه فى الفتوحات فى الصلوات على خير البريات ان شاء الله بمعونته سنشرح قسما منها فى كتاب مقام أهل اليقين والله هو الولى المعين ، ولولا ان هذا الكتاب خاص بمقام الإحسان لدخلنا فى هذا الميدان .

وقبل ان نختم هذا المقام نأتى باجمال يريح العقول والافهام لأن التطيل فيه الكلل ويوجد فى النفوس مرض الملل ، ان مقام الدفع الأحسن فوق مقام الدفع الحسن ، لأن الشئ الحسن له حد ينتهى إليه ، واما الشئ الأحسن فهو اطلاق فى الإحسان لايقيد بحد ولا زمان ، ما من إحسان الا وفوقه أحسن منه وما من جمال الا وفوقه اجمل منه ، وما فى كمال الا وفوقه اكمل منه ، وكأن الله قد فتح لحبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهو ودولته باب الرقى الابدى والكمال السرمدى ، فلا انتهاء لرقيهم ولا حد لإحسانهم ، ولا انتهاء لكمالاتهم ، ففى جماله يترقون وفى كماله يرتفعون ابد الابدين ودهر الداهرين ، فقوله تعالى للمصطفى صلى الله عليه وسلم: (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ) امر له قدره وسر له خطره ووصف له عظمته ، ملكه سبحانه الدفع وهو المالك الذى يدافع ووصفه بأحسن الاوصاف وهو المحسن المعطى المانع ، وما امره سبحانه بتلك الأخلاق الا وقد علم سبحانه انه بها على كل الخلق قد سما وفاق ، وما جعل هذا الامر فى الكتاب يتلى الا لمن اراد له

سبحانه بهذه الأخلاق ان يتحلى ، ففى كل زمان للمطصفى وارثين يمثلون أخلاقه وادابه واوصافه بمعونه الله ، سر قوله تعالى : (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ) . واننا والحمد لله وقد ظفرنا بوارث ممثل لتلك الاداب رحمة وفضلا من الكريم الوهاب ، ألا وهو الإمام المبلغ فى القرن العشرين امام العارفين وملجأ الوارثين ، مولانا السيد محمد ماضى أبو العزائم نسأل الله ان يعيننا على العمل بعلومه والتأدب بأدابه والتخلق بأخلاقه انه هو المعين الهادى لاقوم سبيل .

(اغينه الدفع الأحسن)

فى الدفاع راى شهود جماليا	ظاهرا للروح حال وصاليا
فى سماع الامر (إدْفَعْ بالَّتى)	سرغيب فى القرآن بد اليا
فى الدفاع الحق غيب غامض	فيه نيل الوصل نيل كماليا
(بالتى هى أحسن) المعنى بت	والجمال طوف طى حى باديا
فى دفاعى سيئات عواذلى	حسن أخلاقى فيصلح حاليا
(نحن اعلم) خمره قدسيه	حجة روحيه لبيانذيا
وهو الطهور طالب الاصلاح لى	نورتى فى الكون حال طوافيا
طلق فى كون القصد لا ارتقى	كلها فى الكون سر وصوليا
وهو يأمرنى لادفع بالتى	كى ارقى فوق اعلى عاليا
اذنى مقصوده محبوبه	وهو يأمرنى لارجع صافيا
وهو يرشدنى للطهر عن طورى	من ظلام الطين من أخلاقيا
للحيم يعيدنى برشاده	للعفو لكى انال وداديا
بل يخلقنى بنور صفاته	ثم يشهدنى جمالا غاليا
سر (ادبنى) بقول المصطفى	منهج الوارث بل والاوليا
نهج أهل الحب دولة احمد	نورها بالنور عن طى ساميا
صورة الحسن رمز الاصطفا	صدر التحقق جمع الاصفيا

صفوة الرحمن من ازل لهم　　ثوعه فى القرب فوق علوميا
حاله فى الانس فوق عقولنا　　وجهم فى الحب ذنب فؤاديا
كنت واللوام فى ريب إلى　　ان دعانى للحقيقة ماضيا
صار شكى عين إيقانى فلا　　يحل لى الا سماع ملاميا
صوت الدفع بالتى فى رحلتى　　بل وفى حلى وحال قياميا
صار الاعداء لى من خلتى　　نعمتى ماضى العزائم شافيا
كل رئى فى العداوة شرا لى　　فى العداوة من دوائى دائيا
ثم صار الابرء والدوا　　هو الشفا فما على ولا ليا
كمن فى شك وشرك فى أنا　　دافعا عنى الجناة الاشقيا
ناظر حولى وطولى قوتى　　فى دفاعى والغرور مقاميا
صرت لا حول ولا قوة لى　　بعد توحيدى شهودى ما بيا
صرت سماعا لامر واحد　　لا شريك له النفس هاديا
ناظرا بعيون قرآن الهدى　　والرضا هو بغيتى ومراديا
ثم افقدنى المراد بساطع　　من شروق جماله وفنائيا
عدت توابا به فى نسبتى　　لا وجود ولا عدمت وجوديا
فى مقام الدفع اثبتنى به　　عبد ذات والمقام حلاليا
رب واجهنى بوجهك دائما　　وادم لى مشهدى ومزيديا
كل انفاسى فزدنى قربه　　جار طه فاجعلنه مقاميا
مع امامى والاحبة كلهم　　والعشرة فاستجب لدعائيا
وصلاة على الحبيب محمد　　دائما ببقائه وبقائيا
والسلام عليه من ذات العلى　　بالسلام انال كل مراميا

فمن تجمل بالدفع الأحسن وعفا عن كل من اساء واحزن ، وصفح عن كل من ظلمه وأحسن لكل من أساء وانتقم واعطى كل من حرمه ، نال من الله فضله

وكرمه ، ونال فى الدنيا والاخره الفوز العظيم والفلاح الاكبر فى معية الرؤوف الرحيم .

نسال الله ان يجملنا بجمال اسمائه وصفاته ويحشرنا تحت لواء سيد المرسلين انه كريم لطيف بالمساكين وهو حسبى ونعم الوكيل .

المقام الثالث والثمـانون

((رجال المزيد))

سورة النــور

قال تعالى : (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ . رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ . لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) .

هذه الاربعة ايات قد ضحت فى خلالها رجال المزيد من كل مراد ومريد فى طى ما فى تلك الآيات والاثار من المعانى والأسرار والاشارت والأنوار ، ما لو كانت البحار مدادا والموجودات اقلاما وعوالم الملائكة والانس والجن كتابا ما استطاعوا ان يحصون تلك المعانى حسابا ، ولكننا سنشير اليها فى هذا المقام بالاجمال ونفصل بعض التفصيل عن مقام الرجال الذين تدور حوله تلك الآيات وتقصدهم هذه الاشارات ، فقوله تعالى : (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) ليس المراد نور المحسوسات وانما نور الظهور والبطون نور الأسماء والصفات (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ) .

ولما كان نور الله بعيد عن الأجسام والعقول والافهام أراد الحق ان يقرب الحقيقة بالمثال لأهل العلم والفهم من الرجال ، لأن المثل يضرب ليقرب الحقيقة البعيدة للعقل والخيال ، فمثل سبحانه النور بمشكاة وهو كل مكان مبنوى فيه سر معنوى ، فالكون مشكاة والمعانى مصباح والإنسان بهيكله مشكاة ومعانيه الروحية مصباح ، وهنا يقول امام المحققين مولانا السيد أبو العزائم :

فى المبانى نور اسرار المعانى فاشهدنها كى تجمل بالتدانى

(الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ) أى فى المعانى سر الملكوت وفى سر الملكوت نور التجليات ، وفى نور التجيات سر الأسماء والصفات ، (الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ) أى كأن الزجاجة فى صفائها مثل كوكب منير ، (يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ) أى يستمد الكوكب نوره من اول شجرة الوجود وهو عند العارفين محمد صلى الله عليه وسلم الذى هو اول الخلق وقبضه النور الاوليه التى تشققت منها جميع العوالم الملكية والملكوتيه ، (زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ) شبهها بالزيتون لكثرة بركته ، ومعنى لا شرقيه ولا غريبة يثبت بانها اولية اصلية وليست فرعية لأن الشجرة تثبت من اصلها ثم يتفرع منها فروعها للجهة الشرقية والغربية ، (يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ) أى ان نورها نور زيتى فى اضاءته لا يأخذ بالأبصار ولا يضيء بمس النار ، وهذة اشارة إلى الوسط المحمدى فى حفظه لشريعة الأجسام مع شهوده نور القدوس السلام فلا ضوء الأرواح يفسد الاشباح ، ولا نار شهود الأجسام تفسد نور الأرواح (نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ) أى نور ظهور الظاهر فى المبانى على نور بطون الباطن فى المعانى يهدى الله بهذين النورين من يحب ويختار وهو الهادى العزيز الغفار ، (وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) .

أى وان كل ما ذكر هو فى مقام المثال التقريبى لأهل الحجاب من الناس الواقفين عند الكون الذين لم يشهدوا مشاهد التوحيد العلية ، وكأنه يقول لهم إذا كان كوكبا واحدا كالشمس أو القمر يضئ الوجود ويشع نوره على كل موجود فالله الواحد الذى خلق الخلق قادر على ان يمد جميع المخلوقات بالحياة والممات وبالارزاق والاقوات ، ويمد برسول واحد جميع الأرواح والقلوب والهدايات أو بعبد واحد من العلماء الوارثين لسيد المرسلين بما امد به خاتم النبيين ، والله العليم بجميع الاشياء هو الذى يمد من فى الأرض ومن فى السماء .

(فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ) أى فى امكنه من المبانى كالمساجد أو امكنه من الهياكل فى قلب كل فرد عارف عابد ، رفع ذكرها ورفعت عن

الدنايا والرزائل والشرك وكل فعل منكر سافل ، حتى لم يبق بها الا ذكر الله واتباع منهاج رسول الله ، وهذه الامثلة والاشارات لعباد اصطفاهم الله ورفع قدرهم إلى اعلى الدرجات (يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ . رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ) أى ان هؤلاء الرجال لهم صفات يعرفون بها وهى بغير حصر ولا حد لتعلقها بالله سبحانه ، وقد وصفهم الله هنا بسبعة صفات قد جعلها لهم من اصول العلامات :

اولها التسبيح فى قوله (يُسَبِّحُ لَهُ) ، ثانيها المراقبة والشهود والحضور فى قوله : (لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ) ، ثالثها العابدة وطاعة الاوامر فى قوله : (وَإِقَامِ الصَّلاةِ) ، رابعها النفقة والبذل للاموال فى رضا الكبير المتعال فى قوله : (وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ) ، خامسها وسادسها وسابعها الخوف والرجاء والمحبة فى قوله : (يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ) لأن الخوف يتولد منه الرجاء والرجاء تتولد منه المحبة ، وان شئت فقل التسبيح والزهد والمراقبة والقيام بالاوامر والذكر والنفقة والخوف وغير ذلك من التفصيلات التى ليس له من نهايات ، وفى قوله : (تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ) علوم لا يدركها الا المصطفين الاخيار وهو ان القلوب تتقلب وتتحول من حال إلى حال ، والأبصار تتحول فترى الكبير المتعال بالعيان من غير مثال وتحقق بما كانت تسمعه قبل بالمقال ، وهناك يقول المكذبون : (رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ) حيث لا ينفع المقال ولا تقبل الأعمال ، وفى هذا الأبصار والسماع غيوب وأسرار ذات انواع ، فعين الجسم والحسن والخيال والوهم والعقل والفكر جميعها تتنوع بعيون غير انواعها ، فبعد ان كانت عيون إنسانيه ادميه تكون عيونا نورانيه ربانيه ليتمتع المؤمنون بالنظر إلى وجه الله الكريم وليكون الحجاب بعد ذلك للمكذبين اشد من نار الجحيم .

قال تعالى مشيرا فى كتابه المكنون : (كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) فعلوم الاخرة بحر بلا ساحل عجزت عنه علوم الاواخر والاوائل ، فلندعه إلى قلوب عن الله تتلقى ففهت قوله قول الله : (وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) ونسير فى ما نحن فيه من

يبان مقام رجال المزيد من غير شك ولا ترديد ، قال تعالى وهو المعطى الوهاب: (لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) أى ليجزى الله رجال الاصطفاء أعلى الجزاء الذى اختص به حبيبه المصطفى ويفتح له باب المزيد والفضل والعطاء ، وهو الذى يتفضل على من يشاء بما يشاء بلا عد معدود ولا حد محدود ، لا ينقطع عدده ولا ينتهى مدده ، فرجال المزيد هم السادة الاخيار الذين احبهم العزيز الغفار ، وهم الرجال الذين لا يسأمون من حديثهم فى ربهم ولا يملون من تسبيحهم وتقديسهم ، ولا يقفون عند أى حقيقة من الحقائق ولا أى دقيقة من الدقائق ، ولا عند أى لطيفة من الرقائق فرارهم دائما إلى الله واقتدائهم فى جميع اقوالهم وأعمالهم واحوالهم برسول الله ، ان كاشفهم الله بسر طلبوا سواه ان اطلعهم على غيب قالوا مرادنا الله ، هممهم تعلقت بالعلى الاعلى فلا يستريحون وان رفعهم فوق الخلا والملا ، ان كاشفهم الله بالأنوار طلبوا منها الفرار ، وإن ضرب لهم الامثال تركوها شروقا إلى الكبير المتعال ، وان فتح له حانات العلوم فروا منها إلى الحى القيوم ، وان اشهدهم غرائب الملك والملكوت فروا إلى صاحب العزة والجبروت ، أرواحهم فى المحبة حيرى وعقولهم من الجمال سكرى ، وقلوبهم طلقت الدنيا والاخرى ، ان فتح الله خزائن الارض وكنوزها نبذوها ، وان اباح له الجنان فارقوها وان اجلسهم بمقعد صدق فوق عليين ، قالوا مرادنا الله رب العالمين وهنا يقول سيد العارفين مولانا السيد القائم محمد ماضى أبو العزائم : " من كان الله مراده . كان مقعد صدق وراءه " فمن كان مراده الله هل يستطيع احد ان يدرك نهاية مبتغاه ، لا المطلوب بلا اخر فيكون الطالب بلا اخر ، فرجال المزيد فرت أرواحهم بلا راحة وقلوبهم بلا استراحة ، وهنا يتغنى امام أهل المزيد بهذا المعنى :

لا تستريح الروح فى جمع ولا   فى فرقة حتى تنال الاتحاد الباقى
والاتحاد من المحال بحبها   نزه كمال الذات عن آماقى

وحيث ان كمال الذات الالهية حقيقة سر مدية ومجالات ابدية لا نهائية ، فأهل المزيد بها طالبون وحالهم فى طلبهم ابديون سرمديون ، وعطاء رجال المزيد

بدايتهم من الازل عديمة وحياتهم فى الكون غريبة وأنتقالهم فى البرازخ مدهشات (وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا) وقيامه من قبورهم ايه الآيات لنورهم يسعى بين ايديهم وبإيمانهم وهم لا يقنعون ، يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا فأى نور يطلبون ، وأى غفران يستغفرون بعد ان عمتهم الانوار من كل مكان واشرقت بين ايديهم أنوار الحنان المنان ، وقد جاء فى اثار الاوائل عجب ربك من قوم يجرون إلى الجنة بالسلاسل يقولون قدر تركنا الجنان فى دار الاحتياج والحجاب فكيف نشغل بها بعد ان كشف النقاب هؤلاء الرجال يظهر الله منهم فى كل زمان ويجعل منهم خلفاء للنبى عليه الصلاة والسلام ، يبلغون رسالات الله ويدعون الناس إلى الله ، وهم مشكلة عويصة ورمز قد حير العالم فمن الناس من انكرهم ومنهم من طلبهم وجهلهم ، ومنهم من وقف عند من مضوا وأنتهت دولتهم ومنهم من ادعى حالهم ومقامهم وهو ليس أهل لذلك فضل أو اضل غيره ، ومنهم من قال ان الخير قد انقضى ولم يبق من هؤلاء الرجال احد ابدا ، ومن الناس من تعصب للسابقين ولم يخضع للمعاصرين القائمين ، وانى قبل ان اترك هذا المقام استعين بالملك العلام على بيان هذه المشكلة التى فرقت وحدة المسلمين ومزقت أنصار سيد المرسلين .

يا اخا الإحسان ان نظام الرحيم الرحمن فى كل عصر واوان لا يتغير ولا يتبدل ، فكما انه سبحانه كان يقيم فى كل عهد رسولا أو نبيا كذلك يقيم فى كل زمان وارثا أو وليا ، بعد ان ختمت النبوة بسيد المرسلين فاذا اقام وارثا ودعا الناس بعلومه واسراره وحكمته ورحمته وانتقل هذا الوارث إلى الحياة البرزخية قامت من بعده دولته تنشر علوم بين الناس وتدعو الناس إلى اعتناق مبادئه وتعاليمه فيجب على كل مسلم ومؤمن ومحسن وموقن ان يؤيد تلك الدولة وان يناصرها بكل ما اوتى من قوة ، ويترك كل ما كان عليه من اتباع لوارث سابق أو ولى صادق بل يلزم كل من كان فى سبيل من السبل أو على يد أى معلم أو شيخ طريق ان يترك سبيله ويدخل تحت لواء تلك الدولة القائمة وعلامتها العلم والحكمة والحال ويكون افرادها ودعاتها حجة زمانهم لا يقهرهم احد من الناس ، ان جاءهم عالم قهروه

بالعلم وان جاءهم حكيم قهروه بالحكمة ، وان جاءهم ولى سلبوا حاله بحالهم المحمدى واذلوه وارجعوه للعبودية ، وهذا سر قول المصطفى عليه الصلاة والسلام : ((لا تزال طائفة من امتى قائمة على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى ياتى امر الله وهم على ذلك)) ، وسر قوله الله تعالى : (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ) وغير ذلك من الآيات والاحاديث .

واكبر غلطة واشر فتنه وقعت المسلمون فيها هى هذه الفتنه تقوم دولة الحق للدعوة وعلى رأسها وارث من وراث النبى صلى الله عليه وسلم ، فتقف فى جهه أنصار الوراث السابقين ، واتباع الأولياء الصالحين ، ولم يعلموا هؤلاء المساكين ان دولتهم قد انتهت واصبحت دولة غيرهم لأن الله لا يظهر اماما فى أى عصر من العصور الا بعد ان تنتهى دولة الإمام الذي سبق ولم يبق منها رجل واحد ، وفى عصرنا هذا قد اظهر الله الإمام الارث والفرد القائم إمامنا ومرشدنا السيد أبو العزائم ، فكانت السنة بعينها قامت فى وجهه رجال الطرق واتباع الأولياء كل يدعى انه هو الدولة وان امامه هو الذى يجب ان يقتدى به الناس ، وإذا سئلوا بلسان القرآن : (هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا) اعرضوا عنا وولوا الادبار صاغرين لأن الحق سبحانه إذا اقام إمام ايده بالعلم والحجة والبرهان والأسرار والأنوار ، وهذا الإمام يمد أنصاره بتلك المواهب ليجمعوا بها اهل الإيمان على كوثر القرآن ويبيدوا ظلام الظلم والضلال والاثم والبهتان ، لأن الله لا يظهر الإمام الا بعد ان تظلم الأرض بمن عليها وتضرب الجاهلية اطنابها .

ها هى الجاهلية ظاهرة بعينها سفور نساء وخمر وميسر وتفرقة بين الناس ، وكرب وحرب وارتكاب الزنا ومعاملة الناس بالربا ، وغير ذلك مما لا يحصى والحق لا يظلم الناس مثقال ذرة فإذا وصلوا إلى هذه الحالة وفشت فيهم الجهالة وهجمت عليهم سحب الضلاله يبعث الله الإمام سر قول النبى عليه الصلاة والسلام: ((ان الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لامتى امر دينها)) ، وهو سبحانه هو الذى يتولى نصرته ويجمع عليه دولته ، وهو جل جلاله هو الذى ينير له السبيل ويهدى له الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ،

ويكون فى عصره هو الحجة على الخلق سر قول الإمام على عليه السلام : " لا تخل الأرض من قائم لله بحجة " فمن سلم له يسمى مسلما ومن أمن به يسمى مؤمنا ومن تلقى علومه وأسراره يسمى محسنا ، ومن شرب من بحر تمكينه فى المقامات العلية والدرجات اليقينيه يسمى موقنا ، ومن كذبه أو حسده أو عاداه كان من المبعدين .

فرجال المزيد فى كل زمان هم أنصار الله الذين يناديهم جل جلاله بإمام يتلو عليهم قول الله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ) فمن قام معهم صار منهم وإذا صار منهم ادخلوه رياض المعارف وشهود اللطائف ، واوردوه موارد الصفا واوصلوه إلى معية المصطفى ، نسأل الله ان يجعلنا من أهل المزيد انه فعال لما يريد .

(نشيد أهل المزيد)

أهل المزيد لهم حال به عرفوا ... بالعلم والصدق والإخلاص قد وصفوا

أنوارهم تشرق فى الكون ظاهرة ... بأسرارهم خفيت بالغيب قد صفوا

فروا إلى الله من دنيا وآخرة ... شوقا إليه بحال السر ما وقفوا

أهل المزيد هم الأفراد بغيتهم ... نيل الصفا والوفا بالعهد قد وفوا

وفى لهم ربهم علما ومعرفة ... فضلا وقربا وإحسانا وما عطفوا

مرادهم وجه فى كل آونه ... لاحت لهم كل آيات وما عكفوا

ومالهتهم تجارات ولا بيع ... عن ذكر مولاهم والخوف ما انحرفوا

قد لاح خوفهم فأباح حالهم ... والحب راعيهم حتى به تلفوا

مالوا عن الملك والملكوت لا شرقا ... مالوا ولا غربا بالله قد كلفوا

بالأمر كلفهم قاموا به طوعا ... وبعد طاعتهم بالعجز قد اعترفوا

سلوا وصلوا بذكر الله فاحتجبوا ... سلوا التشوق وصلا منه قد سعفوا

فى كل آن تقلبهم وصلا يقربهم ... ويطلبون مزيدا بعدما عرفوا

زان الحبيب بلا حد ولا كيف ... كيف السلو لهم من بعد ما شرفوا

وكيف يرضون بالأعلين منزلة ... بعد الشهود ومن لوجهه قد ألفوا
(الله نور) تجلت في سرائرهم ... بها رأوا وهو بالمحبوب قد شغفوا
أنوار مصباحهم كل الوجود وهم ... في خلوة القلب والمحبوب معتكف
نور على نور يهدى الله طالبهم ... بنورهم وهو للإجلال والشرف
فهكذا صور رجال للهدى يدعو ... لله بالله بالالطاف قد حفوا
فمن علاماتهم علم ومعرفة ... عن ظهر قلبهم الأنوار والطرف
ونورهم يسعى من بين أيديهم ... في المقل وفي أحوالهم تحف
يقودون بها العطشى إلى المولى ... ويسعفون بها من حالة الدنف
فقر من كل شيخ لم يكن منهم ... فكل شيخ إلى الدرس هم يجفو
لا تأمنته على دين ولا شيء ... لأنه فى هواه حتفه التلف
والحذر فكل جهول يدعى فضلا ... ولم يؤيده هذا الحال والوصف
علم وحلم وعفو فيه معرفة ... زهد ووجد مغزم دنف
أخلاق طه على أحواله تبدو ... وطه صحب وللآل والاتباع والسلف
هم ليقوم الشيخ إن الحبيب تعرفه ... أو كنت تجهل وصف الشيخ فالعرف
يخفى عليك بأن تسأل أولى الذكرى ... والذكر والخضع لهم ويرهم فقف
وزن أولى الذكر بالقرآن واجعله ... هو الدليل هو البرهان والوصف
وكل من خالف القرآن لا ترجو ... هدى فهو فى بعد ولا يخفو
أهل المزيد بحار فى علومهم ... أهل المزيد من القرآن يغترفوا
لمهم وراث المختار يرشدهم ... وهم على نهجه فى سيرهم يقفوا
من قال منهم ولم يعمل فلا تأمن ... والحذر مقالة المنتهين الحتف
والجأ إلى الله فى سر وفى علن ... متى اضطررت وما فى النور والكشف
وصلى دوما على طه الحبيب بها ... طهر الهدى والرضا والمجد والشرف

وكما ان الله سبحانه لم يخل الأرض من أهل المزيد ، ومن إمام يكشف ظلمه الشك والجحود والضلال والترديد ، كذلك لا تخل الأرض من ادعياء ومن دجاجلة لهم

احوال كأحوال الأولياء ، يتشدقون بحكم من حكمهم ويسترقون من علومهم واشاراتهم ولكن لا يصبرون على التمسك بشرع نبيهم ، تعرفهم عندما تخلو بهم ، وتبسط الحديث بينك وبينهم ، فاذا امنوا منك وتحققوا انهم ملكوك بغشهم وكذبهم وزخرف قولهم هدموا لك حصون القرآن وحصرو لك سنة النبى العدنان ، وصغروا لك شرع الرحيم الرحمن وقالو ان هذا عمل الاطفال ، وادعوا انهم بلغوا مبالغ الرجال ، فاذا ظهروا بهذا فاعلم انهم أنصار المسيخ الدجال وأهل المزيد كلما اقربهم الله حافظوا على اوامره وكلما رفعهم لاعلى الدرجات حرصوا على طاعته وامتثال حكمه ، وكلما كاشفهم بالحقائق تمسكوا بشرعه وسنة نبيه لأنها الحصن الحصين والمقام الامين ، فمن تساهل فيها فهو زنديق ويهوى فى بحر من الضلال عميق .

فالداعى إلى الله من أهل المزيد لابد ان يكون معاصر الإمام أو معاصر لمن عاصره وصاحبه أو تابعا لامام لم يظهر بعده امام بشرط ان يكون على بينة ونور وبصيره ، عارفا بأمراض النفوس وسر علاجها بصيرا بالحكمة عارفا بالموعظة متمسكا بالسنة حريصة على الشريعة ، قائما على دولة لم يظهر بعد إمامها إمام فإذا ظهر إمام فيه علامات الأئمة السابقين ، فتح الله على يديه قلوب المريدين وأشرقت على يديه شمس سيد المرسلين وجب على كل مسلم أن يسلمه القيادة ويعترف له بالسيادة وأن كان لا يحبها ولا يطلبها اعترافا بفضل الله ، وأدبا مع رسول الله ، والله أسأل أن يجمع المسليمن على صورة الإمام حتى يعود مجد الإسلام ، ويعم الأرض السلام أنه مجيب الدعاء .

المقام الرابع والثمانون

((أحسن المقيل))

سورة الفرقان

قال تعالى : (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلا) .

المقيل هو المكان المعد للاستراحة فى وسط النهار من الحر والهجر ، ولما كانت كل صورة فى الدنيا تشير إلى صور كثيرة فى الآخرة بحسب مراتب الموجودات وحقائق الكائنات مبنوية كانت الصورة أو معنوية ، فهناك مقيل للأجسام تستريح فيه ومقيل للأفكار ومقيل للخيالات والأوهام ومقيل للفصول والأروح ومقيل للنفوس والقلوب ، وكل حقيقة فى الإنسان بشرية كانت أو روحية لها مقيل يناسبها في أدوارها وأطوارها الأولية والدنيوية والأخروية ، فمقيل الجسم فى الدنيا راحة فى بيت صحي كامل نقي الهواء فيه جميع ما يحتاجه الجسم من ضروراته وكمالياته ، وفى الآخرة مقبل للجسم فوق متاع الدنيا وقصور مشيدة ومساكن يعجز عنا الواصفون ، وقد وصفها القرآن الكريم وصفا بليغا أغنانا عن كل وصف بعده وأما مقيل الخيال فهو استراحتة للمناظر الجميلة المنسقة والجنان والبساتين المحدقة .

وأما مقيل الوهم الإنساني فراحته فى السياحة فى لذيذ المعاني ، وأما مقيل الأفكار فهو البحث فى آيات الله الظاهرة فى طي الآثار ، وأما مقيل العقول فهو التلذذ بحقيقة آيات الأصول ، وأما مقيل النفوس المطمئنة فهو الدخول فى حظيرة قدس الرحمة ، وأما مقيل الأرواح فهو شهود وجه الكريم الفتاح ، وأما مقيل القلوب فهو التمتع بأسرار علام الغيوب ، وهناك مقيل فوق ذلك للأسرار والغيوب والخفا والأخفى وفوق ذلك مقيل لكل عبد تجاوز المقامات وفر من جميع الموجودات ولم يرض إلا بحضرة الذات الأحدية ، وهذا المقيل بيانه من المستحيل لأن مقيل عبيد الذات فوق الحقيقات والعبارات والإشارات ، مقيل دنا فتدلي فكان قاب قوسين أو وأدني فأوحي إلى عبده ما أوحى وهنا نطوي بساط البيان حيث قد أبهم القرآن.

ولنعد إلى بيان أحسن المقيل على قدر ما تدركه الأفهام والعقول فقوله تعالى : (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ) أي من ملكهم الله الملك الكبير فى الأخرة فلا ينزعه منهم فهو ملك سرمدي أبدي وعطاء رباني إلهي ، والعطاء على قدر المعطى وما قدروا الله حق قدره ، والآخرة هى دار تعطلت فيها جميع الأسباب والأعمال البشرية وظهرت فيها قدرة رب البرية فالاستقرار (يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا) ، لأنه مسكن أبدعه وشيده ونظمة وأتقنة وهندسة القدير الحكيم وهذا أكمل وأجمل ، (وَأَحْسَنُ مَقِيلا) لأن فيه بهجة الأجسام وبجهة الأرواح وبهجة القلوب والأشباح ، وأحسن مقيلا وأعلى وهو المقيل الذي يكون فى الخطوة الكبرى لدى الحبيب المصطفى مع أهل الصفا والوفاء من العبيد المخصوصين المحبوبين المطلوبين المرادين لله رب العالمين الذين أصطفاهم لذاته ، وصفاهم لشهوده ومناجاته وأباح لهم النظر إلى وجه الكريم وكشف لهم الحجاب وأدخلهم قدس الجناب وأفاض عليهم بحار أنسة، وكساهم من أنوار جمالات قدسه أعطاهم عيون نور منه بها نظروه وجملهم بسر السميع فسمعوه وبسط لهم رفرف القرب وجذبات الحب فوصلوا إليه فوجدوه، فشغلوا به عن الجنات والبساتين وأنسوا بذاته عن ذات الحور والعين ، وكيف لا ومنه سبحانه كل جمال ومنه جل جلاله كل أنس وكمال ، والعقل يحكم حكما لا مراء فيه أن من وصل إلى الأصل نسي الفرع وما يحويه .

وهنا يكون أحسن المقيل عندما يظهر الجميل الجليل وتقع عين الخليل على الخليل ، وعند ذلك يكون أحسن المقيل مقيل وصفه العلى الكبير ومدحه في محكم التنزيل ، مقيل تفضل به المحسن جل وعلى منحه لأهل الدرجات العلا وخصه لمخصوصين من المحسنين العارفين الواصلين ، مقيل أعده للنبين والصديقين والشهداء والصالحين وهؤلاء لهم فى الدنيا علامات يعرفون بها من بين المخلوقات ، فمن علاماتهم الحب فى الله والبغض في الله والصدق في طاعة الله والصبر على قضاء الله ، والدعوة لدين الله والرحمة على خلق الله والجهاد فى سبيل الله ، والعمل بكتاب الله والزهد فى كل فان والتخلق بأخلاق الرحمن ، من علم وحلم وعفا ولطف ورحمة ورأفة وإحسان ، درسوا القرأن فعلموا ظاهره

وخافيه وعملوا بكل أحكامه وما فيه ، بحثوا سيرة النبي الخاتم وعرفوا أخلاقه التى كان بها قائم فتخلقوا بأخلاقه وتأدبوا بآدابه وساروا على منهاجه ، وعرجوا للحق على معراجه ، أقاموا شريعته وأحييوا سنته ورفعوا رايته وبلغوا دعوته جملوا ألسنتهم بأقواله وكملوا أجسامهم بأعماله وحلوا سرائرهم بأحواله فتبدلت صورهم بصورته وبواطنهم بحقيقته فأصبحت هياكلهم محمدية وقلوبهم نبوية وعلومهم ربانية ، من رآهم ذكر الله ومن جالسهم فإنما يجالس رسول الله ، تسبق أنوارهم أقوالهم ، من جائهم مستغفرا من الذنوب شاهد أنوار علام الغيوب ، من صاحبهم بصدق وإخلاص رقا إلى مقامات الخواص ، لهم أقوال صادقة وبصيرة خارقة يكتشفون بها أمراض النفوس ويداونها بداء الملك القدوس ، فإن رأوا عالما مغرورا بعلمه أو عابدا محجوبا بعمله أو قانتا يائسا بذنوبه أو آمنا متساهلا برجائه مستهترا بأوامر ربه أو شاكا فى دينه محجوبا بكونه أو جاحدا لأحد عن طريق نجاته أو مفتونا بزخرف حياته ، أو داعيا ضالا فى سيره أو متحيرا فى شأنه وأمره أو غير ذلك من أمراض النفوس التي لا تحصى والبلايا التى لا تستقصى ، وعلل الصدور التى على سواهم تخفى شخصوا بمعارفهم الداء ووصفوا له الدواء قال تعالى : (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآَنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ) لأنهم الرجال القرآنيون والعلماء الربانيون وهم فى الدنيا أبدال الأنبياء والمرسلين فى كل جيل ، وفى الآخرة فى أحسن مقيل .

فأهل المقيل الأحسن فى الجنات درجات فوق درجات ومقامات فوق مقامات ، فمنهم من مقيله جنة النعيم ومنهم من مقامه جنة المأوى ، ومنهم من مقامه الفردوس الأعلى ومنهم من مقامه مقعد صدق عند مليك مقتدر ، ومنهم من مقامه الخطوة الكبرى وغير ذلك من المقامات التى لا تنتهى فى دار الأخرى لأن المطلوب هو الله وهو بلا نهاية فتكون المقامات بلا حدود ولا غاية وكل مقام له مقيل وكل مقيل له طريق وسبيل (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) .

وقوله تعالى : (أَحْسَنُ مَقِيلا) تفيد عدم النهاية لأن لفظة أحسن معناها أن كل أحسن فوقه أحسن منه وأحسن المقيل من عطاء الله وإكرامه ، وحاشا أن يكون لعطاء المعطي حدود أو لإكرامه منع أو حدود بل هو سبحانه معطى على الدوام ، كريم على مدى الأيام والأعوام فى البداية والختام .

((أغاني أحسن المقيل))

رأت معاني مقيلي أحسن تنزيلا ... وأنظمه عقدا فريدا منه تنزيلا
منه استمد بيان اللفظ والمعنى ... من باطن الغيب إحكاما وتفصيلا
وأفقه مراد كلام لا مثيل له ... قد أعجز الكل اتقان وتجميلا
فى آية حكم فى نظمه علم ... فى باطن الظاهر والغيب تكميلا
اليوم أكملت ضاق الكون أجمعه ... عن شرحها وغدا بالعجز مشمولا
فى آية (أحسن) والجنات مظهرها ... وعد المقيل ولا للوعد تبيدلا
ووعد ربي حقا والمقيل لمن ... قد أحسن القول والأعمال تمثيلا
يمثل المصطفى فى كل آونة ... قولا وحال وأعمالا وتوكيلا
لولا الكمال لضاع الدين أجمعه ... وهى الوارثه جيلا بعده جيلا
أهل العرفان والإحسان فى أعلى ... رتب المقيل مقاما عاليا وتفضيلا
ربت المقيل بلا حد ولا كيف ... وهكذا والفضل فضل الله تبجيلا
حسن المقيل بإحسان الكريم بدا ... لمحسنين شهود بل وتحصيلا
أهل الشهود رأوا وصلا بالوجود به ... فى كل حال ولا يبغون تحويلا
مقبلهم عند مولاهم به انسوا ... والعاشق الودود لهنا ومقبولا
قد فاز بالقرب العشاق طاقته ... بأحسن الملك تولية وتوصيلا
بوصلهم قد رقوا أعلى المقيل فهم ... فى حضرة القرب أنسا بعده قيلا
حديثهم فى مقبل عند بارئهم ... فوق العقول فلا يرضون تبديلا
ايا مقيلا بجنات الشهود ادر ... راح لطفا كأى رأى فى الكون تفصيلا
فأشواقى إلى حسن المقيل غدا ... فوق الاطاقة تحليلا وتأويلا

فوصف ربى فوق الكتف لكى عبد هو ع احب الحبيب تخليلا
ليطمئن فؤادى بعد ان يرآى خليلا ربى سآلا ومسئولا
ليامقيلا بدرا القمر فى بدنى بنور وجه بدا أعجزت معقولا
ويامقبلى (دنا) من بعد سلب أنا حويت أنى القطالالا وترتيلا
ويامقيلا (بأو أدنى) و(ما يغشى) نزل القشا بالموت شوقا وتبتيلا
فكم مشوق بها بعد التهود لها موسى الكليم أهل طورا مرسولا
ايا مقيلا بذات لا مثيل لها طه الحبيب بها عبدا ومحمولا
مقيل طه نهايات المقام لدى ذات الاله فخل القال والقيلا
خذنى الهى لديه فى المقلى له عبدا الكون لدى المختار مقبولا
وصل ربى عليه كل اونه صلاة ذاتك اجلالا وتكميلا

فأحسن المقيل من وصف العلى القدير ومن عطاء الكريم الكبير ، وكل امر تعلق بالله لا اخر لمنتهاه فكل انسان فى الوجود له مقيل فى بدايه خلقه وفى اطوار نشأته فى كونه ، وحال تطوره فى ادوار تلوينه وتكوينه ، وحال انتقالاته من حصرة العلم إلى حضرة العهد والانفصال ، إلى كون الظهور والظلال إلى تجلى الجمال والجلال والكمال ، إلى برزخ الرحيل والانتقال إلى الخروج من القبور إلى البعث والنشور إلى الاستقرار فى نهاية المراحل فى دار القرار ، وهناك يكون نهاية الرحيل واخر المقيل وكل فرد من عوالم التكليف له مقيل ومستقر عند الواسع اللطيف ، فأصحاب الجنة خير مستقر وأحسن مثيلا وهم فى المستقر والمقيل درجات كما سبق من البيانات ، واعلى واسمى وارفع وأحسن مقيلا هو مقيل العبيد الذاتيين الذين صبغوا بأخلاق سيد المرسلين ، فهم صفوة الله وأهل القرب لدى الله وامامهم فى هذا محمد رسول الله ،

اسأل الله بهم وبه ان يجعلنا منهم ولديهم انه كريم معط وهاب سميع قريب مجيب.

المقام الخامس والثمانون

((أحسن التفسير))

سورة الفرقان

قال تعالى : (وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) .

التفسير فى اللغة هو البيان والشرح والتفصيل والتفهيم بقدر ادارك السامع قال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) وأحسن التفسير كلمة لها ما لها من المقام لأنها صادرة من الملك العلام العليم بقوة المدارك والأفهام قبل أن نترك هذا المقام ، نأتي بما حدث فى دائرة التفسير بعد عصرالنبي البشير النذير ونشير إلى قليل من بيان السابقين حتى يكون المقام شاملا لأطوار المفسرين ، أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وجعله آلة ومظهر للبيان لأن من صفات الحق الظهور وقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يظهر بلا مثيل وظهوره بذاته لمخلوقاته مستحيل فأظهر الإنسان وجعله سراج نور التبيان ، قال تعالى : (الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) فأول إنسان هو آدم عليه السلام حيث علمه الله الأسماء وجعله أستاذا مبينا لملائكة الأرض والسماء فعلمهم ما لم يكونوا يعلمون وفسر لهم غيبا كانوا يجهلون ، ولم يزل آدم عليه السلام أستاذ التفسير والبيان حتى أخذ ما له قدر من الزمان ثم توارت الأنبياء والرسل من بعده مبشرين ومنذرين ومبينين ومفسرين وداعين قومهم إلى الرحيم الرحمن بلسان التفسير والبيان ، وكل نبي أو رسول كان يدعو قومه بحجه أو مثال إلا آتاه بأمثله من الجدل والضلال ، حتى جاء أوان إشراق شمس الحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة ولسان البرهان القاطع والسراج المشرق اللامع والإيمان العالمي الجامع سيد العالمين ورحمة الله للخلق أجمعين جاء صلى الله عليه وسلم والعقول قد نضجت والفصاحة على قمة المجد قد جلست ، والبيان والتفسير قد تغنى به رجل الصحراء والبعير فكانت العرب تعيد الفصاحة وتقدس أمراءها ، وتعظم البينات وتفضل شعراءها وما هذا إلا شعاع ضياء البيان المنبعث أمام شمس

القرآن ، لأن كل نور يسبقه شعاع وكل عطاء يسبقه متاع ولما سطعت شمس القرآن ولفحت حرارتها أهل الفصاحة والبيان خارت قواهم البيانية وعجزت فصاحتهم التفسيرية ، فقد عارضهم بأقصر صورة من كلماته فعجزوا جميعا عن مجاراته وجنحو إلى طرق الخيال وسبل الضلال يختلقون بالباطل سوء الأمثال وكل مثال يأتون به لينتصروا يجيئهم الله ببيان الحق واضحا فيخزلوا ، قال تعالى تثقيفا للعقول وتنويرا : (وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) .

وعلى هذا تكون الأمثلة على قسمين : أمثلة تضرب للتضليل ولبس الحق بالباطل . وأمثلة تضرب لظهور الحق الكامل ، والأمثلة فى وضعها الأصلي تقرب البعيد وتصوره التصوير الكلي ، والتفسير تفسيران تفسير للإنسان وتفسير للرحمن ، وتفسير الإنسان مهما علا فى البيان وبلاغة الكلام فهو في عجز عن كشف اللبس والإبهام ، وأما تفسير الرحمن الرحيم فهو أوضح من شمس النهار لكل عقل صحيح وقلب سليم ، جلس القرآن على عرش البيان وأفلت بظهوره كواكب البلاغة ونجوم الفصاحة من بني الإنسان وسارت المؤمنون فى الصدر الأول من الإسلام تتنغنى بنغماته القدسية بين الأنام ، وهم فى غنى عن التفسير لأن الذي فسره اللطيف الخبير حتى تلوثت العقول بالشهوات وملأت القلوب بالنزوات فأولوه على حسب أغراضهم وفسروه على قدر أفهامهم ، ومن أحسن من الله تفسيرا .

ففريق من المفسرين فسروه من جهة اللغة وفريق فسره من جهة الملك وآخر نحا نحو الملكوت وغيره من جهة الآيات ، وسواه من جهة التجليات ، ومنهم من فسره من طريق الروحانيات ، ومنهم من نحا فى تفسيره ناحية الالهيات ، فالمفسرون فى دائرة الملك انقسموا اقساما كثيرة : فمنهم الجماديون . ومنعم النباتيون . ومنعم الحيوانيون . ومنهم الجغرافيون . ومنهم الفلكيون . ومنهم علماء الطب وغير ذلك من العلوم التى لا نهاية لها فى دائرة الملك الظاهر ، واما علماء الملكوت فبحثوا فى باطن المعانى والاشارات وما فى الأرض والسموات من آيات ، فمنهم من بحث فى النفوس واشكالها والوانها واختلافاتها ومنهم من بحث فى حكمة الشرائع واحكامها ، ومنهم من بحث فى عوالم العلويات وارتباطها بعوالم السفليات ، ومنهم

من بحث فى علوم البداية وتطورات الخلق وتلونات الكون من حال إلى حال وحكمة إقامته على هذا المثال ، ومراد الله من هذا الوجود وتغييره من نظام دينوى إلى نظام اخروى ، وبحثوا فى اقامة النفوس الادمية وسر تجانسها واختلافاتها العالمية وان لها امراضا لا تحصى وعلل لا تستقصى ، فنقبوا فى تلك الامراض واخذوا من دواء القرآن لها شفاء ، وهم أهل الصفوة من عباد الله الوارثين لعلوم رسول الله الذين اتقوا الله فعلمهم الله ، وعلى هذا يكون القرآن بيانا لكل طبقة من الطبقات وهاديا لكل هيئة من الهيئات ومفسرا لكل إنسان بقدره ، ومخاطبا لكل فرد على قدر عقله ، فهو يخاطب الطفل فى طفولته والامى فى اميته والشاب فى شبابه والشيخ فى شيخوخته ، والرجل فى قوته والعقل والمثقف فى ثقافته والفكر فى سياحته ، والروح فى صفائها والنفوس فى اطوارها والوانها وأهل الفصاحة فى فصاحتهم والفلاسفة فى فلسفتهم ، وكل أهل علم فى علومهم وبحوثهم .

ومن أحسن من الله توضيحا وتفسيرا خلق الخلائق وهو اعلم بكل الحقائق ، خاطبها وكلمها خطابا بقدرها يناسبها ، خاطب الطفوليه والاميه بقوله فى مسأله حسابيه وفى بيانات شاملة : (ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ) ، وفى مسألة اخرى اظهر فيا تفسيره وتنزله (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) ، وغير ذلك من التفصيل والتفسير الذى يتمشى مع الصغير والكبير ، ولكن مع الاسف الشديد ظهر فى عصرنا هذا علماء جهلوا رحمة رب الأرض والسماء ، فحرجوا على الناس فهم القرآن ، وقالوا ان كل من فسر من العوام والاميين شيئا من معانى القرآن المبين صار من الكافرين ، وجهلوا هؤلاء المساكين ان ارحم الراحمين يخاطب بالقران كل العاليمن ، ولا ادر ما الذى صدى بهم إلى هذا الا انها نزعة شيطانيه لتحول بين القرآن وبين الامة المحمدية ، جاء القرآن مخاطبا لقوم صحراويين جاهليين صنميين قد انحطوا إلى اسفل سافلين ، فما ان باشر اسماعهم وتلقته مداركهم وافهامهم الا وصاروا به علماء ربانيين وفلاسفة روحانيين ورجالا أخلاقيين ، ولم

يكن فيهم مفسرون ولم يكتب لهم الفخر الرازى ولا بين لهم القول الصريح من المجازى ، ولا بين له الشيخ الخازن السر المبهم الكامن ، بل كانوا يتلقونه فيفهمونه فيعملون به فيفهمهم الله ويعلمهم مراده ومن أحسن من الله تفهيما وتفسيرا.

وانى قبل ان اختتم هذا المقام انادى بنى الإسلام ان خير فهم لايات القرآن وخير تفسير لمعانى الفرقان هو سماعه والعمل بظاهره المعروف المبين الواضح بدائرة الحروف ، وبعد العلم بتلك الاحكام الظاهرة وتقوى الله فى السر والعلانيه يعلم ان أهل التقوى معناه وسره الاخفى ، فكم سمعنا فى التاريخ وكم رأينا فى عصرنا وبين ايدينا رجالا اميين نطقوا بأسرارا القرآن المبين وصاروا ائمة لأهل التفسير وقادة لعلماء التعبير والله على كل شىء قدير ، ومن أحسن من الله تعليما وتعبيرا وأحسن التفسير ان يفسر القرآن بالقرآن ، لأن القرآن محكم ومفصل ومشروح ومجمل ، قال تعالى : (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) ، فالحكيم هو الذى فسره والخبير بقدر فهم العباد هو الذي بينه . قال تعالى : (حم . وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ) وحاشا ان يكون فوق بيان الله بيان أو أحسن من تفسير الخبير تبيان وهو الرحيم (الرَّحْمَنُ) الذى (عَلَّمَ الْقُرْآنَ) (خَلَقَ الْإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) قدر الحق جل جلاله ان يعل القرآن محاورات . ويقسمه فصولا وايات وينزله نجوما بحسب الوقائع فكان اوضح من الضوء اللامع ، من صغا له بسمع شهيد وتدبر اكيد فتح الله له بابا الفهم ومنحه نور العلم ، قال تعالى وهو الفعال لما يريد : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) فترى علماء القلوب لهم فى فهم القرآن عجائب وفى تفسير آياته غرائب ، يتفجر له من معانيه مدهشات ومن أسراره حقائق بينات ، لو سألتهم عن ما فى الأرض والسموات لاخرجوه لك من باطن الآيات .

وكم جلسنا بين يدى الإمام القائم مولانا السيد محمد ماضى أبو العزائم وسمعنا أسرار القرآن وكيف انه قد حوى جميع ما فى الأكوان ، وصدق رسول الله حيث قال : ((فيه خبر من قبلكم وخبر ما بعدكم)) ، وصدق الله العظيم حيث يقول :

(مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) ، ويقول سيدنا على بن ابى طالب : " لو ضاع منى عقال بعير لوجدته فى القرآن " .

بين لنا امام هذا الزمان جميع الاحداث العصرية وجميع المخترعات الغربية والشرقية من الآيات القرآنيه ، فعندما رآى آلة الرفع التى يعبر عنها (بالفلت) أو (الاسانسير) قال صدق الله العظيم : (وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) ، وعندما رآى تحقيق الشخصية قال سبحانه من جمع كل شىء فى الآيات القرآنيه (بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ) ، وقد كتب فى الاحداث الحربية والتقلبات الدولية قصائده الجفرية التى تحقق اكثرها ووقع اغلبها ، ونحن للآن ننتظر وقوع باقى تلك الانباء الجفرية التى اقتبسها الإمام من باطن أسرار الآيات القرآنيه ، وان شئت أيها المحسن ان تزداد يقينا فاطلب تلك الاسرار من تلاميذه الخواص واطلع عليها تعلم ان القرآن ما ترك صغيره أو كبيرة الا احصاها .

القرآن . وما ادراك ما القرآن . فيه علوم البدء وبدء البدء ، وعلم التكوين وأسرار التلوين ، فيه معرفة الأول والاخر والظاهر والباطن ، فيه علوم النشأة الملكوتيه وعلوم النشأة الملكية ، فيه علم التحليل والتركيب وعلم السلب والجذب ، فيه كل العلوم الدنيوية والعلوم البرزخية والعلوم الاخروية ، وكيف لا يكون وهو كلام من يقول للشئ كن فيكون ، فمن اطلعه الله على أسرار القرآن وعلمه التفسير والبيان اخبر عما يكون وما قد كان ، ومن أحسن من الله تعليما وتفسيرا ولو اردنا ان نتكلم عن ما سمعناه من أسرار القرآن من إمام هذا الزمان السيد محمد ماضى أبو العزائم لانتهى الاجل ولم تصل إلى قطره من محيطه فارجع لتفاسيره النظمية والنثرية ترى عجائب التفسيرات الربانيه ، نسأل الله ان يجعلنا ربانين كما قال فى كتابة المبين : (كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ) فمن لم يتلق تفسير القرآن المبين من العلماء الربانيين عاش ومات وهو بالقرآن من الجاهلين ، ومن تعلم من العلماء الربانيين تفسير القرآن كوشف بأسرار الأكوان والالوان والزمان وعلم عظمة العظيم الرحيم الرحمن ، نسأل الله ان يعلمنا تفسير كلامه ويشهدنا أسرار تبيانه انه مجيب الدعاء .

(سر أحسن التفسير)

سر التفاسير من بدء البدايات ... إلى الظهور إلى رتب النهايات
عجائب صورت من بطون المعنى ... للحس والمبنى رمز الاشارات
قبل التفاسير كان الغيب فى عمأ ... سر البطون وغيب الاسم والذات
بعد التفاسير لاح الغيب فى صور ... من المعانى بتبيان وآيات
وبعد هذا وهذا لاح فى كون ... من المبانى باشكال وحيطات
فى الأرض بل والسما الأوصاف والأسما ... وآدم رمز تفسير البيانات
وفى الوجود غيوب لا حدود لها ... من الملائك كشف للحقيقات
وسر (علَّم) تفسير من المولى ... لآدم وهو تفسير الهدايات
قد فسر الله بالإنسان أسماء ... كانت بغيب الخفا فى قدسها الذاتى
كل التفاسير من بدء إلى ختم ... من سر الحبيب لاحت بالعنايات
احب ربى اظهار الوجود بدا ... مزينا بمصابيح الجمالات
صور تجلت بنور الحق هادية ... صور النبيين تفسير الآيات
فى كل صور شؤون لا انتهاء لها ... والله بينها سر الارادات
حتى أتى خير مخلوق يفسر ما ... قد غاب فى الغيب من سر الكمالات
قد جاء بالحق والإحسان فى مثل ... وباليقين اتى كشفا بمشكاة
أعلى التفاسير بالقرآن قد وضحت ... وفى آيه وهى من راقى البينات
قد بين الله فى القرآن حجته ... كالشمس والبدر فى أفق السموات
نور على نور المختار شمس ضيا ... قدس الجلالة فى روض النزاهات
قد فسر الله بالمختار حكمته ... للمؤمنين بقرآن وآيات
وفسر الرحمة العظمى لعالمها ... فى الأرض بل والسموات العليات
وفسر الغيب والأنوار مظهرها ... للمحسنين لتحقيق الولايات
وفسر الاخفى والقرب فى (أنى) ... للموقنين لاظهار الحقيقات
والوجه لاح بأنوار النزاهة فى ... نور القداسة من كنز الجمالات
قد فسر الله بالقرآن ما اخفى ... على العوالم من بدء التعريفات

قد أحسن الله بالقرآن تفسيرا ... كل على قدره سر الحنانات
وفصل الله بالعلماء محكمة ... فى كل صور على قدر العطيات
قرآن ربى جمال كله حكم ... ورحمة وحنان للهدايات
وبهجة وسرور للنفوس إذا ... صفت ولاح لها بدر الكمالات
فى الروح تسمعه من قدس حضرته ... تهيم شوقا إلى قدس الجلالات
والقلب والنفخة العليا لها وجد ... للذات حبت هلا تنوى بحيلك
جمالها ظاهر فى كل ما يبدو ... والله فسر فى القرآن فى الذات
أسرار احدية غيب عن المعنى ... فى أى (فى هو) فافهم للإشارات
ياسر تفسير قرآن الحكيم لنا ... نلنا المنى عندما اجلى البيانات
وسر آى (يعلمكم) لها شوقى ... فى كل حين يعلمنى الخفيات
اصحبت كلى شوقا للحبيب فلا ... يفنى شوقى وحنينى إلى الذات
ولم يزل نور تفسير القرآن بلا ... حد يلوح لنا سر الرعايات
رتب التفاسير لا حد لاخرها ... والله فصلها قولا بآيات
فى كل صور لم يظهر المعنى ... سر الوارثة للمختار للذات
صلى عليه الهى كل آونة ... يا ربنا وسلاما بالتحيات

فأحسن التفسير ما جاء به البشير النذير فى محكم القرآن الحكيم ، ولما كانت التفاسير هى اظهار القدرة الالهية والحكمة الربانيه الارادة الصمدانيه والأنوار الإحسانيه والنعم الرحمانيه والعطايا الحنانيه والمنن الذاتيه والصفات الاسمائية ، اظهر الحق هذا الوجود وجعله افقا لأسرار العلى الودود ، ولما تمت دورة الملك والملكوت وكملت مظاهر أسماء الحى الذى لا يموت ، اظهر الله آدم لتشرق فيه تلك الأسماء والصفات فكانت كما اراد رب الأرض والسموات ، ثم توالت بعده الأنبياء والمرسلون كل واحد منهم ظهر بسر من الغيب المصون ، إلى ان اراد القدير الازل ان يظهر الكمال الاكمل فابرز إلى الملك جوهرة الوجود التى صاغها فى قدس كمالاته الملك المعبود الا وهى سيد الاولين والاخرين سيدنا محمد خاتم

النبيين وانزل عليه قرآنا كريما اتم به النعمة (تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً) ، فسر به كل الموجودات وشرح به ما فى الأرض والسموات وبين به علوم الاولين والاخرين ولم تزل علومه وتفاسيره تبين لنا فى كل زمان أسرارا من غيب محكم القرآن ، وان شئت تعلم فسأل به خبيرا (وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) فهذه الاية على الدوام تتجلى معانيها فلا يظهر حدث ولا مثل فى الوجود الا وبين القرآن سره ، وجاء ببيانه بالحق وأحسن تفسيرا له على الوجه الاكمل ، لأن فى القرآن تفسير لكل ما يظهر فى الوجود لأنه كلام الولى الودود الذى يعلم ما كان وما يكون ، نسأل الله ان يطلعنا على سر هذا الكتاب المكنون انه بكل شىء محيط وهو على كل شىء قدير .

ومعنى قوله تعالى : (وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) أى ولا يأتى الناس من الاحداث والاختراعات أى حدث أو اختراع الا وفسره وفصله القرآن بالحق أحسن تفصيلا وتفسيرا لأن كل ما يظهر فى الوجود هى امثلة وآيات لظهور الحق كما قال تعالى : (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) ، فظهور الكهرباء مثلا يظهر سر الوحدة الالهية واتصالها بجميع البرية ويؤيد قوله تعالى : (قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) فأمره واحد يدير به جميع الشئون العالمية وكذلك تيار الكهرباء واحد وهو يدير جميع الالات ، وينير كل الجهات وكم فى القرآن من أسرار لا تظهرها الا الاحداث ، نسأل الله ان يفهمنا القرآن انه مجيب الدعاء .

المقام السادس والثمـانـون

((علم أهل الإحسان))

سورة القصص

قال تعالى : (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) .
قلنا فيما سبق ان أهل الإحسان هم الذين عملوا بمقام الاسلام ودرسوا علومه ، وارتقوا إلى مقام الإيمان ودرسوا شعبه وتعلموا مقاماته وشهدوا أسراره وآياته ، ثم ترقوا بالعرفان إلى مقام الإحسان ، وهنا نبين قليلا على قدرنا من علوم المحسنين ، لأن أهل الإحسان لهم علوم فوق مدارك الباحثين وعقل العاقلين ، وفى هذا المقام اشار القرآن بأن هذا العلم لا يصل إليه الا نبى مرسل أو محسن مقرب بلغ القوة والشدة الجسمانيه والروحية ، وبلغا درجة الاستوا وهى درجة الجمال والكمال ، وبلغا مبالغ الرجال بعد تمحيصها بنار الجلال ، قال تعالى مشيرا لحالة موسى الكليم : (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) وهو سن الاربعين فى فوة العقل والخبرة (وَاسْتَوَى) على قمة الكمال الظهورى فى تطور المراحل الكونيه (آَتَيْنَاهُ حُكْمًا) وهو نور فى القلب يفرق به بين الحق والباطل والعدل والظلم ، (وَعِلْمًا) وهو سر من أسرار الاحاطة ووحى من دائرة العليم جل جلاله يتصوره بسمع روحى وبصر نورانى كما يتصور السمع والخبر ويرى الصور البصر ، قال تعالى : (يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) (وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) أى وكما اننا نعطى الأنبياء والمرسلين هذه العطايا ونجازيهم بتلك الهدايا نعطى أهل الإحسان الحكم والعلم الالهى ، والفيض الربانى والسر الصمدانى ، الادراك النورانى والفهم الرحمانى فعلم النبيين والصديقين والشهداء والصالحين لا يدركه أهل العقل المحجوبين بالمادة الواقفين عند انفسهم وادراكهم وبحوثهم وافهامهم .
لأن النبى والرسول والولى من أهل الإحسان تجاوز دائرة الأكوان ونظر إلى ما وراء الالوان ، فشاهد ما فى المبانى من معانى وشاهد ما فى المعانى من آيات ، وشاهد ما فى الآيات من تجليات وشاهد بعد الجليات أسرار الأسماء والصفات ،

فاختفت امامه الاثار واشرقت لديه شمس الأنوار والاقدار ، فصار يرى بعين من النور ويسمع بسمع من الولى الغفور ، ويدرك بفؤاد من العلى الشكور ويتلقى بقلبه عن ربه علوما لدنيه وأسرارا ازلية تعجز عنها عوالم الأرض والسماء لأنها من كنز شهود الصفات والأسماء ، فعلوم أهل الإحسان عجز ان يحوم حولها البيان لأن اساسها العلم بالله ، وبأيام الله وبأحكام الله وبحكمة احكام الله وبأسماء الله وصفات الله ،وأنوار الله وآيات الله ، وعلم تكوين الملك ونشأته الاولى ، وعلم الملكوت وتعلقه باليد الالهية ، وعلم دائرة العزة والجبروت ، وعلوم البرزخ وعلوم النشأة الثانيه ، وعلوم الاخره وعلوم الابدية ، وأسرار البقاء فى الحياة السرمدية وعلوم الروح وتعلقها بالهياكل الادمية ، وعلوم معرفة المعانى الإنسانيه من خيال ووهم وفكر والمعانى النفسانيه ، ووظيفة العقل والقلب واختصاص كل معنى من تلك المعانى بخصوصيات ليس لها من نهايات لأنها ايات رب البريات .

علم أهل الإحسان يتعلق بالغيب الالهى الازلى الابدى ويتعلق بأسرار الهداية والرعاية والعناية والولاية ، ويتعلق بحقيقة نور الإيمان واصله وفرعه ، ويتعلق بسر النزول الالهى والتنزل الرحمانى ، ويتعلق بعلم السابقية من سعادة وفلاح وإصلاح ونجاح ويتعلق بالاختلاف النفوس والالوان ، وسر الوجه والسبل التى لا تحصى ولا تحصر والفرق بين الصراط والسبيل والجهة سر قوله تعالى : (وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا) ، وسر قوله : (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) ، وسر قوله سبحانه : (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . صِرَاطِ اللَّهِ) وما هو الصراط وما هو اوله وما هو أخره .

علم أهل الإحسان هو سر معانى باطن القرآن من آيات رحمانيه وتزكية نفسانيه وكتب قدسيه ، وحكم الهية وأسرار غيبية ، هو علم مراتب الوجود ومراحل السير إلى الملك المعبود ، ومنازل الدنو والشهود الذى طلبته الصالحون بقوله سبحانه فى القرآن المبين : (رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) هو علم (أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) هو علم)(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) هو علم (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) وكيف كلمه وبأى لسان خاطبه وبأى سمع سمعه موسى ، هو علم كيف

اتخذ الله ابراهيم خليلا وعيسى روحا ومحمد حبيبا ، وكيف ان الله يحب المحسنين، وما هى محبة الله للادميين المتقين والصابرين ويجازيهم بعنديته ومعيته فى مقعد صدق عنده ، وهو سبحانه منزه عن المكان والكيف والكم والعند والحيز والادراك .

علوم أهل الإحسان تتعلق بسر الابتلاء والاجتباء والاصطفاء وعلم المحبة والعشق والغرام ، والشوق والهيام المتعلق بالملك العلام ، وسر القرب والبعد وسر البيعة والعهد ، والوفاء والنقض والجفاء والصفا ، وسر افضلية المصطفى وسر اقامة الله له فى البيعة ، وكيف ان الله اخذ له الميثاق على النبيين فى البدء واناب عنه فى الختم فى مقام (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) ، وسر قوله: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) ، علم أهل الإحسان يتعلق بأسرار التوبة والانابة والمحاسبة والمراقبة والمشاهدة والود والانس والبسط والقبض والجمال والجلال والكمال والوصال والانفصال والفناء الوجودى والبقاء الكونى فى حالة وجوده ، والفرق بين الوجود الباطل والوجود الحق الكامل ، يبحث فى النعم الكونيه واتصالها بالنعم الملكوتية واتصاله بالروحية وانها صور تشير إلى اللطيف الخبير.

علم أهل الإحسان يبحث فى الشفاعة وتعلقها بأهل الفضل من الصالحين والأنبياء والمرسلين ، يبحث فى الأسباب وارتباطها وتعلقها بمسبب الأسباب ، يبحث فى صلاة العبد لربه ويبحث فى صلاة الله على عبده ، يبحث فى المعجزات للأنبياء وخوارق العادات وكرامه الأولياء وان الله يعطيهم كلمته فيقولون للشئ كن فيكون كشق القمر وفلق البحر وغير ذلك مما لا يحصى ولا يحصر .

علم أهل الإحسان ومقامات العرفان يبحث فى رؤية الله وكيف تكون مع نزاهة الله عن الجهة والمثل ومخالفته لكل موجود يبحث عن سر الخلافة الادمية والامانات الإنسانيه التى لم تحمله العوالم السماوية والأرضية ، ولو اردنا ان نعد اصول تلك العوالم وتعلقها بالبدء والتكوين والتطور والتلوين وظهورها فى الافاق مرائى وصور لنور الخلافة ، وعلوم الحياة والموت وعلوم البرزخ وما فيه ، وعلوم

الحشر والنشر والاعادة والجمع ، والحساب والثواب والعقاب وعلوم الاخرة لم نجد وقتا ولا ورقا ولا مدادا . لأن علم أهل الإحسان متعلق بالمحسن سبحانه والمحسن جل وعلا عن العقل والافهام .

وهنا يقول الإمام السيد محمد ماضى أبو العزائم فى مواجيده النظمية :

غريب علمنا عن كل عقل	تعقل فى المبانى بعد نقل
هو المضنون عن حس ونقل	ومكنون فلا يدرى بقول

وحقا انه لعلم غريب لأنه ليس من الكون ولا فيه ، وهو من معانى باطن القرآن وخافيه وحده ومطلعه وسره وغيبه ، الذى قال فيه تعالى : (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ) ، علم يبحث عن الاحدية والواحديه والوحدانيه ، يبحث عن العبدية والعبودية والعبودة ،علم يبحث عن سر السعادة والشقاوة وحكمة الله فى إيجاد اهلها والفرق بين الامر والارادة وان الله يرضى ويغضب ويحب ويكره ، وكيف انه يطلب أنصارا من العباد لنصرة دينه ونصرة انبيائه وهو على كل شىء قدير ، وكيف انه يخذل احبابه ويمكن من بعضهم اعداءه فيقتلون من يقتلون ، وكيف انه يملى للكافرين ويملكهم الدنيا ويعطيهم القوة ويحرم أهل الإيمان وأهل الإحسان من المال والقوة والسلطان ، ويملكه لحزب الشيطان وكيف انه يخص من شاء من عبيده بالعلم والعرفان ، ويخص من شاء بالحرمان ويعين قوما على البر والتقوى ، وآخرين يضلهم ويوقعهم فى الاثم والعدوان ويصطفى قوما لذاته ، ويكتب لهم الحسنى وزيادة ويرفعهم إلى اعلى درجة فى الدنيا وفى الدين وفى الاخرة .

علم الإحسان يبحث فى دائرة قول الرحيم الرحمن كل يوم هو فى شأن ، علم أهل الإحسان يبحث فى السر المكنون والغيب المصون فيما كان وما يكون ، يبحث فى سر الحروف والاشارات التى خفيت فى اوائل سور القرآن ، وسترت فى طى ايات الفرقان ، علم الإحسان يبحث عن الفرق بين الكتاب والتنزيل والقرآن والفرقان والايات والبينات والحكمة والموعظة والبرهان والحج والشرعة

والشريعة والصراط والمنهاج والطريقة والحقيقة والاقوال والأعمال والاخلاص والفناء عن الاخلاص ، والصدق والصديقية ، وعلم الاقامة وعلم الاذن من الله ورسوله فى الدعوة وعلم البداية عن خير البرية وسر قوله تعالى : (وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ) وعلم الوارثة الجزئية والكلية وغير ذلك مما لا يسعنا فيه الا الاعتراف بالعجز عن حصره والوقوف على ساحل بحره ، وما على العاجز الا الاعتراف والوقوف على اعتاب رجال الاعراف من العارفين والوصاف ، الذين علمهم الله سر الاختلاف واشهدهم مشاهد المقربين وعلمهم من لدنه مالم يكونوا يعلمون ، وكل من لم يصل إلى الغاية القصوى يستغيث ويشتكى إلى المولى ، والله سميع قريب مجيب الدعاء .

وفى الاغانى ما يزيل بعض الكرب عن كل عانى .

يوم الخميس ١٢ رمضان سنة ١٣٦٥ بالاسكندية .

((اعانى علماء المعانى))

((من أهل الإحسان))

اغنى بلحن العلم فى كل حالة ... واتلو على الاسماع عزى وحيرتى

علوم بلا حد بحار بلا انتها ... من الغيب تبدو كل وقت ولحظة

من البدء قد لاحت لكل مقرب ... بغير ابتداء من بحار النزاهة

علوم وأسرار غيوب وحكمة ... تجلت بلا كيف لأهل المحبة

لدى كل لا شىء هو الله وحده ... عليم حكيم ظاهر بالارادة

خبير محيط والاحاطة وصفه ... سميع بصير بابتداء النهاية

فكيف لمخلوق يحيط بكنهه ... ولا علمه الا بمحض المشيئة

بلا اول يا علم والعبد حادث ... بلا اخر يا علم جننت فكرتى

وادهشت عقلى من غيوب سمعتها ... بنص قرآن بل والحان ايه

إذا تلى القرآن غبت عن السوى ... فلم ار كونى لى ولا لون صورتى

هو الأول الموجود من غير اول ... هو الاخر المشهود فوق النهاية

هو الباطن المعلوم لا شىء مثله ... هو الظاهر المعروف فى كل وجهة

لقد حير الأفكار فى كل مظهر ... واوقف أهل العلم عند العبوده

علوم الخفا قد جننت كل عارف ... علوم لطيف فاكم حيرت من أئمة

علوم الوفا عند العهود عجيبة ... علوم الجفا والكون من فوق طاقتى

وعلم المحبة فى بلاد الأجتبا ... مع الاصطفا قد زاد ذلى وحيرتى

وعلم أنا أنتم وأنتم أحبتى ... وعلم البقا فى كل سر الخلافة

وعلم الهدى والاهتداء فوق قدرنا ... وعلم التنزل عند كشف الحقيقة

وعلم المجالى والجمالات كلها ... وعلم كمال الذات غيب الألوهة

وعلم التجلى والتدلى وغيره ... وعلم دنا فوق القلوب السليمة

وفى عالم الأرواح علم لو انه ... تجلى لدك الكون منه بجلوة

وعلم التجلى والتدلى وغيره ... وما فوق هذا من جنود كثيرة

وفوق الخلائق والملائكة والجن ... بقرآنه فى نور بحر الهوية

هو الواسع القيوم لا شئ بعده ... ولا فوقه والعلم وصف الحنانه

ويسر (بلوى) المعلم والحكم مدهش ... (ونجوى) بيان للعقول المنيرة

يمني علينا لاالله بالعلم رحمة ... وبالفضل والحسنى حنانا ورأفة

وإحسانه للمحسنين يمدهم ... بنور من القرآن فيض النبوة

يعلم ربى المتقين عناية ... ويمنحهم سر الهدى والولاية

به يسمو إلى بيت وللغيب ظاهرا ... بنور من الرحمن سر الوراثه

ورثة خير المرسلين بها الهدى ... بها الحفظ للقرآن نور الشريعة

بها العلم يبدو وللعوالم كلها ... بها ينتهى فى الكون علم الخليقة

وورا ثها ماضى العزائم قد بدت ... علوم الرسالة فى ضياء الولاية

اتى بعلوم البدء والختم حجة ... أتى بعلوم الاصطفا فى العبودة

فصرنا به والسابقين كأننا ... مع المصطفى الهادى بسر النبوة

وصرنا بحار العلم تترى بلا انتهاء ... وإحسان ربى فوق كل نهاية

ايا علم جننت الملائك قبلنا ... فاسجدتهم ذلا لنا فى الطينة

أيا علم أظهرت العجائب فى الثرى ... فأضحى يرى فوق السحاب بقوة

يطير به الإنسان فى الجو والهوا	وخاض به فى الماء فوق السفينة
وخاطب بالعلم الخلائق كلها	بموج الاثير ونفخة قدسية
فعلم السماوات والأرض قد جمعا لنا	نرى قد لاح الخفا فى صورتى
له باليدين صاعنى رمز علمه	إذا الفكر رمزى نور فى شمس حكمتى
تلوح علوم الاولين بلا ابتدا	تلوح علوم الاخرين بنفختى
أنا الحسن التقويم فى القرب صلتى	بنور وعلم ان فهمت حقيقتى
متى عدت للبدء الذى منه اولا	تجلت علوم الختم فى الاولية
اعدنى إلى اصلى الهى برحمة	وأصلى طه نور رب البرية
هو الفاتح المحمود بالعلم والهدى	هو الخاتم المقصود للاحدية
هو النور والأسماء قلبى وجودنا	(وفى جاءكم نور) دليلى وحجتى
عليه صلاة الله ثم سلامه	بكل فروع العلم بل والبداية

فعلم الله وحكمه وجزاؤه للمحسنين لا تحيط به علوم الاولين ولا علوم الاخرين ، لأن العلم وصف للعليم والحكم وصف للحاكم جل وعلا ، وكل وصف أو اسم نسب لله تعالى لا يقدره احد ولا يحيط به من الجن والانس والملائكة : (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا) وكيف لا ونحن نرى فى كل عصر علوما جديدة وأسماء عديدة كانت فى طى الخفا ، وليست الاختراعات العصرية عنا ببعيد ولم تزل العلوم فى طى الخفا خفية واسماؤه غيبية ، يظهر الله منها فى كل عصر ما يشاء ويبدى للإنسان سر تجلى الأسماء ، وهذه علوم ظهرت وأسماء تجلت للإنسان فى الدنيا فكيف بما فى الاخرة والله يقول : (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ) .

نسأل الله ان يعلمنا العلم النافع ويلهمنا العمل الرافع انه عليم حكيم مجيب الدعاء .

المقام السابع والثمـانون

((دنيا المحسنين))

سورة القصص

قال تعالى : (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ).

ان الله تعالى قص القصص علينا لا لتكون روايات تجلى ولا اخبار تجلى ، ولا احاديثا بها الإنسان يتسلي وانما قصها لتكون عبرة وتذكرة وتربية وتعليما وتثقيفا وصلاحا وإصلاحا للفرد والاسرة والشعب والدولة والقرية لنأخذ خطة الإصلاح من قصص المصلحين ، ونحذر سبيل الفساد من قصص المفسرين ، فإذا قص علينا مثلا قصة ابراهيم الخليل عليه السلام وانه حارب والده وقومه للحق وتبرأ منهم وهاجر لله ولم يشغل قلبه بغير الله ، وسلم لله فى كل امر فسلمه الله من كيد من كفر وصارت النار عليه بردا وسلاما ، ورفعه الله وجعله للناس اماما .

وإذا قص علينا قصة يوسف الصديق وكيف انجاه الله من الضيق ، وانقذه من الجب العميق وجعله سيدا على مصر بعد ان صار فى صفوف الرقيق ، وكيف انه ملك خزائن التموين وعمل فيها عمل المخلص الامين ، فانقذ الله الشعب على يديه من شر المجاعة وجمع قلوبهم حوله فى صفاء الجماعة ، ونهض الشعب نهضة المحبة والاخلاص واستراح الشعب من المجرمين وخلت المحاكم من القصاص ، وعمرت السجون بالمصالح الشعبية وخلت من النفوس الاجرامية ، فمن اراد ان يبلغ المراد وان يكون اسعد العباد ، فليقتفى اثر الخليل ويسير على هذا السبيل ، فيكون اماما فى عصره للمصلحين ويصير خليلا لرب العالمين ، ومن ارد ان يصلح فساد الرعية وان يحفظها من شر الفاقة والمجاعة والضيق ، فليقتدى بأعمال يوسف الصديق ويجعل نفسه خادما للرعية مستقيما لا لمال له يكنزه بل يكون على الرعية حفيظا عليما .

وهنا وفى هذا المقام يذكر لنا الله سبحانه قصة من قصص اللئام وينهانا عن التشبه بهم على الدوام ويأمرنا بالإحسان على قدر ما يعطينا المنعم المنان ، قال تعالى فى كتابه المبين : (أَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) بعد أن قص علينا قصة قارون وأنه كان من قوم موسى الكليم وانه كان من المفسدين .

وقارون هذا كان من الاغنياء الماليين فأوقعه المال فى بؤرة الفساد ، وضرر البلاد والعباد لأن أهل الثراء هم فى كل عصر اصل البلاء ، فإن أحسنوا صلحت الرعية وان افسدوا فسدت الرعية لأن اول مرض يصيبهم مرض الطمع ، ويستفحل هذا الداء حتى ينتج الجشع ، وهناك تنافسهم النظراء وتقلدهم الامراء والوزراء ، وتحسدهم الفقراء فتدب فى الصدور الشحناء والبغضاء ويظهر فى الرعية الحقد والحسد ، ويعمل كل فرد على زوال نعمة غيره بأساليب الانتقام والبغى والاثم والعدوان والاجرام ، فيختل النظام وينهار صرح السلام ، وتكون الطامة الكبرى على الجميع ويصبحون وليس فيهم سميع ولا مطيع ، ويتألب المرؤس على الرئيس ويحب كل واحد ان يرى الاخر فى فقر وتفليس ، وعند ذلك تذهب الأخلاق وتظهر أهل الشقاق والنفاق ، فتذهب الرعية وتسقط من مجدها إلى ذل العبودية ، وكل دولة سقطت تلك السقطة وزلت تلك الزلة ، ولا تقوم من سقطتها ولا ترفع من هدتها إلا برجل محسن يجمع الله فيه صفات الكمال فيجمع الله فيه الإحسان والمال ، ويجعله قدوة لكل الرجال ، فاذا ظهر بين الرعية بهذا الجمال جذب القلوب لديه وتشوقت النفوس إليه ، والإنسان بفطرته يعشق كل جمال ويسعى لكل كمال ويحب كل ثناء ويستعبده كل عطاء ، فمتى وجد محسن واحد فى دولة من الدول اعاد الدولة بل الدول إلى مجد الأول ، وامامنا التاريخ اكبر شاهد فكان كل عصر يصلح برجل واحد .

فكلمة القرآن المبين (أَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) شفاء للعالمين ومنهاج للمصلحين، ونبراس للتائهين انقاذ للهالكين وإصلاح للمفسدين ، لأن الدنيا بطرق الاجمال رجلان : رجل مصلح محسن . ورجل مفسد مسئ ، فالرجل المصلح

المحسن هو من إذا أحسن الله إليه بأى نعمة أحسن منها على أبناء جنسه حتى يعم الإحسان به كافة الناس فى عصره ، والرجل المفسد المسئ هو الذى يقابل النعمة بالكفران والإحسان بالاثم والعدوان ، ولا يزال يسئ ويفسد حتى يعم فساده أهل الزمان .

ونحن قد عقدنا هذا الباب وخصصنا هذا المقام لدنيا المحسنين الكرام ، لعل ان يطلع عليه رجل من أهل القابلية لدرجات المحسنين فيعمل بما يسمع فينا لنا من خيره وإحسانه يوم الدين .

دنيا أهل الإحسان مال يقتنى وعقار يشيد وجنود تجند ، ورجال ونساء واولاد ، وخيل وانعام وحرث وعتاد ، وقوة وجاه وشرف وعز ووظائف ، واقبال وقبول ومحبة من الناس وعواطف ، وقصور ودور وجنات ، وانهار وأعمال وصناعات وحرف ومهن وتجارات ، وكل هذا المال وما تبعه إذا ملكه المحسنون اصلحوا به العباد والبلاد وكانوا من الشاكرين ، المحسنون فى الدنيا ضنائن الله ، والشاكرون فى الدنيا قلائل جدا بنص كلام الله .

فالمحسن الحقيقى هو الذى يرى انه عبد على خزائن سيده وكل الإنسانيه عنده اسرة واحدة ، لكل فرد منها له عليه حق وواجب يعطى كل ذى حق حقه لا يميل لخل ولا صاحب ، فينفق المال فى المصالح النافعة ويستخدم العقار فى الشئون الرافعة ويخدم الجنود فى انتصار الحق على الباطل والرجال والنساء فى الإصلاح الشامل ، والخيل والبغال والحرث والانعام فى عمارة الأرض والصالح العام ، ويخدم القوة والشرف والعز والوظيفة والجاه فى كل ما يحبه الله ويرضاه ، ويخدم القبول والاقبال والمحبة الإنسانيه فى اعلاء الشعائر الدينيه والاخلاقيه ، ويشغل الدور والقصور والجنات بمجالس الخير والصلاح والإصلاح والحسنات وينشر العلم والتعليم النافع ويقدم فى كل تلك المرافق أهل الإيمان والرحمة والقلب الخاشع، ويعمم الأعمال والصناعات والحرف ويكثر من التجارات والصادرات والتحف ، ويوجد التعارف والتألف والتعاون بين الافراد والاسر والقبائل والشعوب، ويعمل على محو المعاصى والذنوب والعيوب ، فتشعر الشعوب

الإنسانيه والدول الشرقية والغربية ان هناك رحمة من السماء نزلت ، ونعمة من نعم الله هبطت وشمس من شموس العدالة فى الكون اشرقت ، وقمر من اقمار القدس قد طلع وضياء من ضياء كنز السلام قد بزغ ، فتهتز عروش الامم وتخضع له العرب والعجم ، وكم فى التاريخ من حوداث حافلات بتلك الأعمال الصالحات والهمم العاليات .

دنيا المحسنين . وما ادراك ما هى دنيا المحسنين ، أنوار من الرحمات وامثلة من الجنات وحنان من رب البريات ، وجمال من رب الأرض والسموات ، فضل من الله وإحسان ولطف وعطف ورضوان ، دنيا المحسنين مطية ليوم الدين ، وآلة للقرب من رب العالمين ، ما يملكون فيها من مواهب وعطايا باطنة وظاهرة يبغون به الدار الاخرة ، لا يشغلهم المال والعقار عن طاعة العزيز الغفار ، علموا ان نصيبهم فى الاخرة من الدنيا فلم ينسوه لأنهم عرفوا القرآن وفهموه ، وتحققوا ان نوال محبوبات الاخرة من بذل المحبوبات الحاضرة ، وكل ما أحسنوا فى الدنيا من حسنة صغيرة كانت لهم فى الجنة حسنات كثيرة . سمعوا قول الله : (وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ) فتوجهوا بكلياتهم لتلك المملكة الفاخرة وعملوا لها باجسامهم واموالهم وقلوبهم باليقين عامره سمعوا قوله سبحانه : (وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) فقدموا كل ما يملكونه فيها للدار الاخرى ففازوا بأعلى نصيب فى جوار المصطفى الحبيب ، وعندما سمعوا قوله تعالى : (أَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ) لم يشغلوا انفسهم فيها بغير السنة والفرض ، فنظروا فى إحسان المحسن وشاهدوه وأحسنوا به لله وشكروه ، فأحسنوا بنعمة الله من بصر واستعملوه فيما امر ، وقلبوا البصر فى ايات الشمس والقمر والماء والنبات والشجر ، وشهدوا به إحسان الله الذى لا يحصى ولا يحصر ، وأحسنوا بما أحسن الله عليهم من السمع والكلام فسمعوا العلم والحكمة ونشروهما بين الانام ، وهكذا كل جارحة رأوها من الله إحسانا ، فأحسنوا بها طاعة لله إيمانا وإيقانا كذلك كل نعمة معنوية وإحسانات روحية أحسنوا بها لكل البرية ، فكانوا كشمس الكون فى المنفعة وكالبحار فى الكرم ، وكالنسيم العليل البليل فى العطاء والنعم .

ايقنوا ان كل ما فى الدنيا متاع زائل وان كل ما قدموه إلى الله واصل ، وان الإحسان منه واليه يعود ، وسيرون ما قدمت ايديهم فى يوم موعود ، فأحسنوا بكل ما أحسن الله إليهم وقدموا الله كل ما قدمه ليديهم ، ولم يزالوا لله محسنين وبإحسانهم لوجه تعالى مخلصين ، حتى اشهدهم مشاهد النبيين والصديقين والشهداء الصالحين .

فإذا قدر الله لعصر خيرا واراد له فوزا عظيما وعزا ونصرا اظهر فيه عبدا محسنا يحسن بإحسان الله ويعلم لكل أوامر الله ، فإن ظهر هذا المحسن كان علامة من علامات الخير والعز والنصر لأهل هذا العصر ، وانى على يقين ان الإمام القائم السيد محمد ماضى أبو العزائم هو امام المحسنين وسيجرى الله على يديه ويدى أنصاره المجاهدين والمهاجرين من المحسنين خير كبيرا لعصرهم وعصر من يأتى من بعدهم ، لأن الله لا يظهر أهل الإحسان والعرفان فى أى عصر أو زمان الا إذا اراد بالأرض الخيرات والإحسان والبركات .

نسأل الله ان يجعلنا من المحسنين وان يوفقنا لنحسن لكل ما أحسن الينا من نعم الدنيا والدين انه مجب الدعاء .

يوم الاحد ١٤ رمضان سنة ١٣٦٥هـ بالاسكندرية

(اغنية دنيا المحسنين)

غن بين لى جمال المحسنين ... والكشف للإحسان من دنيا ودين
والتقى من خير خلق محمد ... بحر عرفان يعم العالمين
من بحار الفرد وارث احمد ... بينن لى وصف ديا المحسنين
عن بين ما لأهل الاصطفا ... من جمال من كمال من يقين
ان دنيا المحسنين عجيبة ... وهى كنز للرجال المصلحين
ان دنياهم لاخراهم سعت ... خدمة للدين والنصر المبين
أحسنوا فيها بإحسان سما ... فوق إحسان الرجال العالمين
أحسنوا فى كل شئ خصهم ... من عطاء الله رب العالمين

أحسنوا بالنفس والمال الذى | أحسن المعطى به للمحسنين
شاهدوا فضل الأله عليهم | بالحنان طوفوا والعطف المبين
شاهدو بالحس خيرا وافرا | فوقهم وعن الشمال عن اليمين
بالقلوب رأو جمالا باهر | خصة المولى لقوم صالحين
سارعوا للفوز شوقا للولى | فى هيام خلف خير المرسلين
فارقوا الدنيا وهم فيها إلى | جنه الإحسان روض العارفين
شاهدو وجها عليا ظاهرا | بالنزاهة وهو خمر الشاهدين
لم يروا فى الكون الا وجهه | والمظاهر ايه للموقنين
صارت الدنيا لديهم قربة | بل براقا رفرفا للواصلين
آى يا دار الفنا فيك البقا | قال هذا القول بحر الوارثين
ما لهم فيها لإصلاح الورى | طاعة لله والفرد الامين
احمد المبعوث غوثا للورى | صفوة الرحمن كنز المهتدين
ان دنيا المحسنين جواذب | تجذب الأرواح للرب المعين
علهيم نور مجالسهم صفا | طهرهم للفضل كالحصن الحصين
بذلهم للمال يمحو الشح من | كل قلب حاقد فى الحاسدين
كل أعمال لهم فى كونهم | رحمنةى كبرى لكل العالمين
سعيهم فى الأرض خير شامل | فيه إصلاح لحال المفسدين
نورهم يحيى روح القلب فى | كل قلب من قلوب المسلمين
فردهم كالشمس نورا وضيا | يملا الأرض بعلم الوارثين
سر ميراث الحبيب محمد | قد بدا فى عصرنا للمحسنين
فى الإمام الوارث المصطفى قد بدا | فانجلى بالفضل علم السابقين
وانجلى الغيب بقرأن الهدى | وانجلت حقا علوم الاخرين
قد اماط عن الغيوب ستائرا | لم تلح للعارفين الباحثين
ان دنيا المحسنين غرائب | كلها لله حينا بعد حين
قد اراد الحق يكرم عصرنا | بالامام ابى العزائم لات حين

سوف يشرق طه فى صورنا	فيعود النور فى الافق المبين
رب وائت بالذين تحبهم	ملك الدنيا لقوم محسنين
كى يعود إلى [illegible] جمالها	ويعود جمال خير المرسلين
صلى ربى كل وقت دائما	[illegible] على طه الأمين

فدنيا المحسنين ليست كدنيا الغافلين ، وقد وصف الله الدنيا المذمومة فى القرآن بقوله : (أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ) ، ووصفها بوصف اخر بقوله : (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) ، وعلى هذا تكون الدنيا اقسام بحب درجات القائمين فأهل الشهوات لهم دينا . وأهل الظلم لهم دينا . وأهل الإسلام لهم دنيا . وأهل الإيمان لهم دينا . وأهل الإحسان لهم دنيا ، وغير ذلك فكل طبقة من الناس لهم دنيا فى قدر مقاماتهم ودرجاتهم والا ما كان يقول القرآن : (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) بعد ان قال فى الآية السابقة : (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ) فجعلها لقوم شهوات ، وجعلها للمؤمنين طيبات ، وجعلها للمحسنين مشاهد وأسرار وآيات ، قال تعالى : (وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) فمن شغلته الدنيا عن الله وطاعته وجذبته إلى المعاصى والاطماع ، والشر والضر والضياع ، فليعلم انه طفل فى المدرسة الإنسانيه تستهوية المظاهر الكونيه ، فليحذر الدنيا فإنها ستهلكه وتغره وتضره وتبعده عن الفلاح وتوقعه فى غضب الكريم الفتاح ، ومن ذكرته الدنيا بالله وشوقته النعم إلى المنعم وجذبته الزينه إلى المزين المتقن الذى اتقن كل شىء ، وقام عاملا متقربا إلى الله بكل ما اتاه الله من الدنيا فهو من الذين احل لهم الله الزينات وجعل الدنيا لهم معراج إلى الخيرات والبركات والهدايات والصلاح والإصلاح .

نسأل الله ان يكثر من هؤلاء حتى يعود مجد سيد الانبياء انه مبدئ معيد ، وهو على كل شىء قدير وبالاجابة جدير .

المقام الثامن والثمـانون

((عمل المحسنين))

سورة العنكبوت

قال تعالى : (وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) .

ان لأعمال المحسنين بدايات ووسط ونهايات ، ولهم سير إلى الله وفى السير فتن وبليات وشعب وعقبات ، فبداية سيرهم الإيمان ووسط السير العمل الصالح فى كل شأن وعند ذلك يغفر الله قبائحهم ، ويستر فضائحهم ويكفر سيئاتهم ، ويضاعف حسناتهم ويرفعهم إلى درجة الإحسان وينزلهم منازل الفضل والرضوان ويجملهم بجمال العرفان فيسمعون وصايا الحق بالحق ، ويقومون بها بالاخلاص والصدق ، ويفرون من أهل الشك والشرك ولو كانوا اباءهم أو أولياء امورهم ، كما فر الخليل عليه السلام من ابيه وتبرأ منه وفرت فتية الكهف من مليكهم واختفوا منه ، وفى كل عصر يظهر الله من أهل الإحسان ورجال العرفان فتية يأتون بالمدهشات ويظهرون بخوارق العادات ، منهم النبيون والمرسلون والأولياء والصالحون .

أول علم لهم فى الكون يظهر البحث عن العلى الاكبر فتراهم فى كل شىء يفكرون وفى كل عبادة يفحصون ، وفى كل عادة يرونها يدرسونها ويبحثونها ، ويسألون القائمين بها عن سببها واصلها فاذا اتفقت مع النفع والمصلحة والعقل السليم سلموا بها وقبلوها برأى سديد وقلب كريم ، وان لم تتفق مع عقولهم وأفكارهم طرحوها جانبا خلف ظهورهم ، واليك قول الخليل عليه السلام لابيه قولا جليا : (يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا) فعجز ابوه عن رد الجواب وعدل عن الرأى الصواب ، واستعمل الوعيد والتهديد ولم تفتر همة الخليل فى البحث عن الولى الحميد ، وكذلك أهل الإحسان فى كل زمان يخرجون على كل مألوف ويفتشون فى كل معروف ، لا يقلدون الاباء والاجداد

الا فى كل امر فيه خير ورشاد ، وتراهم بفطرتهم من نشأتهم اعداء كل نفاق وفساد ولو باشروا فسادا كرهوه وخاصموه وحاربوه ، وان رأوا صدقا واخلاصا احبوه وايدوه ونصروه ، يبغضون الظلم والكبرياء ويحبون العدل والمساواة وأهل الصفاء ، فمن لدى آدم إلى خاتم الأنبياء كان دور الرسل والأنبياء ، كل واحد منهم بما يحبه الله قائم ، بالتوحيد والعبادة وفعل المكارم ، ومن عصر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عصر مولانا السيد محمد ماضى أبو العزائم كان دور الخلفاء والأولياء والصديقين والعلماء والوارثين كل من هؤلاء يبلغ رسالات رب الأرض والسماء .

عمل المحسنين فى ادوار حياتهم واطوار سيرهم وأعمالهم ، كلها غرائب ومدهشات وعجائب وآيات وخوارق عادات ، بدايتهم بحث عن الله وتفتيش وتنقيب عن طريق الوصول إلى الله ، فمنهم من تتولاه العناية بوحى من السماء ومنهم من تشرق له الهداية من مظاهر سر الأسماء ، ومنهم من يتربى على يد الرسل والأنبياء ، ومنهم من يتربى فى حضانة الأولياء ، فاذا عرفوا الله حق المعرفة وتجلى لهم بكل مظهر وامس صفة قاموا فى سبيله مجاهدين ، واليه به من المرشدين فأول أعمالهم دعوة الخلق إلى الحق لمحو الفساد بعد القيام بعبادة الله رب العباد وهاتان الخصلتان اول مراحل الجهاد ، ثم يبدأون السير فى طريق الوصول إلى الله وهذا الطريق سبيل لمنتهاه وكله فتن وبلايا ، ومحن وعطايا وجمال وجلال ، وعقبات وحسنات ونار وجنات ، وامتحان وحسرات وبهجة وسرور وحزن وحبور ، وظلام ونور وقبض وانشراح ، وحزن وافراح وخوف ورجاء وحرمان وعطاء ، وكروب وحروب وكشف لأسرار الغيوب ، وحب ووصال وحجب وانفصال ، وقرب وشهود وبعد وجحود ، وشوق وهيام وعشق وغرام ، وقتل وأنتقام ، وجهاد أكبر وموت أحمر والمطلوب من كل شىء أكبر ، كلما قطعوا شوطا من المراحل واحلوا نزلا من المنازل ، ناداهم خبير الباطن والظاهر المطلوب ليس له من آخر ، فجدوا فى السير راحلين وخلفه من السائرين، وكلما قالوا ان الوطن قد دنا وزال عنا كل شدة وعنا وإذا بالامر فوق ما

يعقلون والمقصد فوق ما كانوا يعلمون ، فيبدؤن السير من جديد بعد يقينهم ان الله ليس بظلام للعبيد ، لأن عظمته اقتضت علوه وبعده ، ووسعته قررت سموه ومجده ونزاهته عن كل موجود ، جعلت مثيله من المفقود ، وكل وصف له سبحانه جليل جعل الادراك من المستحيل فيستأنفون السير والأعمال إلى الكبير المتعال .

أعمال أهل الإحسان أكثرها قلبيه واغلبها ملكوتيه شهوديه ، واعظمها نفسانيه روحية ، واجلها ربانيه صمدانيه واقلها جسمانيه حسية ، فهم بأقوالهم للخلق يرشدون وبأجسامهم على الشرع محافظون ، وعلى صلاتهم دائمون وفى اموالهم حق للسائل والمحروم ، ولكن كل ما يتعلق بالجسم والحس الظاهر كقطرة فى محيطات بحار ليس لها من آخر ، خيالهم له أعمال لا نهائية ووهمهم له جولات فى الدوائر المعنوية ، وعقلهم له اشراف على الآيات السماوية والأرضية ، وفكرهم له السفارة فى العوالم الملكية والكلوتيه ، وروحهم لها السيادة فى العوالم العلوية الروحية والاسمائية والصفاتيه ، وقلبهم يتلقى من ربهم العلوم اللدنيه ، ونفخة القدس فى المجالى تجول وفى عالم الهوي خلف الرسول ، وفى منازل المنا عند من دنا ، وسرهم وسر سرهم وغيب غيبهم والخفا والاخفى لدى الصفا على اعتاب المصطفى ، واما مشهد العبدية والعبودة والعبودية فهى من مشاهد أهل اليقين والوارث الكليين وبحارها زاخرات ، وبحار الإحسان بالنسبة لبحار العبودة بحيرات وعند مقام العبد تنتهى كل المقامات وتنتهى كل الرسالات والنبوات ، وهنا تكون ذات الذات ويقف اللسان والجنان وتنتهى البينات (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى . فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى) وهنا بداية المبهمات وحيرة الحيرات وهنا يكون السير خطفات وجذبات لعبيد مخصوصين ، وافراد مختارين وعباد محبوبين (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) وهؤلاء سيرهم لا سبيل لمنتهاه ناداهم القرآن (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ) .

قف لسانى وقف جنانى تخلى ودع النفخة العلية تولى

فمقام العبيد فوق بيانى خليا لى فلست للقدر اهلا
فى مقام الابهام اوحى إليه بل وفوق الابهام كشفا تجلى
كل علين والعوالم حيرى فى عبيد خصته ذات المولى
كل فرد له مقام ولكن قدر طه فوق العوالم كلا
خطوة العبد حالة الختم غيب حظوة العبد فى الارادة قبلا
عبد ذات من بدء بدء الختم عبد ذات بدءاً وفضلا ووصلا
عبد حب وصفوة وجمال وكمال لله والله اولى
خصصته يد العناية عبدا واصطفته فكان للفضل اهلا
كل عقل وكل علم وبحث فى مقام المختار وهما وجهلا
كل عبد بوصف طه تغنى فبقدر الوصاف والحب املى
قام ماضى فى عصرنا ببيان اعجز الكل والحقيقة أحلى
فاقبسنا من فيضه نور كشف فرأينا المختار بالنفس اولى
ورأينا كل المقامات حجب والحبيب الهادى محيط التجلى
فعجزنا عن وصفه وعلمنا اننا فرعه وبالاصل نولى
كل أعمالنا اتباعا لطه فصلاة عليه ما الله صلى

فأعمال المحسنين فى الاقوال والافعال والاحوال والمشاهد والأخلاق والأعمال هى التمسك باتباع النبى عليه الصلاة والسلام وأول عمل لهم التسليم لما جاء به هذا النبى الكريم ، وثانى عمل لهم الإيمان بما جاء فى القرآن ، وثالث مثال لهم الإحسان واوله مراقبة الرحيم الرحمن فى السر والعلانيه ، ووسطه الشهود لأنوار العلى الودود ، فمن ادعى مقام الإحسان ولم يشهد أنوار الحنان المنان اينما ولى وجهه إلى أى جهة أو مكان فيكون دعيا أو صو×× لشيطان ، ومن اقتدى بالنبى أو وراث النبى فى أى زمان نال مقام الإحسان وفوق مقام الإحسان ، بل ينال المحبة الالهية التى بينها القرآن فى قوله تعالى : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) فاتباع النبى فى اقواله وأعماله وأخلاقه وآدابه رافعات

للدرجاتمضاعفات للحسنات ومكفرات للسيئات (وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) وعندما تشرق عليهم أنوار المتاب وتتجلى لقلوبهم اسرار الحجاب تراهم فى كل نفس يتذكرون فى الله ورسوله وفى أعمال الخيرات يسارعون ، عندما علموا قول الله سبحانه : (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) سمعوا وصية الله فحرصوا على تنفيذها ، كلما سمعا كلمة من الله عملوا بأحسن منها ، قاموا ببر الوالدين خير قيام وأحسنوا لهما خير إحسان بعدما تحققوا وصية الله تحقيقا لا شكا ولا ظنا (وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا) ، وإذا كان الوالدين مشركان عاملاهما بالمعروف فى الأكوان ، وخالفاهما فى الدين والإيمان بعد ان يدعوهما إلى طاعة رب العالمين ويجاهدوهما جهاد المحسنين بعد سماعهم اوامر القرآن المبين (وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) .

فقاموا بالأعمال محسنين ، وفى طاعاتهم صادقين وفى جهادهم صابرين ، ولله فى أعمالهم مخلصين وبتوفيق الله لهم شاهدين ، وبحوله وقوته فى أعمالهم مستعينين ولأسماء الله وصفاته مشاهدين ، وسماح ونجاح وفلاح ومتاب واقبال وقبول ، وامن وسلام وإحسان ووصول وذكر وفكر وشكر ، وانس ومكالمة وعفو وبر ، صفح وعفو وإحسان ودعوة وتأليف لأهل الإيمان ، وجهاد وحلم ورحمة وحنان ولا يستريحون فى أعمالهم الا إذا عملوا بكل أوامر القرآن ، وقاموا بسنة المصطفى خير قيام ، فعليهم جميعا من الله الصلاة والسلام .

(أعمال المحسنين فى مشاهدهم)

ان أعمالنا لدى الإحسان	من معانى غوامض القرآن
ان أعمالنا شهود ووجد	بعد فهم الإسلام والإيمان
درجات الإسلام طاعة امر	منهج الشرع صحة الابدان
ومقام الإيمان صدق وصبر	ثم بيع النفوس للديان
ومقام الإحسان وجد وقرب	ووجود حق لدى الحنان

يشهد المحسن القريب جمالا فى المبانى وفى المعانى الحسان
يشهد الوجه وجه رب قريب بعيون تولى من الرحمن
فكون الأجسام ظروف المعانى والمعانى تشير للمنان
شروق الشمس شمس المعانى فتغيب الأكوان فى الالوان
وتغيب الالوان فى نور غيب ولديها يلوح نور التدانى
يظهر الظاهر العلى تعالى بعد محو الأغيار حجب التثانى
ولديها يكون عبد ورب عبد حق لا يدركن بالمعانى
مشهد المحسنين رؤية نور نور أعمالهم من الإحسان
لم يروا فى الوجود علا الغير سر توفيق واحد صمدانى
والمبانى فى الكون مرآة حق والمعانى مرآة غيب التدانى
والتدانى سر القريب تعالى فاترك العقل فى مقام العيان
واشهد لكل بالنزاهة غيبا سر تقدير خالق ديانى
كل ما فى الوجود نور فنزه بعد فهم الآيات فى القرآن
ان أعمالنا لديها فناء عند اشراق شمسه الروحانى
وجمال الأعمال منه إليه نسبه العبد فى صفا الإحسان
قيد العبد اثبت العهد فضلا سر امر الحكيم ذق تبيانى
فى مقام الاثات عدم ومحو فى مقام الأطلاق عبد فانى
حيرة المحسنين فى كل حال فى وصال فى حلية الأكوان
سر مجد الأله جل تعالى فى علاه عن كل عال ودانى
كل أعمالهم به بعد حفظ لسبيل المختار بالفرقان
زل من زل حين خالف طه خل من ضل فى صفا الروحانى
فتمسك بشرعه وهداه فى مقام الإحسان والإيقان
والحذر المحو فى الشهود والخشوع للحبيب المختار والعدنانى
فهو حصن الحفيظ جل تعالى وهو سر الخبير حصن الأمان
صل ربى فى كل وقت وعلى وارثيه فى كل آن

فأعمال المحسنين ومشاهدهم بعد مدارك العقول لأن العقل حده البحث فى الأكوان لا الاصول ، والمحسنون سلموا لاوامر الله وصدقوا اخبار الله ، واقتدوا برسول الله فكاشفهم الله بأسرار العلوم ، واشهدهم غيب وسعة الحى القيوم ، فقاموا بعد شهودهم فناء كل شىء ، عاملين بحول الوكيل الولى فلم يزلوا فى ميدان الفناء ولم يشركوا فى مقام البقاء ، فحفظوا بالله مشهد التوحيد ولم يضلوا فى شرع الولى الحميد ، أعمالهم بالله قامت واجسامهم تحت اوامره استقامت ، وقلوبهم وأرواحهم بنوره استنارت ، فهم فى كل عمل يشهدون فضلا وفى كل مظهر يرون طولا وعدلا ، فلا نور الحق يمحقهم لأنهم به قاموا ، ولا الشرع الشريف يحجبنهم لأنه بأمره استقاموا فلم يقعوا فيما وقع فيه الحلوليين ولم يجحدوا كجحد المحجوبين والدهريين ، بل ساروا على الصراط المستقيم صراط اياك نعبد واياك نستعين ، فنظروا بعين الإحسان نور العبيد مشرق فى مظاهر من من سر الملك المجيد ، فرأوا العبودة وتكوينها من الله وإقامتها بيد الله ، ورأوا المعونة من الله بقدرة الله وحكمة الله فقاموا لله عاملين وبرسوله فى كل مقام مقتدين ، وحفظوا كل المراتب التى امرهم بحفظها الله ، حفظوا للجسم علمه . وللسان قوله . وللعقل قسطه . وللروح مشهدها . وللقلب اخلاصه وحبه ، وكل حقيقة مبنوية . اقاموها فى الشريعة المحمدية وكل حقيقة معنوية روحية اقاموها فى مشاهدها القدسية ، فكانوا هم القوم الذين عملوا بالكتاب كله ولم يضلوا سوء السبيل وساروا خلف الخبير ، البشير النذير خير النبيين وبعد عصره يبحثون عن الوارثين الذين ورثوا رسالة ونوره فى كل حين .

أعمال المحسنين تنحصر فى دائرة اقوال النبى وأعمال النبى وأحوال النبى وأخلاق النبى واداب النبى ورحمة النبى وحكمة النبى وارشادات النبى ومشاهد النبى وكل من خرج عن سبيل النبى وادعى مقام المحسنين ، فهو من الشياطين وان اتى بالكرامات وتكلم بالمغيبات نسأل الله ان يحفظ الدين بالرجال المحسنين ،

وان يظهر المسلمين من الدجاجلة والمشعوذين وان يظهر نور سيد المرسلين انه مجيب الدعاء .

المقام التاسع والثمـانون

((دعوة أهل الإحسان))

سورة العنكبوت

قال تعالى : (وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ).
أن أهل الإحسان رجال عرفوا الواجب الدينى وتحققوا بما جاء به النبى ، وعلموا ان اساس الدين هى دعوة جميع العالمين ، لاتباع خاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقاموا لله بدعوة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، لأنهم ابدال الأنبياء والمرسلين الكرام وهم الذين حملوا علم الدعوة إلى الله ، بعد انتقال رسول الله سر قوله تعالى : (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ) والناس فى كل زمان يختلفون وفى جميع امورهم يتنازعون خصوصا بعد النبوات ، وبعد مجئ جميع الرسالات لأن كل قوم ساروا على منهاج ، ووجدوا اباءهم على معراج ، وطبيعة الإنسان التغيير والتبديل والميل إلى الحظ والهدى بلا بحث ولا دليل ، فاقتضت حكمة الله ان يكون فى كل زمان دعاة إلى الله يبينون الحق من الباطل ، ويميزون الخبيث من الطيب والكريم من السافل .

ولما كانت نبوة المصطفى عليه الصلاة والسلام هى آخر النبوات ودعوته هى ختام الرسالات وبعثته للناس كافة إلى يوم الواقعة والحاقة ، وجب على الدعاة من المحسنين ان يدعوا المسلمين وغير المسلمين ، فدعوة المسلمين اما للرقى أو للتوبة من الذنوب ، ودعوة أهل الكتاب لتوحيد علام الغيوب ، ولكن لكل دعوة

اداب نطقت بها ايات الكتاب ، وكل بيان فى الدعوة فوقه اسلوب ابين وكل حسن فوقه اسلوب أحسن ، وهنا يقول الله معلما لأهل الإحسان : (وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) وأهل الكتاب ينقسمون قسمان : أهل سلم وأهل ظلم وعدوان فأهل السلم لهم اسلوب فى الدعوة خاص ، وجدال روحانى بلسان الخواص وبيان فى دائرة الوحدة العالمية ، والمصلحة الإنسانيه والحكمة الرحمانية والجامعة الادمية ، وان المراد من النبوات والرسالات هو محق التفرقة وجمع الوحدات ، وان الأنبياء والمرسلين من لدى آدم إلى محمد خاتم النبيين كلهم اسرة واحدة جاؤا لغرض واحد ومقصد واحد ، وكل نبى من الأنبياء يدعو بدعوة من سبقه لا خلاف فى دعوتهم ولا اختلاف فى رسالتهم ، الا فى الصالح العام بنظام الهياكل والأجسام بحسب التطور العمرانى والإصلاح الإنسانى .

ولابد للداعى ان يكون خبيرا بحكم الوضع التشريعى وان يكون بصيرا بالتغير التاريخى حتى يحسن الجدال ، ويفوز فى ميدان النزال ويبدد بنور الحق ظلمات الضلال ، وان يكون على إيمان ثابت بجميع الأنبياء والرسل ، وان يكون مؤمنا بما نزل عليهم من الكتب محيطا بأسباب التبديل والتغيير ، محتاطا من التجريح والتغير ، وان يغلق فى الجدال ابواب العصبية ويسد منافذ الافضلية ، ويفتح ابواب الرحمة المحمدية والمصلحة الإنسانيه ، ويبتعد عن الادلة النقلية ويقف عند الادلة العقلية ، الا إذا احتاج المجادل إلى الادلة النقلية فيأتيه بالبراهين من اثار الأنبياء السابقين كقول المسيح عليه السلام فى مساواته لتلاميذه الكرام : " اعبدوا أبى واباكم الذى فى السماء " وهذا برهان هدم المسيحية من اساسها وبدد عقيدتها ، ومثل قول المسيح : " من أمن كإيمانى يعلم كأعمالى واكثر " ، وهذا القول ايضا اسقط الخصوصية التى نسبته بها النصارى إلى الالوهية ، وغير ذلك من الاخبار التى لم تلعب فيها يد التبديل فتكون فى البرهان على المسيحى اقوى دليل .

وأما الدلائل العقلية فى هدم قواعد المسيحية واليهودية فهى فوق العد والحصر لأهل الدراية والفكر ، جادل الإمام القائم السيد محمد ماضى أبو العزائم جماعة من القسس والرهبان فهدم لهم اساس المسيحية باصغر برهان ، فقال لهم : لو قيل

لاحدكم ان جملا تزوج نملة وأولدها جملا هل يصدق ذلك ، فقالوا جميعا : لا يمكن ولا يتصور هذا عقل ولم يرد بذلك نقل ، فقال الإمام كيف تعتقدون ان الله الذى لم تسعه الأرض والسموات ان يتزوج مريم ويولدها ولدا ، فاعترفوا جميعا ببطلان هذه العقيدة .

وحضرته مرة اخرى وهو يجادل بعثة اوربيه وعلى رأسها وكيل الفاتيكان ومعه ثلاثة من الرهبان فقال له الإمام ملوحا إلى حجة قاصمة : كيف حالك وحال اولادك فضحك الراهب مستهزئا لأنه فهم من السؤال ان الإمام يجهل ان الراهب لا زوجة له ولا عيال ، وإذا بالامام اجاب فى الحال ببرهان لا شك فيه ولا جدال قصم به ظهره وحير به امره فقال قدس الله سره : (كيف تتبرون وتترفعون عن الزوجة والولد وتنسبوها للواحد الاحد) ، فنادى الحاضرون جميعا بلسان واحد الله اكبر الله اكبر فاعترف الراهب بصدق النظرية ، وقال لو ان فى كل قارة من الدنيا رجل حجة وبرهان وجدال أحسن مثلك لما بقى على وجه الأرض غير المسلمين .

فالجدال الأحسن وحسن اسلوب الدعوة واسع المجال لأهل الإحسان من الرجال ، وعلى هذا تكون دعوة أهل الكتاب من الذين يتحرون ويطلبون الحق والصواب فى دائرة الجدال الأحسن والبيان الابين والاسلوب المتقن ، فكم بهذا الاسلوب والرهان قد اسلم على يد الإمام قسيسين ورهبان ، بل على يد تلاميذه من أهل الإحسان والعرفان ، واما دعوة الذين ظلموا من أهل الكتاب فحججها حسية فى دائرة الحجاب كما اقام الحجة ابراهيم الخليل عليه السلام على عدوه النمرود فى حال الجدال والخصام حين قال له بعد ان عدل عن الحجة العقلية إلى الحجة الحسية التى ليس له بعدها من موجب : (فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ) فعلا الحق بالبرهان الحسى وأنتصر وخذل (فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ) .

الدعوة ، وما ادراك ما الدعوة . هى حياة الإسلام وهى اساس الامن والسلام ، وهى إصلاح جميع الانام ، إذا قام بها أهلها من أهل الإحسان الذين وصلوا إلى مقامات العرفان أهل الخبرة بالنفوس الذين استنارت قلوبهم وبصائرهم بأنوار

القدوس ، الذين عرفوا كيف يخاطبون الخلق على قدر عقولهم ويتكلمون مع الناس بقدر مداركهم وعلومهم ، فيخاطبون المسلمين بمألوفاتهم الشرعية ومذاهبهم التقليدية ، ويسيرون بهم بعد ذلك إلى المعية المحمدية ويدعون الفريق الأول من الطوائف النصرانيه بالمشاهد الروحانيه والحكمة الربانيه ، ويخاطبون الظالمين من أهل الكتاب بالحجج الدامغة وفصل الخطاب ، واكبر حجة واعظم برهان على أهل الظلم والاثم والعدوان هو ان كل دولة تقوم تبطل الدولة التى قبلها ، ودولة يوسف ابطلت دولة يعقوب ، ودولة يعقوب نسخت دولة من قبله كما ان دولة الخليل كذلك نسخت شرائع الرسل ، ونظام الكون المحسوس على هذا النظام يسير ، وجاءت دولة عيسى عليه السلام فأوجبت على اليهود اللئام ان يتبعوه فى دعوته وان يقتدوا به فى رسالته ، إلى ان جاءت دولة محمد خاتم النبيين فأوجبت على الناس اتباعه اجمعين وكل من لم يتبعه فى دولته فهو مخالف لكل نبى سبق وهاد لشريعته وخارج على الله فى نظامه وسننته (سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ) فالذى يرسل الرسل هو الله والطاعة إليه لا لرسل الله ، فمن عصى الرسول الاخير فقد عصى جميع رسل الله وعصى فى الحقيقة اوامر الله ، كما ان الذى يعصى الحاكم المباشر بحجة طاعة لحاكم غابر يقضى عليه العقاب بنص الحكم الحاضر ، ولم يجد له حجة لا عقلية ولا حسية ولا ادلة قانونيه ، فيا أهل الكتاب تعالوا فاعرضوا حجتكم بعد هذا البرهان الذى لا يشك فيه أى إنسان ، هل عندكم من سلطان يبيح لكم ان اليهود بعدواتهم للمسيح عليه السلام قد اصابوا وجه الحق واطاعوا الملك العلام ، ولو كان موسى فى زمن المسيح لتبرأ اليهود ونصرا المسيح عليهم وحاربهم وقاتلهم ، ولو جاءت الأنبياء جميعا فى دولة محمد خاتم النبيين لكانوا له ومعه ضد اليهود والنصارى محاربين ، فيا من عنده ذرة من العقل الإنسانى هل عندك من حجة تنقض بها برهانى ، كلا ثم كلا فإن الادلة الحسية لا تقبل النفى بأى حالة معنوية ، ولا ينقض الدليل المحسوس الا بدليل مثله ملموس ، فكل برهان يحتاج لبرهان من نوعه وكل مشرع يقوم فى دولته بشرعه وكل حاكم يتولى يكون بالطاعة اولى .

هذا بعض ما يجب على أهل الدعوة أن يخاطبوا به أهل الكتاب من قسم الظلمة الذين قال فيهم من خلقهم : (إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) فأهل الظلم من أهل الكتاب ليس لهم الا الحجج الدامغة التى تسد عليهم جميع الابواب ، أو حجة السيوف والحرب لأنهم لا يخضعون لرسول أو كتاب ، نهانا الله تعالى ان لا نجادل أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن ، واستثنى أهل الظلم منهم وهم الذين وقفوا عند تقليد الاباء واعلنوا على الإسلام والمسلمين العداء ، فيكون جدالهم بالتى هى اسوأ من الحجج المخجلة ، والبراهين الفاضحة المذلة المخزية ، والقوة القاهرة بجميع انواعها لأن الظالمين من أهل الكتاب وامثالهم من جميع الطوائف المضلة والاحزاب يعدون فى نظر اولى الالباب انهم اعضاء فاسدة فى جسم الإنسانيه يجب على الطبيب بترها بالكلية ليسلم باقى الجسد من الهلاك والنظام والارتباك ، واما الجدال بالتى هى أحسن فلا يكون الا لأهل الخير والبر والعدل والكرم ، وهنا يعلمنا الله اسلوبا حسنا من جدالهم بقوله تعالى : (وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) .

أى ان الله تعالى يقول لنا قولوا لأهل الخير من أهل كل الكتاب لا خلاف بيننا فنحن مصدقين بما نزل علينا من القرآن الكريم ومصدقين بما نزل على كل نبى من الأنبياء ، لأن الاله الذى انزل تلك الكتب وارسل هؤلاء الرسل هو واحد ، فنحن غير معارضين فى قضائه وقدره ، ومسلمين لكل نبى يرسله أو وارث يقيمه بشرط ان تكون صورة الوارث تمثل الرسول خير تمثيل بالبرهان القولى والعملى والأخلاقى وهو اكبر دليل ، ومن كل تلك البيانات الالهية تفضل العلماء اساليب الدعوة المحمدية على غيرها من الدعايات ،وتعظم شأنها فى حل جميع المشكلات.

فلو تعلم المسلمون دعاية القرآن ودعوا بها جميع بنى الإنسان لساد السلام وظهر الإسلام على جميع الاديان الباطلة فى جميع الانام ، ولكن المسلمون جهلوا علوم الدعوة الإسلامية وحصروها فى المنطق والجدال اللفظى ، وهذا العلم يتعلمه كل إنسان كافر كان أو من أهل الإيمان ، فلم يقل الله فى اسلوب دعوة أهل الكتاب وقولوا بفصاحتكم ومنطقكم البليغ ، ولكن اشار إلى الإيمان والإيمان نور يقذف فى

قلب السامع فيبدد ظلمات الكفر والضلال ، واشار إلى علم الواحدية وعلم الكتب المنزله وعلم الالوهية وعلم التسليم إلى العليم الحكيم ، وتلك العلوم علوم روحية تجذب النفوس التى فيها ذرة من الاخلاص لرب البرية . فقوله تعالى : (وَقُولُوا آمَنَّا) اشارة إلى ان الداعى لابد ان يكون من أهل الإيمان ليؤثر بنور إيمانه على مجادلة ، وعلم الإيمان قد سبق ان كتبنا فيه [كتاب الشعب فى الإيمان الكامل] وقوله سبحانه : (بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا) وهو اشارة إلى علم الانزال وهى الجهة التى نزلت منها الكتب وانها واحدة فالجهة التى انزل علينا منها القرآن هى الجهة التى انزل منها الكتب التى نزلت اليكم .، والاله الذى ارسل رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم هو الذى ارسل رسلكم ، فهو واحد لم يتعدد فيكون امرنا وامركم واحد ودينا ودينكم واحد وان تغيرت القوانين والاوضاع بحسب المصلحة والانتفاع ، فقوله تعالى : (وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) تفيد ان لا يصلح للدعوة الا الرجل المؤمن المحسن الذى وصل الى مقام الإحسان بعد مقام الإسلام والإيمان لا من تعلم الفصاحة والبيان ، فلفظة أحسن تفيد المقام الأحسن وهو ارقى مقام الإحسان فكيف ينفع الداعى وهو لم يتقن مقام الإسلام ، وبذلك كثرت الدعاة فى عصرنا والفساد كثر امامنا ومن خلفنا ، والسبب الوحيد هو جهل الداعى بعلوم الدعوة الالهية لانها ليست من العلوم المنطقية ولكنها علوم روحية . قال تعالى : (يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) ، وعالم لم يصل إلى مقام علم الروحانيات كيف يجادل غيره ويرشده إلى علوم الالهيات .

نسأل الله ان يعمم علوم سيد المرسلين التى كان يخرج الكافر بها من الكفر إلى حظيرة المسلمين فى اقرب حين ، وان يعيد لعلماء المسلمين نورهم ويؤيدهم بروح منه انه مجيب الدعاء .

الدعوة هى تأثير روحى ونور إيمانى ، وضياء إحسانى ورحمة قلبية ، ورأفة ربانيه وعلوم لدنيه ، وتيار أخلاقى ينبعث من نفس نورانيه فيبدد ظلمات الكفر والضلال من نفس إنسانيه ، الدعوة والجدال مع أهل الكتاب ليس قاصرا على الاقوال فى الخطاب والجواب ، وانما الدعوة نفثات ونظرات ورحمات وتنزلات

وأسرار والهامات ، تتجلى فى قلوب بالله عامرات ، الدعوة ليست فى متناول كل من أحسن الكلام وتكلم وهو من حالة من يدعوه اظلم فيكون الحال فى دعوته ظلمات بعضها فوق بعض فيعم الفساد والظلم فى انحاء الأرض ، ولكن الدعوة إذن من الله صدر من عالم امره . سر قوله تعالى : (وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ) ولذا ثبت الاذن عن رسول الله من الله وتلقته الخلفاء عن رسول الله ولقنوه للعلماء بالله والعلماء العاملون ، والدعاة العارفون لم يزالوا فى كل حين يتلقون الاذن بالدعوة من الوارثين ، وقد لمسنا سر هذا الاذن من وارث عصرنا وإمام زماننا الوارث القائم السيد محمد ماضى أبو العزائم ، فشاهدنا وعاينا ان كل من تشرف منه بأذن فى الدعوة انطقه الله بالحكمة والعلوم اللدنيه والأسرار الروحية والمشاهد القدسية والجدال الأحسن ، نسأل الله ان يعمم دعاته المخلصين وينشر علومه بين جميع المسلمين حتى يعم النفع العام جميع بنى الإسلام انه على كل شىء قدير .

(أغانى الدعوة)

نور الاغانى نفحة من فضله ... فيها المعانى نعمة من فيضه
زكى الدعاية فى الاغانى راسمت ... فيها المعانى تجذبن لوصاله
فى دعوة القرآن من أنوارها ... نغماته تبنى بها فى نظمه
سر الدعاية نفحة من ربنا ... وعطية وعناية من امره
سر الدعاية من غيوب القدس قد ... ضنت لأهل الفضل من إحسانه
من سابق الحسنى اجتباهم للهدى ... وحباهم بالاصطفا لجنابه
أهل الدعاية سادة وائمة ... قد جملوا بالحال من أنواره
أهل الدعاية فى حصون محمد ... نالوا من المولى العلوم بفضله
أهل الدعاية نورهم يسعى لهم ... من بين ايديهم بروح جماله
روح من القدس العلى تحيطهم ... يدعون للهادى بصولة حكمه
(والله يدعو) جنت أهل الهدى ... حتى رأوا أنواره من عبده
(الله نور) حجة العبد الذى ... قد قام يدعو للأله بإذنه

الله اسرج خير خلق الله من ... اسمائه وصفاته وكماله
وهو الرؤوف هو الرحيم بنا لنا ... قد اسرج العلماء من أسراره
من قبل يوم ألست فى الميثاق قد ... اعطاهم اذنا بدعوة خلقه
عهد النبوة عهدنا من ربنا ... فى سورة الأحزاب رمز مراده
فى و (الذين يبلغون) مقامنا ... فى آية الميثاق سر عطائه
أهل الدعاية وارثين محمد ... أهل الولاية هم بدور سمائه
أهل العناية قبضة من نوره ... وفوق عطائه من طول طوله
فى البيعة الأولى اجتباهم ربهم ... فى العهد ثبتهم جلال وداده
فى دعوة الميثاق بايعنا له ... فى الكون بايعنا لنصرة دينه
فى سورة الأنفال بشرى طمأنت ... أهل الدعاية فى نزول جنوده
أهل الدعاية هم جنود محمد ... فى كل عصر خاطبين لأمره
يدعون بالقرآن كل مصدق ... من كل فرد مؤمن برسوله
فى كل عصر وارث لمحمد ... يدعو البرية مرشد الطريقة
فى عصرنا قام الإمام محمد ... ماضى العزائم رافعا للوائه
جمع القلوب بقاله وبحاله ... وبحلمه وبعلمه ودعاته
أهل الكتاب دعاهم بحنانة ... بدعاية الحسنى وحسن حنانه
والظالمين رماهم بصواعق ... من لفظة وعلومه وبيانه
كم بين الحق طورا واح بدعوة ... عزمية شرق الوجود وغربه
ودعا الجميع بدعوة روحية ... شرعية بدعاته وبكتبه
اسلوبه القرآن يدعو بالتى ... هى أحسن الإحسان من أوصافه
منه تلقينا دعونا بالتى ... أهل الكتاب فسلموا لبيانه
حتى الجدال طورا فى ألفاظه ... والنور فى اقواله أعماله
ادعوك ربى بالكتاب وسره ... وبوارث المختار فرد زمانه
أنت المعيد لعهده نور الهدى ... حتى يعود الدين فى منهاجة
طالعته بنور القرآن وحكمه ... وطريقة المختار طه جده

صلى عليه الله ما داع دعا متمسكا بطريقه وبشرعه

فالدعوة إلى الله لها رجال مخصوصين واثقهم فى البدء رب العالمين ، عندما واثق الأنبياء والمرسلين وعند ظهورهم فى الكون قاموا لله داعين ، وللخلق مرشدين ، منحهم نورا من نور النبيين وبصيرة من بصيرة سيد الخلق اجمعين فدعوا كل إنسان بما يناسبه وخاطبوا كل فرد بما يؤلفه ، وكل طبقة بعلومها وكل طائفة بمحبوباتها حتى يقيموا على العباد الحجة ، ويظهروا لكل طائفة سبيل الحق وصدق المحجة ، يدعون أهل الكتاب باسلوب الحكيم ويظهرون للناس بجمال الرؤوف الرحيم ، يضربون الامثال للناس ويبينون ضياء الحق من الالباس ، يخاطبون الحس بما يناسبه والخيال بما يؤنسه والوهم بما يطابقه ، والعقل بما يوافقه والفكر يما يجانسه والقلب بما يحبه ويتعلقه ، والنفوس بما يطهرها ويزكيها والأرواح بما يرقهيا ويعليها ، ويدعون الناس للوحدة والالفة والاتحاد ولمحو الجور والظلم وكل فساد ، وللتعاون على البر والتقوى وللطاعة وعبادة المولى ، ويرشدونهم لكل سعادة وفلاح وكل خير وإصلاح ، فمن اتبعهم سعد السعادة الابدية ونال الفلاح فى الحياة الدنيوية والاخروية ، ومن خالفهم خسر الدنيا والاخرة لأنهم رسل السلام ونواب المصطفى عليه الصلاة والسلام ، والداعون إلى دار السلام .

نسأل الله ان يجملنا بجمالهم وان يرشدنا بإرشادهم ويحي بنا مناهجهم ، ويظهر بنا اعلامهم ويعيد بنا سننهم إنه مجيب الدعاء.

من مؤلفات الامام المجدد السيد محمد ماضي ابوالعزائم

فى جانب تفسير القرآن :

١- هذا السفر الجليل " أسرار القرآن ".

٢ تفسير سورة القدر.

فى جانب العقيدة :

١- كتاب عقيدة النجاة .

٢- كتاب الإسلام دين الله وفطرته التى فطر الناس عليها.

فى جانب العلوم الفقهية:

١- كتاب أصول الوصول لمعية الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾.

٢- صيام أهل المدينة المنورة.

٣- هداية السالك إلى علم المناسك .

فى جانب السيرة النبوية والرد على المستشرقين:

١- سيرة النبى ﴿ ﷺ وآله﴾

٢- وسائل إظهار الحق .

فى جانب ما يجب أن يعرفه المسلم :

١- النشأة الثانية.

٢- الوسيلة وما إختلف فيه من السنة والبدعة.

٣- الشفاء من مرض التفرقة.

٤- الجفر.

٥- تحذير الدين من بيع أراضى فلسطين.

٦- النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين.

٧- الرد على نظرية دارون.

فى جانب الأخوة الإسلامية :

١- الإسلام نسب يوصل إلى رسول الله ﴿ ﷺ **وآله**﴾.

٢- الإسلام وطن والمسلمون جميعا أهله.

فى جانب المناسبات الدينية :

١- السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج

٢- بشائر الأخيار فى مولد المختار

٣- مشارق البيان فى فضائل شعبان

٤- لبيك اللهم لبيك.

فى جانب المسرحيات الدينية :

١- محكمة الصلح الكبرى.

٢- العالم والتاجر والفلاح.

٣- المقتصد والمسرف والفاسد.

٤- السياسى والحكيم والغشيم.

٥- الصالح واللص والسكرى.

فى جانب الصلوات والأدعية :

١- نيل الخيرات بملازمة الصلوات.

٢- الفتوحات الربانية والمنح النبوية فى الصلاة على خير البرية.

٣- الأدعية والاستغاثات الكبرى.

فى جانب التصوف :

١- شراب الأرواح من فضل الفتاح.

٢- تذكرة المرشدين والمسترشدين.

٣- معارج المقربين.

٤- الطهور المدار على قلوب الأبرار.

٥- من جوامع الكلم.

٦- الطريق إلى الله تعالى.

٧- الفرقة الناجية.

٨- دستور السالكين طريق رب العالمين.

٩- دستور آداب السلوك إلى ملك الملوك.

١٠- مصطلحات الصوفية

١١- آداب أل العزائم

١٢- دروس تزكية النفوس

١٣- موارد أهل الصفا

١٤- قبس من المضنون

١٥- الصوفية والتصوف

فى جانب المواجيد:

١- مواجيد شهر محرم، صفر، ربيع أول، ربيع آخر، جماد أول، جماد آخر، رجب، شعبان، رمضان.

٢- المواجيد العزمية فى مواجهة الروضة الحسينية.

٣- ديوان ضياء القلوب من فضل علام الغيوب.

تليفون المكتبة/

002 022 3901030